

الله اکبر اللہ اکبر

لهم آتی خلیلی مالی فی

لهم آتی خلیلی مالی فی

لهم آتی خلیلی مالی فی

السِّيَرُ لِلْأَمْلَكَةِ

صورة كاملاً عن حياة العطبا الزباني والعارف الصداني

السيد سلامه بن الراضي

مؤسس الطريقة الحامدية الشاذية بأبجور في الحيرة

الكان سجده وضريحه بولاقي

لم يكتب باذن خاص من فليفة

السيد ابراهيم بن سلامه الراضي

شقيق شيخ الطريقة الحامدية الشاذية بأبجور في الحيرة

خرق الطعم خطوة لشيء

خطوة البن الابجدية

طبع حبيبه حفظ الصدر رقم ٦٦



السيد سلامه بن حسن الراضي
مؤسس الطريقة الخادمية الشاذلية بالجمهورية المصرية

إهداء الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْابِهِ وَالْتَّابِعِينَ، وَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ شَيْخِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْزَزُ شَيْءٍ، نَخْتَلُ بِهِ وَنَفِيرُ
عَلَى هُدْيَهِ فَقَدْ رَأَيْتَ أَنْ أَضْعُفَ لِهَذِهِ السِّيَرَةِ الْعَطْرَةَ كِتَابًا يَجْمِعُ أَرْهَارَهَا
وَيَقْنِسُ مِنْ أَنْوَارِهَا فَكَلَمُتُ الْأَسْتَاذِ، سَيِّفُ النَّصْرِ مُحَمَّدٌ عَشْرَى،
مُدِّيِّسُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْمَدْرَسَةِ الصَّناعِيَّةِ بِالْعَاصِيَّةِ، وَمِنْ إِخْرَانِ
الصَّرْبِيقِ الْقَدَامِيِّ بِأَنْ يَصْوِعَ عِبَارَتَهُ، وَيَزَافِ أَجْزَاءَهُ، وَيَنْسِقَ
أَبْوَاهُ، وَقَادَمْ بِهَذَا الْعَمَلِ نَحْنُ إِشْرَاعِيُّونَ وَأَوْجَبُونَ حَنْيَ جَاءَ الْكِتَابُ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْمُبَارَكَ بِالْعَرْضِ الْمُطْلُوبِ.

وَلَقَدْ أَمْدَنَا الشَّيْخُ حَمْدَ بْنُوِيْلَى لِقِبَّلَتِهِ الْصَّرْبِيقِ بِعَضِ
مَذَكَّرَاتِ وَآفَاقَاتِ فِي كُلِّ مَا يَنْصَلِي بِحَيَاةِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا اخْتَرَنَا
مِنْ مَذَكَّرَاتِ الْمَرْحُومِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ عَبْدِ رَبِّهِ أَحَدُ أَصْبَاحِ الشَّيْخِ
الْمُقْرَبِينَ إِلَيْهِ بِعَضِ مَا تَوَفَّهُ مِنْ فِي وَهَذَاتِ شَيْخِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي
الْمَجْلِسِ - مَا سَمِلَ وَسَالَ التَّأْلِيفِ. فَأَنَا إِذْ أَهْدِيُ هَذَا الْكِتَابَ إِلَيْهَا
أَهْدِيَهُ إِلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ عَامَةً وَإِخْرَانَ الظَّرِيقَةِ خَاصَّةً، رَاجِحًا
عَنْ أَنْ يَنْفَعُنَا وَيَنْفَعُوكُمْ بِمَا قَدِمْتُمْ مِنْ فَحَّاتٍ وَبَرَكَاتٍ.

إِبْرَاهِيمُ سَلَمُ الرَّافِعِي

مُتَّلِّمٌ

أستاذى الأجل السيد إبراهيم سلامه

تجهیزات طیات مبارکات و **لینک**

لقد ثبت الامر شاكراً ، إذ أمر تونق مشكورين بإجازة
رغبات حضرات الاخوان ، في وضع كتاب يشمل حياة شيخنا
وسيدنا السيد ، سلامه حسن الراضي ، رضوان الله عليه ، من
بوابتها الشخصية والاجتماعية والخاصة وال العامة ، وما أفادته من
علوم وأسرار في المحسن ، وما أخذ به المربيدين من سير وآداب ،
لعمت بعون الله وروح منكم . النقطة هذه الحقيقة من مذكرات
حضرات الاخوان الذين عاصروا حياة المشرقة ، حتى جمعت عنها
حيلة وافية ، نظمتها في فصول وأبواب ، وصنفتها في أساليب
وعبارات بحمد فيها الخاصة بإربتهم ، وأخذ منها العامة حاجتهم ،
ولَا أدعى الكمال فسيرة شيخنا رحمه الله عنه أبعد من أن يحصرها
فلم ، أو تجمعها عبارات ، أو بحدها أسلوب ، ولكن مالا يدرك كله
لا ينفك كلله .

وَمَا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ مُذَكَّرٍ أَنَّ الْمَرْحُومَ الشَّيْخَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدَ رَبِّهِ ، وَمِنْ
بَعْضِ حَضَرَاتِ الإِخْرَاجِ ، مَا سَهَلَ لِي اِتَّهَايَةُ وَأَدَنَانِي مِنَ الْفَصْدِ ،
بِخَرَاجِ اللَّهِ جَمِيعًا خَيْرَ الْجَزَاءِ .

وَمَا نَفَعَنِي فِي سَاحِنِي هَذِهِ الْحِقْبَةِ بَيْنَ تَلَكَ الشَّوَاطِئِ ، الْمُتَرَابِيَّةِ
مُثْلَّ مَا نَفَعَنِي تَشْجِيمُكُمْ لِي وَنُوْجِيْمُكُمْ إِبْرَاهِيمَ ، وَالْمُحَمَّدَ نَهَى فَقَدْ جَاءَ هَذَا
الْكِتَابُ الَّذِي أَسَيْتَهُ ، أَسَيْرَةُ الْحَادِيَّةِ ، ، عَلَى نَحْوِي بِرْضِيَّ بِهِ
الْفَارِيَّ ، وَبِتَرْجِيمِ إِلَيْهِ الْمُسْتَخِدِ .

وَافَهَ أَسَأَلَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ عَامَةً وَإِخْرَاجُهُ اِنْطَرِيقَةُ خَاصَّةٍ
إِلَيْهِ سَبِيعُ بَحْبَبِ .

— دَوْلَتُمُ الْأَمَانِيَّةُ الدَّانِيلُ

بِبَلْفُ الْمُصْمَرِ فِيْ قَشْرِي الْعَاصِرِي

مَدْرِسَةُ الْأَمَانِيَّةِ بِالْمَدِيرَةِ الْمُسْتَعِدَةِ وَالْمُسْتَبِدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَالْاتِّبَاعِ لَهُ وَلَمْ يَأْخُذْ
إِلَّا بِيَوْمِ الدِّينِ .

وبعد : فقد شاء الله أن يجتبي من بنى الإنسان صفوه مختاره ،
ونخبة عنازة ، رجال آثرهم بقربه وأصطفاهم لنفسه ، وصنعهم على
عيه . حجهم عن العيون المريضة ، والقلوب المدخولة ، وجلدهم
لأن كتب لهم السعادة واختصهم بالرِّفادة : بشرية نورانية ، أوارهم
لبست بذات ألوان وخلال بخطف في الجو بريقها ، وبريق في العين
ضوءها ، ولكتها أوار فدية تشقق بها القلوب ، وتنادن بها
الأرواح ، ويتفاعل بشوتها الوجودان ، لا تدرك وأنت بحضرتهم
أرقت أجسامهم لتم عن حفاء أرواحهم ، أم هو نور القلب قاض
على الجسم فتحه ظله ونفله لونه .

رق الزجاج ورافقت الخرز فشاكلاً وتشابه الأمر
وكأنما حر ولا فحش وكأنما فوح ولا خز
في هذه الدوحة الغباء ، والروحة الفبعاء ، قامت شجرة شيخنا
العارف بالله سيدى « سهر من الرافسى » رضى الله عنه باقة
ناصرة . ثابتة الأصل باذحة الفرع ، ندية النسيم ، استغل بظلها
الهدوء ، وتنسم أرجها الموهون وطعم نحرتها المجدودون . فلا غزو

أن كانوا أنجوماً وأقادوا بسى في هدبهم العائى ويسقى في صوتهم
البعض .

ولإذا سخر الإله لقوم سعيداً فإنهم سعداء
عاش رحى الله عنهم ماعاش من حياة تحركت فكأن لها الدهر
وسكتت فلقيت بها الأرواح ، واهتزت فأبنت الخير والبر
والمعروف : فإذا حاول مؤرخ أن يساير سيرته العطرة أرهق نفسه
وأهال إليه . فإن سيرة هذا القطب العظيم والولي الكبير أفح
ساعة وأبعد مدى من أن يحدوها الطرف ، أو يحصرها الخاطر ،
في كل ناحية من نوافذه سيرة عاهرة الجنينات ، متعددة الآيات
تضليل في بواديها جربها وترهق في مداها البحتر يا
فاني لما وباعنا فصیر وجدهنا قبلي ، أن نحط بها علماً ، او
نسلم إليها ركناً ... على أن هذا الابن عاص من أن نحاول أن نرسم لها
صورة لم لنا بعض ما تفرق ، ونجمع إليها شيئاً عاً تغير ، يبعد
لمساك في أفيائها طريراً بفتحه بنفعات ، ويلصقه بياقات .

نبه الشريف

بتصل نسبة الشريف بيدي ، أبو حسنة ، رحى الله عنهم الكائن
مجده وضريحه ببلدة ريدة ، ريدة ، من أعمال مركز ، المبا ، وجده
القرابي بيدي العازف باقة ، حامد الريدي ، المقام مقامه
وصربيحة ومجدده ببدية ، المبا ، وكان من أمراته الكريمة عمه

السيد عبد الرحمن، وقد عاش طول حياته صائماً فائماً ناسكاً .
ومنها الولي المقرب ، الحاج ناصر ، وحضر مسجده عند باب درب
محجوب بيولاق مصر . وقد نجوت أسرته الكريمة من الأراضي
المجازية واتخذت « زيدة » مقراً لها ، ثم انتقل أبواه إلى القاهرة
حيث نزل في بيت مجاور لبيته سعيد بيولاق .

مولده

توفت أم له ١٦ رجب الفرد من عام ١٢٨٤ هجرية الموافق عام
١٨٦٧ ميلادية عن مولده الكريم بيولاق بمنزل مجاور مسجد
بيه سعيد رضي الله عنه ، من أبوين شريفين ، فهو والده السيد
د حسن سلامه ، المكنى بالراضي وكان يصلى في كل ليلة مائة ركعة
تهجدًا . وقد سافر إلى الحجاز سيراً على الأقدام . ووالدته البدة
التربيقة بدوية ، وهذه قد بلغ من صفاء معدتها أن رأت ليلة القدر
أربع مرات — وكان لفخر طنطاويتها تشاهد المؤمنين من الجن
والكتيرين من الأولياء المتقلين رضي الله عنها وعزم أجمعين .

أبناء الشيخ

كان لديها رضي الله عنه من زوجته الكريمة السالفة أربعة
أبناء هم : بيده محمد ، وكان يشغل وكالة الطريق في عبد والده ،
وبيده محمود ، وبيده حامد ، وبيده إسماعيل ، وقد توفي

الآخر في حياة والده ، ويتنازع أقراننا بعض إخوان الطريق وقد
تفرع منهم فروع مباركة طيبة ، أمد الله في حياتهم جميعاً .

ولما توفيت زوجة الأولى أقرن بزوجه الكريمة الحالية —
أمد الله في حياتها — ويبكون في قصتها أنها من أصحاب أباها ، الشيخ
الروحيين ، فأنجب منها ثلاثة أبناء ، مباركين ، أصغرهم سيدى حامد
وهو الآن طالب بكلية التجارة بجامعة القاهرة كتب الله له العاج
وال توفيق ، وأكبرهم سيدنا وملادنا وفطى طريفتنا سيدى إبراهيم
سلامة الذى أ送ت إليه الخلقة بعد أبيه ، أعاذه الله على تكاليف
المجاهد وتقع به العباد والبلاد ، وأوسطهم سيدى أحد فتواد الذى
توفي في الأشهر الأولى من ولادته آخر مرض مفاجئ .

ولقد وجد عليه الشيخ وجداً شديداً ، آخر في غرامة اليسرى
بضعة أيام — ومن عجيب ما روى عنه في هذه المذلة أنه لما أبلغ
بنسبته ، أحد فتواد ، قال إنه مغتولد وقد كان ، فلم يعمر طويلاً ، أما
البنات فهن أربع نزوجن جميعاً من خيار إخوان الطريق ، جلهم
الله جميعاً من أهل السعادة .

وقد كان الشيخ رضى الله عنه عطوفاً على أولاده جميعاً لرأيهم
دائماً التزال عنهم ، يخصهم بحاته وقلبه وبرعاته يعينه حتى ثبووا
جميعاً على عرق من الدين وأصل من الفضيلة ، ولا عجب منهم بضعة
نقوس معلقة ، وفروع شجرة كريمة ، ونوعة عين صافة ،
رضى الله عنهم .

طفولته

حفظ رضي الله عنه القرآن الكريم وتعلم مبادئه عليه من الحساب وأجاد الخط الفارسي في مطابقى السنة السادسة من عمره . ووضع كتاباً في الأدب والأخلاق في التاسعة من عمره المبارك ، وتحفظ المكتبة الخامدة بنسخة منه إلى الآن ، وإليك صورة خطية من يده الكريمة .

بيده عمله

باكر رضي الله عنه حياته العملية وهو في الثالثة عشرة من سنه في الخاصية الملكية بمرتب لا يزيد عن مائة وخمسة وسبعين قرشاً — وما زال يتدرج في عمله حتى وصل إلى منصب كبير قيد عليه بمرتب خمسة وأربعين من الجنيات في الشهر .

مكانته في الديوان

كان رضي الله عنه سمع الطبع سهل المخالطة مشرف الحديث باسم الوجه أبداً أعطى للعمل إخلاصه كله ووقته كله . وكان رفقاً به لا ينفك عنه سائحة ولا بارحة . ولم يذكر عنه أنه رجحه إلى شيء ، أخطأه ، حرباً على معيادي الذهب والإباب ، وقد أعنق من توقيع دفتر حضور الموظفين ومع ذلك كان أسلوبه جيداً حضوراً وأبطالاً جيداً انصراً ما . وكان وهو رئيس كل مكان وهو مرموص لم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُ لَوْلَا أَلَّا لَهُ إِلَيْهِ الْبَوْمُ لَوْلَا أَخْذَهُ سَنَةٌ وَلَوْلَمْ يَرَهُ مَا فِي السَّوْفَاتِ
وَسَافِي الْأَرْضِ مَنْ؟ الَّذِي يُشْفَعُ مَنْدَهُ الْأَبَانَةُ يُعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْمَانِهِ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَعْلَمُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عَلَى الْأَبَاسَةِ وَسَعَ كَرَبَّهُ
السَّوْفَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يُبُودُ هَنْظِلُوا دَهْرُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ
عَزَّهُ أَيْنَ أَكْرَسَ زَاتَ الْأَسْرَارِ وَالْبَرَكَاتِ وَالْأَنْوَارِ الَّتِي وَرَدَّ فِيمَا مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ سَلَامًا أَنْجَاهُ أَعْظَمَ أَكَّ التَّرَانِ وَقَدْ ظَهَرَ فَضْلُهُ
عَنِ النَّظَرِ مِنَ الْجَنِّ وَالْأَنْجَسِ وَالْمَاهِيَّاتِ وَالْمَكَرِّهَاتِ وَالْمَاعِزَاتِ جَلِيلَةِ
عَجَلَ الْيَوْمَ نَعْمَلُ الْغَرْرَ وَمَا تَرَثَتْ أَوْكَبَتْ وَحْلَتْ أَوْسَرَتْ أَكَّ
وَتَسْرَتْ بِلَالَابِ وَادْرَكَتْ بِلَالَرَّفَاعِ وَزَرِبَتْ الْكَرْوَبِ بِلَالَ
الْبَحْرِ وَالْنَّزَمِ وَمِنْ تَرَاهَا هَبَّ كُلُّ فَرْضٍ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ وَبَيْنَ الْبَنَتِ الْأَكَّ
خَرْجَ الرُّوحِ وَبَيْنَهُ مِنَ الْبَنَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَالَمِينَ السِّيَرَكَنْدِيَّاسِ دَهْرُ
بَارِانِي قَنَا، حَاجَنِي مِنْ بَلْقَرْنَلَادَةِ لَهَفَزَهُ الْأَيْنَةِ الْكَرْبَلَةِ فَالْأَزْمُ بِالْأَلَالِ الْبَرَّا
لَهَفَزَ الْأَبَابِ الَّذِي مَالَ لَازْمَاهُ عَرَرَ خَاتِمًا وَعَلَيْكَ بِالْعَصْفِ وَالْبَيْنِ فَلَمَّا
الْأَرْدَفَ الْعَلَمَ وَكَنَابَ دَعَمَ اولَى بِالْتَّصْبِيقِ وَسَهَدَ شَهْرَلَوَّا بِهِمَاءِ اعْجَنِ

صورة خطبة بيده التربة

يشعر أحدها من مروسيه بقوه أمر او باستعماله رياسه ، بل كان يقوهم صغيرهم ويرشد متخلفهم ، براشاره خفيفه وابتسامه رقيقة . فلا غرو أن بالله الموظفون جميعاً ، ويقدرها ويتجه الموظفون جميعاً على نعائذ أديانهم وتفرق جنسياتهم واختلاف مشاربهم ، حتى أن كثيراً من المسيحيين كان مختلفاً إليه بين الحين والحين عندما اغترل العمل وأحيل على المعاش ، وقد فضل إليه من كانوا يعملون معه ، فاتخذه الصغير أباً والكبير أخيّاً يستثمره في أحوالهم الخاصة ويلتصقون منه الدعوات والبركات .

وقد ترك للديوان آثراً متقدماً من عمله ، وإصلاحاً شاملـاً من صنعه اتخذـه من بعده قاعدة ومتـكاً .

مولـه الـديـنيـة

قلنا أن شيخـاً رضـى الله عنهـ تلقـى أول تعـلـيمـهـ في «كتـابـ الحـىـ» ، حـفـظـ القرـآنـ الـكـرـيمـ فـيـ سنـ باـكـرـ ثمـ رـجـهـ إـلـىـ التـعـلـيمـ الـمـدـنـيـ فـارـقـ فـيهـ شـرـطاـ ، إـلـاـ أـنـ ماـ كـانـ يـدـرـسـ فـيـ هـذـهـ الـمـدـارـسـ لـمـ يـكـنـ يـشـعـ رـغـبـهـ وـلـاـ بـلـامـ طـيـعـتـهـ وـلـاـ يـسـأـرـ خـطـرـتـهـ فـعـزـفـتـ نـفـسـهـ عـنـهـ وـتـحـولـ بـكـلـتـهـ إـلـىـ نـوـعـ آـخـرـ مـنـ الـتـعـلـيمـ سـكـتـ عـلـىـهـ نـفـسـهـ وـأـطـمـأـنـتـ إـلـيـهـ جـوـارـ حـدـ وـتـبـقـظـ فـيـ رـعـبـهـ ، ذـلـكـ هـرـ عـلـومـ الصـوـفـ ، فـانـخـرـطـ فـيـ صـفـوفـ الصـوـفـيـنـ وـتـرـبـيـ فـيـ أـحـجـارـهـ وـشـرـبـ مـنـ مـاـهـلـهـ وـتـشـكـلـ بـعـارـفـهـ ، وـمـاـ زـالـ فـيـ هـذـاـ السـبـيلـ يـغـدوـ فـيـهـ وـيـرـوحـ وـيـسـقـيـ مـنـهـ وـيـطـعـمـ ، إـلـىـ

أن امتلاً قلبه ونفتحت روحه وانفتحت شرارة المعرفة في كيامه
وافتتحت الحكمة على لسانه .

وقد كان رضي الله عنه ملحوظاً من صغره بعثة عطاءة من
الأولى، وخبرة من الأصياد مثل بيديه ملوخة، القائم ضريحه
ومجدده بنى سريره، وسيدي الأاعصر القائم ضريحه بهيم،
 وسيدي الشيخ عبد الله الملس المشيد ضريحه بالشرفية، وسيدي
عزيز روحه المشرق ضريحه يو لاقي و جميع هؤلاء أعلام مشهورون
وأولياء، مذكورون أضرحهم مزاره و مروالدهم حافظة، وبركاتهم
ظاهرة رضي الله عنهم جميعاً .

أشياخه

أجل شيوخه وأصقفهم بقلبه وأحجتهم إليه، سيدى الشيخ
مرزوق العلامة المالكى وأخچة النبت وإليه كان شيخنا ينسب ،
لبيب إليه الذكر والخلوة والصيام حتى ، صفت روحه وأشرقت
شمسه ورفت بشربته ووضحت أسمائه معالم الهدایة والرشاد .

بلده - جهاده

فكان إن شيخنا رضي الله عنه قد لاحت أسماء معالم الطريق
بعد أن صفت روحه من العلاقات الحاجة ونظر قلبه من أكدار



في زهرة شبابه

الدنيا وشوائب الحياة وشاهد ربها بعين بصيرته ، وتحقق بحقيقة
الأسرار الربانية وتظهر في بحار الأنوار القدسية .

شربت بها كأساً سكرت بخمرها أخذت بها عنى فقولي لدهشتي
حقاً إنه شرب هذه الكأس حتى النهاية ، فتمايل من سكرها
وتونع من خمرها وغاب في سرها عندما انفصل عن جسمه ، وخرج
من نفسه وتلطفت روحه بعذب رحيقها وطيب نكباتها . على أن
هذه المراتب التي وصل إليها واستوى على عرشها لم تأتاه عفواً
وتطرق بابه طرقاً فما أكثراً ما أحق قدميه وأورم ركبتيه وأطال
من سجدة وأذرف من عبرة وقطع من ليلة وأدمى من جبهة ، اسع
منه رضى الله عنه إذ يخبر عن نفسه فيقول :

واعلم أن ذكر الله كثيراً ، فمن أورادي أنك
أذكر لا إله إلا الله في الليلة الواحدة التي عشرة ألف مرّة ،
ومكثت على ذلك الأعوام ، ثم كنت أذكر الله باسم المفرد
، الله ، في كل ليلة ثلاثين ألف مرّة وداومت على هذا الامر ست
سنين وكت أصوم من الله نحو ثلاثة أيام يوم ومع الصيام أدّاوم
على الرياضة غالباً فيها فلا آكل ما فيه روح ولا خرج من روح
وأصل الصبح بوضوء العشاء عدة من السنين وكانت لا أدع الوضوء .
فكل أحبابي أكون على طهارة : واعتزات النساء في المضاجع
ومكثت أعزب مدة تقارب السنتين وكان لي مبة طوله غليظة

يبلغ طولها ذراعاً ونصها وحياتها في حجم البيون الصغير . وكم
لا أجال أحداً من الناس إلا قليلاً من إخواني في الله ، ومع هذا
كنت أحلى على النبي صلى الله عليه وسلم في كل ليلة نحو ساعتين
من الساعات العادمة ، فوق أني كنت مصاباً بداء ال بواسير أزف
الدم الغزير العبيط الأحمر الغافى الذي يستعر الشهرين والشهرين من
الزمان حتى صرت تجفاً ضليلاً ضعيفاً مصفر اللون كأنني نشرت
من قبر ، أو كأن الله لم يخلق في جسدي دماً . فضلاً عما كان
يصادقى من أهل ومن الأصحاب وبقية الناس من العذل واللورم
ومن النهانة والتوبيق والزجر والتعزف ، وكل هذا لم يعن
عزمي عن التوجه إلى الله تعالى . ومع هذا كلهم لم يمنع الله عن
بصيري ، ولم أفر بالوصول ولا بارقة أو لامحة إلا الشئ . التفر
البيبر الذى يكون عدد أهل الطريق لأطفالها ، يابى ربنا يقع البعض
العoram الذين صفت بواعظهم من ذكر الله الكثير — هنا خافت
نفسي وكدت أن أقع في اليأس بعد جهادى الذى أشرف فيه على
الهلاك وبذلك فيه روحى وتخلىت من دينى ولم أبال ما فاتنى
منها ، وهررت أحبابي وطالعت كل عاذل كل هنا ذهب هنا مشورة
في دراج الرباح والخيب لم يسع بنظره والباب لم يفتح للكلين
فصرت حازماً باهتاً وعلت أن هذا الأمر لا يخرج عنـه إلا عناية
الله ثم بركة أشياخى ، وقد كان وفتى أستاذى غائباً في سفر ولم
يتسر لي مواجهته أو مكتابته ، وروجـدت نفـى مقطعاً فتووجهـت



شکله بعد اکتمان نویه

كان رضي الله عنه آدم اللون حبيب شعر المحية فله شعر
الرأس حاد المحر قوى السمع طويلاً القامة قليلاً، مثنياً، الجسم في
غير رجل قوى النية .

2

كان يرمي بحكم عنده الملابس الأوروبية وأسلحة حفاظة ،
وكلان ، مزبورته ، بلا كل رأسه — فإذا أعنى نفسه من عمله
اليوم استدل بهذا إلى عبادة مكرمه من خرقه خضراه حول
مزبورش قائم ، ثم حبة وقطعاً يدير عليه حزاماً من قماش يعده
على بطنه أحاناً وتخنز عدته تحت طيات جبهه أحاناً أخرى .

وشا لا يأخذ به جسمه من أعلى رأسه إلى أسفل كشحه - وعانتها
من فضة تعلوه جهة من ياقوته حرارة يذيره في بصر يده اليمين،
وعباءة يلتقي بها مائةاً ويريحها على ركبتيه جالاً - فإذا ما تحمل
من المجلس تخفف من ملابسه تلك بوضوء طافية على رأسه،
واسألا نوب على جسمه .

عاداته

في الجلوس : مجلس متربعاً ويترافقه الأدفني بال أو عاءة
ويعتمد بمرفقه على الوسادة إلا إذا كان بقرا في كتاب فإنه يريحه
على كتفه الأيسر ويقلب صفحاته بأصابع يده اليمين وإذا أقبل على
الإخوان أقبل عليهم بوجهه كله ، ولا يشير بيده إلا لتعيين مكان
لقادم أو لتوسيع غامض في مناقشة .

في المشي : كان سريعاً الخلوة ، ير هو من وراءه ، وإذا صعد
درجات قطع أكثر من أربع طبقات في نفس واحد وبطرق
نعل مسوع .

في الأكل : بأكل ما يقدم إليه ، وإن كان يعبر إلى السهل
الخفيف وليس له نظام مطرد في مواعيد الوجبات أو نوعها فربما
طلب الطعمية ، لوجهة عشا ، بتناول طلاق متصرف الليل وربما كفته
الوجبة الواحدة مدار يوم وليلة - فإذا كان الطعام بين بيديه عدد
إلى الرغيف يشعره شطرين ويقطع من أحدهما لقمة يقصها فيما بين

يذهب من إدام ثم يتناولها فلا تشعل من فمه إلا حيزاً ضيقاً لا يسعه
كلامه ولا يمنعه من الإرسال ، فإذا فرغ من كلامه قلب الصابورة
بين يديه حتى ترثى فيضع رغرتها مع قليل من الماء يتمتصه ثم يرجعه
في الطت ويستزيد الماء على يده إلى أن تخلصا فيجففهما بقطعة
من قاش ، ثم يشعل له أحد الإخوان ، لفافة ، من التبغ يحرقها
مع أحناه كوب من شاي أو فنجانة من قهوة .

ومن عاداته الطربة أنه كان لا ينفك على مطعمه أو مشروب
بل يترك منها بقايا غبات — فإذا احتوى من الشاي أو القهوة
احتوى النصف أو ما يزيد عليه قليلاً ، ثم تركباقي فتختلط به
الإخوان في شفف ملحوظ ، وإذا شرب الماء شربه معاً في
ثلاثة أطاس .

في التدخين : كان يسرف في التدخين فأخذته موجة من سعال
ترك على آرها الإكثار منه واستبدل الماء به ، وكان إذا أمسك
باللقافة ظهر أعلاها وبطن سائزها في طيات أتمله .

في الخلوة : كان رضي الله عنه يتعدد في خلوته ويكفل أحد
الإخوان بأن يقرأ من كتاب يعبه فإذا كان في أثناء القراءة يلحظ
القارئ فيه هذه التغافل يكتفى فإذا بالشيخ يستحبه على استئاف
القراءة فباتأتها والشيخ في غضات اليوم ، حتى إذا هم من مرقده
ناشه فيها فرأى جلة جملة ، ومعنى معنى ، كأنه كان في بقعة ناشرطة
وادراك تام .

في الصلاة : كان رضي عنه ينتحف في صلاته أحد الإخوان ولم ير إماماً إلا قبله . فإذا دخل في صلاته سمعت لقله وجهاً باكياً وصوتاً خائفاً ، وصدى ذاكراً ، فإن ركع كان رأساً في مستوى واحد مع ظهره ، وإذا سجد بطبع وجهه كله على الأرض . فإذا كانت صلاة الجماعة تخبر أو تُخبر له الإخوان مسجداً في الماحصة إلا إذا كان في بيته . فسجد الشيخ سليم . وكان يضايقه حطاء الجماعة ، وهم يرددون في الكلام مكرر محول ، وكان كثيراً ما يصفع بعض الإخوان عدآ ، ذلك الفريضة ، وإذا نوحاً صلى بوضوء أوقات متواترات .

في الحضرات : كان رضي الله عنه يصلي أخريرة ويختتم . فإذا كان الذكر من وقوف مثني بين الصافوف يجمع الغائب ويوقفه وبينه الفعل ، فإذا انتهت المصالحة تلك حزيناً بين حشمت الموائد إلى عربة تقله إلى مجلس زوجته إلى منتصف الليل .

في المدحية : يطرح القوال على الإخوان ثم يتلقى إحباتهم ملائكةً ومصححاً وستركا حتى يستقر الحوار على وجه صحيح . وكان إذا سار في ماقفة أحد الإخوان سار معه خطوة خطوة ، ودرج درجاً ، ثم يتركه شيئاً ما ، بين اثنين إلى معالم الجواب فذاك وإلا سند وقوفه حتى يرشنه إليه ، إلا إذا ضلت بوادي الإجابة عن تفكير الإخوان ، وخفت في الرسول إليها أهدائهم

انبرى رضى الله عنه إلى السؤال فلما عقدته وكشف لغزه بأسلوب
واضح ومنظق أخذ يمهل السبيل ويفتح الحجب .

المخرة الإلهية

ثم يستطرد رضى الله عنه ، فيفتح من هذا العباب الآخر
والبعض الغامر فيقول :

«واعلم أن شهود أنوار من المخرة الإلهية ، قد يقع للسالك في
لحظة ثم يذهب أي يرخي الحجاب وقد يدوم قليلاً أو كثيراً ، وقد
يستمر إلى آخر العمر ، ولقد قيل إن آبا يزيد المطامي عاش في
سكر المحبة ومات في سكرها ، وبثت في سكرها وبدخل الجنة
في سكرها ، يزيد ظناً كلما ترايد شربه . جعلنا الله منهم إيه
حليم كريم .»

التصوف

أمل شيخنا رضى الله عنه على بعض الإخوان هذه المذكرة
عن التصوف فقال :

«أما حد علم التصوف : فهو علم يعرف به كيفية نصفة التفوس
من الأوصاف المذعومة . وأما موضوعه : فأفعال القلوب على
الوجه الأم وأفعال الجنوارج بالتبعة من حيث تنقيتها ، وأما ثورته :
فالحصول على السعادة الأبدية والفوز برحمتنا الله . وأما فضلاته : فهو
أعلى العلوم لأنها متعلقة بالأعمال الموحدة إلى الله تعالى . وأما

لبيه إلى تعلوم الآخرى : فـكـنـيـةـ الـخـرـةـ إـلـىـ الشـجـرـةـ ، وـأـمـاـ الواـضـعـ لـهـ : فـهـوـ الـحـقـ سـحـانـهـ وـتـعـالـىـ مـنـ حـبـ الـأـحـلـ يـعـنـيـ بـزـواـلـ الـآـيـاتـ الـأـمـرـةـ بـالـتـغـلـبـ بـالـأـخـلـاقـ الـمـعـوـدـةـ ، وـالـإـاهـيـةـ عـنـ التـعـلـقـ بـالـأـخـلـاقـ الـمـعـوـدـةـ ، فـالـوـاضـعـ لـهـ هـوـ الـحـقـ تـعـالـىـ مـنـ حـبـ الـأـصـلـ وـرـسـوـلـ أـللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـ حـبـ التـفـضـلـ ، وـالـشـابـعـونـ رـحـنـيـ اللـهـ عـنـهـمـ مـنـ حـبـ الـتـلـقـيـنـ ، وـتـابـعـ الـتـابـعـيـنـ مـنـ حـبـ النـثـرـ وـالـتـدوـنـ وـالـإـفـادـةـ ، وـأـوـنـ وـاـضـعـ لـهـ مـنـهـمـ أـىـ مـنـ تـابـعـ الـتـابـعـيـنـ هـوـ الـخـارـثـ الـخـاصـيـ ، ثـمـ جـمـهـورـ مـنـ أـهـلـ الـتصـوـفـ ، مـنـ هـمـهـمـ حـاـبـ الـرـسـالـةـ الـقـشـيرـيـةـ ، وـالـرـسـالـةـ الـقـشـيرـيـةـ أـمـ رـأـعـظـمـ كـاـبـ وـرـضـعـ فـيـ هـذـاـ الـعـلـمـ . وـأـمـاـ اـسـمـهـ : فـالـتصـوـفـ نـيـةـ إـلـىـ لـبـرـ الـصـوـفـ أـوـ إـلـىـ أـهـلـ الـصـفـةـ الـدـيـنـ كـانـوـاـ فـيـ زـمـنـ الـبـيـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ . وـكـانـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـجـلسـ مـعـهـمـ وـيـقـولـ : « الـلـهـمـ أـمـتـيـ مـكـبـاـ وـأـجـبـنـيـ مـكـبـاـ وـاحـسـرـنـيـ فـيـ زـمـرـةـ الـمـاـكـيـنـ » ، أـوـ كـاـ قـالـ عـلـيـ الـصـلـةـ وـالـسـلـامـ ، أـوـ نـيـةـ إـلـىـ الصـفـاءـ — وـالـلـاـتـقـ بـنـاـ فـيـ زـمـنـاـ هـذـاـ أـنـ نـلـبـيـ إـلـىـ لـبـرـ الـصـوـفـ . وـأـمـاـ اـسـنـدـاـدـهـ : فـنـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ وـأـنـوـالـ الـشـابـعـ الـخـجـرـيـنـ ، وـأـمـاـ حـكـمـ الـشـارـعـ فـيـهـ : فـأـنـ جـوـبـ الـعـبـيـ لـأـنـ تـصـبـةـ الـقـلـبـ مـنـ الـرـيـاءـ وـالـكـبـرـ وـالـحـقـدـ وـالـمـدـ وـحـبـ الـدـنـ وـالـغـيـةـ وـالـجـبـعـةـ وـمـاـ أـشـبـهـ ذـلـكـ وـاجـةـ عـلـيـ كـلـ إـنـانـ ، وـأـمـاـ مـائـةـهـ : فـقـصـاـيـاهـ الـتـيـ تـحدـتـ بـإـلـانـانـ فـيـ حـالـ مـيـرـهـ . . . اـتـهـيـ . . .
مـنـ هـنـاـ ظـهـرـ فـضـلـ عـلـمـ الـصـوـفـ ، وـظـهـرـ عـهـ أـهـلـ الـحـقـ

الصوفيون ، وعاشوا أردا حاً كثيراً من الزمن يتناقلون هذا العلم
ويندارسوه ويعملون به ، وقد كان له مكانته الظاهرة وحلقاته
العاصمة أيام صاحب الرسالة الشيرازي . فقد كشف في هذه الرسالة
عن مفعله العذب . وأفاده على الناس شيئاً رواياً ، حتى إذا
ما قضى إلى رحمة ربها أبداً الودي ينتهي في أعضائه ، والفتور
يصل في أوحاله . حتى اختار الله له عيناً من أعلامه وفارساً من
رجاله ، ذلك هو القطب الغوث سيدنا العارف بالله بيدي على
أبو الحسن الشافعى رحمه الله عنه عليه وعلمه أجمعين فرحمه صدوقه
وخدم جزءه وتعلقل به في سويداء قلوب الجلة المختارة من أصحابه
ومريديه . فتولى عليه الكثير من أصحاب العلم والفضل ، واستقر
من مراهله العاذى والرائع وركى إلى ظله من كان له قلب ، وأصبح
سدى أبو الحسن رضي الله عنه كعبة القاعدين ومهل العارفين
وأستاذ الجيل ، تصالحت له الرؤوس ونكت عنده الرقاب وبابه
 أصحاب المقامات ، وشهد له أرباب الكرامات ، فشرقت تعاليجه
وغرقت ، وأشرقت ميادنه وأزهرت ، واعترف الساجدون في بحور
علومه بأن نهاية الملك تنتهي عند هذا القطب الكبير والأنذاك
الجبار ، المدرر بأنوار ربيه ، المزمل بقدسيه المعنى الوهاب - وبما
أن الإنسان خلق لا يعيش أبداً ولا يبق سرداً ، فقد نقل رحمه الله
آله عليه إلى الرفيق الأعلى ، في مقدمة حدق عنده ملائكة مقتدر ،
وبقيت طرائقه فية فوية زماناً ، ثم دخلها الفتور ولا يحيى العثار ،

لأن حركها المثير وقائدتها المقدم تخلي عنها ، ووزعت بين أقوام
فأنتهم أن يحسوا بالقيمة عليها والسير بها ، فما زالت شعاراتها تخبو شيئاً
شيئاً وتنضال رويداً رويداً حتى صارت أسماء غير مسمى ،
وكلاماً في الطصور لافت للغوب ، فقد ضرب الله لها عوناً وكفلها بسند
وأمدها بعدد ، فانتصد عطراها من حنس إليها الخالك وسجاتها
الضريرة التواحي وصاتها المسف فرق الأرض هبة فانبرقت
الأرض بورها ، ونفشت سحب الأجواء بشمس السماء ،
واهتزت الوديان ، فانفتحت الخير وارهاً والمعرفة فارعاً والمر
فيها ، ذلك هو السيد الم Awaref والولي الواحش شيخنا ، السيد سلامه
حسن الراضي رضي الله عنه .

التجديد

أرسل الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل
 وأنزل معه التوراة فيها هدى ونور ، فأخذ بها قومه ، وطبق عليهم
أحكامها وقادهم بها جهاداً شديداً ، حتى قام بها من قام وضل عنها
من ضل ، ثم مضى بدهنه موسى عليه السلام إلى جوار ربيه الكريم
وأخلف من بعده خلفاً من قرمه راحوا بدها بين أعراض
الثبور ونوازع الأعراض ، فضلوا عن الهدى ، وانحرفو اسع
الطريق ، بلجدة آلة معالله حين جدد المسيح عليه السلام دارس
النوراة يانجيل من ربها ، فتح الأرض شرفاً وغرباً ، وحل مشعل

الناصع ، حتى استجابت له القرب و دفعته بعيد ، و اختلف إلـه
الغرب ، ينهـون من بـحـور مـعـارـفـه و يـعـرـفـونـ منـ بـنـاعـمـ قـلـهـ طـهـورـاـ
يزـبـلـ الغـاشـيـةـ وـ نـورـاـ يـرـفعـ الـقـدـىـ وـ روـبـاـ يـذـهـبـ الشـجـىـ كـالـشـىـ
تـأـخـذـ الـأـرـضـ مـنـهـ حـارـدـهـاـ ، وـ الـبـاتـاتـ قـوـنـهـاـ وـ الـأـجـواـهـاـ ،
وـ الـكـوـاـكـبـ أـنـوـارـهـاـ وـ الـأـبـدـانـ قـوـنـهـاـ وـ فـوـتـهـاـ . وـ لـوـ زـسـتـ طـرـيقـهـ
وـ وـظـتـ خـطـوـاتـهـ لـمـرـجـتـ إـلـىـ السـاءـ وـ وـعـلـتـ إـلـىـ الصـفـاـ وـ غـرـقـتـ
فـيـ بـحـارـ أـنـوـارـ الـإـشـراـقـاتـ الـإـلـهـيـةـ ، وـ تـمـعـنـ بـكـشـفـاتـ الـأـسـرـارـ
الـرـبـاـيـةـ وـ فـيـتـ عـمـاـ سـوـىـ اللهـ .

لـمـكـ فـيـ شـوـقـ الـآنـ أـنـ تـرـفـ مـنـ هـوـ هـذـاـ الـذـىـ لـازـمـ
تـلـكـ النـعـوتـ وـ صـاحـبـهـ هـذـهـ الصـفـاتـ ، وـ مـيـزـتـهـ قـرـاتـ أـحـوـالـهـ فـيـ أـنـ
كـالـهـ ، إـلـكـ عـرـفـهـ بـشـذـىـ عـرـفـهـ وـ خـلـ شـخـصـهـ وـ أـمـرـ خـطـرـهـ ، فـاسـقـىـ
بـالـإـصـاحـ عـهـ لـتـرـبـ لـسـائـكـ بـاسـمـ الـكـرـيمـ ، سـتـغـولـ إـلـهـ الـبـدـ
الـمـرـوـفـ وـ الـوـلـىـ الـكـامـلـ الـبـدـ ، سـلـامـةـ حـنـ الرـاضـىـ ، أـجـلـ
بـأـعـزـزـىـ ، إـلـهـ هـوـ ، وـ هـلـ يـخـفـ اـبـنـ جـلـاـ .

كان نقطة التحول بين عهدين : عهد حضي بخبره و شره ، و عهد
أقبل جلس في صدره ، ففتح كوز المعرف المطمورة في أرض
النبيان وأهداها إلى الناس لآليه وجو اهر منظمة في قلائد من
حـكـمـهـ ، وـ أـيـاتـ آمـنـ شـرـهـ وـ شـرـأـمـ مـلـهـ وـ لـفـتـهـ مـنـ إـشـارـتـهـ ، فـشـرـفـ
بـهـ الزـعـانـ وـ الـمـكـانـ ، وـ اـتـفـعـ بـهـ الـقـاصـىـ وـ الـدـانـىـ ، رـضـىـ اـهـ تـيـارـكـ

وتعال عنه ، ونفعنا بعلومنه ، وسفانا من رحىق أسراره كوسا
مترعات وأفداها مثبات آمين .

التلذ على الآشياخ فرض عيني

القلب نور بطبعته شفاف بناهه . ولتكن محجوب بالأكدار
مطموس بالأغمار ، متربيح الأمراض ، مخاطة شه بتوب
الخول ، ولا يستطيع صاحب القلب المغلق بأواسخ الحقد والحد
والكفر والغيبة والنعنة والنكالب على الدنيا وما إلى ذلك . أن
ينطلق على هدى قلبه وأنوار روحه لا يمليغوف بظلانيه مكتوف
بأمراضه ، إلا إذا أزال هذه الأواسخ وتخلاص من تلك الغيوم —
ولا يستطيع المريض أن يتجو من مرنه إلا بطيب ، وكذلك
لا يستطيع المعاوب بشوهاته أن يفل أقدار قلبه إلا بطيب ،
وطيبه في تلك الحالة هو الشيخ الكامل المحرب الخير . فإذا دخل
المريض في مثل شيخه تعدد قلبه بالعلاج . فما زال بطيء وبصف
لكل مرض علاجه ولكل علة دواها ، حتى تزول عليه علة إثر
علة — وكما أن علاج العين يخالف علاج الصدر ، ومهما يغادران
علاجي البطن ، فكذلك علاجي القلب من الحقد غير علاجي من حب
الدبا وهكذا ، إلا أن الأمصال الشافية للجسم معروضة في صيدليات
الأسواق . ولكن أعمال القلب لا توجد إلا في صيدلية الشيخ ،
لهذا وجوب على كل مسلم أن ينتلذ على شيخ نعم بأحوال القلوب .

والمبادرة إلى الالتحاق بعد أذرس الشيوخ أكثر فائدة وأعظم عائدية.
لأن الشیع إذا تولى قلب المرید قيل أن يان عليه حرمه من
حرامهم غنه ، وزاد عنہ نزغات شيطانه ، واحتجره عن ماضيه
البلاء . فيعيش على فطرة مسلمة وعافية كاملة . أما إذا تابعا المريد عن
الآخر اخط فى أستاذية شیع حتى تعفن قلبه وتكلفت حبه . وعنى
أفعه وطال يومه وأرفت عنہ وامد ألمه حتى يكتب الله له الشفاء .
ولقد حدث من قال ، الوقاية خير من العلاج . ومن هذى أنة على
أني الحسين سيدنا على كرم أنة وجهه أن الإسلام احتضن صغيراً
فلم يلوث قلبه ودن ولم يشغل خصيصة كفران وذلك من أكبر ميزاته
عليه السلام ، فإذا عقلت ما كتبت إياك أنها الفارىء الفطى فان
بنفك و خالق شيطانك و سارع إلى مجالس الأشباح فامع منه
وأفهم عنهم ، فإنك سترى الحق حقاً وما عدهه باطل ، وأن الدنيا
بعض ما حورت من أكاذيب النعيم والعن لاتساوى من تلك الجنة
التي نترح في ظلامها ونأكل من قطوفها وتنسم من أربعها فلامه
لغير أو تحامة حزير في يد مجنوم . وقيل أن تسع إلى هؤلاء
الماديين الذين ظهروا علينا ويدعون مذهب الوجوبية هرمان
ما يقولون ، أقبل على مجلس من مجالس الشيوخ ، وافتح قلبك إلى
ما يقال فيه من قول ، وما يتغره به من معارف ، وما ينظم فيه من
حكم ، فإنك ولا شك ستبني المداية من الضلال . وتأمور من
من العلة ، وقوية العين من خطط الاعتراف والشكوك : وتعلم

أن للكون عالقاً مدبراً وقادراً محيطراً، وحقيقة سرمدية بفوق
بعوتها كل كائن حي، وعندئذ ترتفق قوة التهذيب، وينتليج أمام
بصير تلك نور العينين.

الأكل شئ ماخلاً الله باطل وكل نعم لامحالة زائل
أى عزيزى المؤمن: إن هؤلاء الملاحدة الذين ينكرون
الآديان ومبادئها الشرافع لا يقلون ذلك عن تحقيده، لأن الله
أظهر في نفسيهم وأسرى فروجهم وأجل في عقولهم من أن ينكروه
بمثل هذه الآراء الخرفية والآكاذيب الملعقة، والخجع الواهية —
والحقيقة أنهم لما نقل عليهم تكاليف الدين، واشتدت على قلوبهم
فيوده، وضفت كواهلهم المهزولة عن حمل أمانة الله في دنياهم.
بنالوا رضوانه في آخر أيامهم: تحولوا من أنقال الشرافع، وصنونة
جهاد النفس بمحود الله جل نتوءه، ونبذ طاعته وأحكامه فحقا
 لهم. لقد جاءوا ثبتاً إذا، تكاد تشقق له السماه، وتخر الحال هذا
 فدعهم فهم لآخران الشيطان وروقود التيران:

والزم باب ربك واترك كل دون
واسأله السلامة من دار العنون

لذلك عرف الذين سقت لهم من الله الحني، أن نور العين
لا يشع إلا من قلوب الإشياخ، وبنابع المداية لا تفبس إلا
عن عينهم، فشرعوا عن ساق، وكشفوا عن ذراع، وعدوا إلى

الداع — ومن هذا الداع غير ابن بختها، وفارس حورتها،
وكاشف عنتها ، السيد السند والمحجة الثبت. والواصلي أكامل
البد ، سلامة حسن الراضي . شيخ الطربة الحامدية الشاذلية
رضي الله عنه . نعم لقد أفلوا عليه وجلوا بين يديه وأستمعوا
إليه ، فاستفزوا من روحه وقربوا من نوره ، فكانوا نحو ما يتدى به
إذا دجى لبل الخطوب ، وأخلصت جوالب القلوب . حشر الله في
زمرتهم ، ونفعنا بهم أمين .

البعث

إن تلكت ربنا بحبيه : فاكلادت تغرب شمس الشاذلية ورآه
الأفق وينحر على هبادئه أو أحسن رضي الله عنه نوب المسبان ،
وتنطمس منها معلم المعرفان ، حتى قبض الله طه سيدى سلامة الراضي
رضي الله عنه ، فرفع أعلام طربته وجند دارس تعالييه وأعلم
القلوب خدا روحانيته . أجمل لقد علم وتفق ، ورثي وهذب ، رسار
في الناس بولف القلوب ويعمع الشفات ، ويرث الجامع ويهدى الصال ،
وبنشر فيهم تعاليم الإنسانية وأدابه الرهيبة ويعرف لهم من مشربه
الظاهر وزلاله العذيب ، ويروض أصحابه بالأيات العبريات ، والحكم
الغالبات والمواعظ الحاذبات ، تارة في شعر مصنف ، يهر العقول ،
وتارة في كلام متور ، رقت عباراته وسللت معاناته ، وأخرى في
أزجال بدانها إلى أفهام العامة حتى لا يغونهم [كبير حكمه العالية

وروجه العالية، وبراءة في موابل تفترس معانها القلوب وتنقص
معزها العقول حتى استقاد له المعنى . وألق المأوى بين يديه عصا
التسيار . فلما غرابة أن سرت روحه في أرواح مربطيه وجرى سره
في كيان عجيبة ، ظهرت أنوارهم القدمية . وفاحت رياضتهم الندية ،
ومشت بأحاث ينهم الركبان .

لقد شعر رضي الله عنه . بأن الله قد اختص بأمانة وحمله
رسالة . فلابد من أن يؤديها على وجهها الأكمل وجانبها المرضي .
لذلك أخذت الطريقة منه كل تفكيره . وشغلته عما سوى الله .
فأفرغ وقته كله لإخوانه حضرته وتلاميذه مدرسته ، وكان في صدر
الهارب من لرزقه في عمله الحكومي ، حتى إذا أعن منه افتعد مكان
الإرشاد . فها يزال ينتقل بتلاميذه من زهرة إلى زهرة ومن ذروحة
إلى ذروحة إلى أن يتقدم الليل وتميل النجوم إلى الأفون . لا يستطع
لله راحة ، ولا يعزز عن إخوانه لتناول طعامه ، بل يحمل إليه
الأكل في المجلس ، فيكون واقعه تصفه طاعماً والنصف الآخر
لإخوانه ، وبهلاك يتطعم ما كلّ أو منيراً أو متصيناً من أصناف
نفسه للبداية ووقف وقته للإرشاد .

اعتراف المشيخة به

زامي ذكر الشیخ إلى جميع الجهات ، فعبر الحار واجتاز
البلوات ، فلما ملأ الناس به ونهاهوا عليه . حتى أصبح مرى كل عين
وكلمة كل قاصد وحبيب كل قلب ، فارتعت المشيخة الصرفية إليه
عدوا لتشد عصدها بعضده وتفوي جانبها بجانبه ، وتعزز بالكون
معه والسير مع ركباه فاعترفت بالطريقة في شهر جمادى الآخر من
سنة ١٣٤٥ هجرية — فو هذا الشهر قرر المجلس الصرف الأعلى
بربابة سعادة السيد الكرى الاعتراف بالطريقة الخامدة به الشاذلة
وشيخها ومنتها السيد «سلامه حسن الراضى» المكتنى بأبى حامد ،
ووهذا الاعتراف أصبح المجلس الصرف مرموق المكانة إذ دُعِم
إليه أكابر وأكابر طريقة وأحبابها إلى الله والناس .

وعلى أثر هذا التعيين وضم الشیخ رضي الله عنه للطريقة فأنزلنا
قبره عليه . وعين لها قوباً بالعواصم وخلقه بالسلطان والقرى ،
ومقدمين ونقباء ومرشدین مما يقتضيه نظام الجماعات .

وقد ترتب على ذلك أن أحلت وزارة الأوقاف بعض مساجدها
لإقامة الحضرات ، فكان الإخوان حضرة ذاكرة في ماه يوم
الأحد في مسجد الإمام أبي العلاء وأخرى في مسجد بيبي الحقى
في ماه يوم الثلاثاء من كل أسبوع كما ترتب على اعتراف المشيخة
الصرفية أن أخلى له في أرض المولى التبوى الشريف أرحب

رَكْنٍ وَأَلْسُونَ مَكَانٍ . كَانَتْ تَمْشِي إِلَيْهِ الْإِخْرَانَ فِي مُوَكِّبِ يَلْأَ
جَوَابِ الشَّرَارِعِ . وَبَرْدَعَ أَرْضَهَا بِأَقْدَامِ مَغْرَاجَةٍ هَرَاجَةٍ تَأْخُذُ
الطَّرِيقَ اهْتَدَا .

وَلَكِنْ أَنِّي لَهُذِهِ الْكُثُرَةِ الْكَثِيرَةِ وَالْجَمَاعَاتِ الْعَدِيدَةِ وَالْأَفْوَاجِ
الْمَغْرَاجَةِ أَنْ تَعْلَمُ مَسَاجِدَ الْأَوقَافِ وَبَيْوَاتِ الصَّلَاةِ . إِذَا فَلَادَهُ مِنْ
أَنْ يَفْكِرُوا فِي شَيْءٍ . آخَرَ يَدِ حَاجِتِهِمْ وَيَسْعُفُ رَغْبَتِهِمْ ، وَفَدَ كَانَ
فَكَرُوا فِي إِقَامَةِ الْمَسَاجِدِ عَلَى تَفْقِيمِهِمْ . فَهَامَتْ عَالِيَّةُ الْمَرْقَى سَامِقَةً
الْبَيْانَ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ جَامِعَةٍ وَبِلَدٍ عَظِيمٍ ، وَفَكَرُوا فِي بَنَاءِ زَوَابِيَّا فِي
الْمَدِينَ وَالْقُرَى وَالْمَسَاكِيرِ لِإِقَامَةِ الْمَحْضَرَاتِ : فَبَنُوا وَغَيْبُوا ، فَنِيَّ
الْقَاهِرَةُ وَالْإِسكنْدَرِيَّةُ وَمَطْحَا وَالْمَصْوَرَةُ وَالْمَنْوَفَةُ وَدَسْوَقُ وَإِبْرَاهِيمَ
وَأَسْبُوطُ وَالْمَبَا وَبَنِي سُرِيفُ وَالْقَيْوَمُ وَالْجَيْزَةُ . مَعَالِمُ حَامِدِيَّةٍ
وَهَبَاتُ شَاذِلَةٍ ، مَسَاجِدُ زَوَابِيَّا عَرَبَتْ بِوْجُورِهِ لَوْرَانِيَّةٍ وَقَنُوبِ
نَدِيَّةٍ ، وَالْمَنْ رَطْبَةٌ بِذِكْرِ اللَّهِ ، وَهَلْ يَسْعُدُ عَنِ السَّيْدِ سَلَامَةَ
رَضِيَ اللَّهُ هُنَّ بَعِيدٌ ، أَوْ يَسْتَعْصِي عَلَيْهِ مَا يَقْصُدُ وَمَا يَرِيدُ ، إِنَّمَا هُنَّ
هُمْ حَامِدِيَّةٌ ، وَعَزَّاتُمْ رَاضِيَّةٌ وَرُوحُ فَوْيَةٍ ، وَعَزَّةُ رَبَابِيَّةٍ .

مظهر الطريق

تقوم طریقتا الیة اعزها الله بعزمها، وامدھا برؤسها، وأیدھا
بأیدھا على أربعة مظاهر :

المجلس - الخضرات - المواكب - المذابات الدينية
وسفره لکل مظاهر من تلك المظاهر ، بما خاصاً بوفيق الله
وعونه تعالى .

مجلس الإخوان

كان رضي الله عنه قد أعد في بيته حجرة مستطيلة لمجلس
الإخوان ، احتجز منها ألف مكاناً مطروحاً عليه ثثيبة ، تقوم
على جانبها حيث كان آخر باب رأسitan ، وعلى بار المكان مشكاة
فيها مصباح ، وفي وسط الحجرة بسط مفروشة وثبات تدور
مع المدران . وبها ثلاثة أبواب يقفل أحدهما إذا كان المجلس
فاماً ويقوم على الثاني نقيب الطريق ، أما الثالث فطلبات الخاصة
ويأخذ عرض الحيطان لوحات فرائية ، وأحاديث نبوية ، وحكم
صوفية ، وصوره الشيخ ، وبيبر سعاء الحجرة زربات حنونية
مدلاة من السقف . فإذا أقبل الشيخ وقف من كان في الحجرة ،
فإذا جلس أذن لهم يخلوا جلة النتبه ، إلى أن يلهمهم فيقول لهم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من حيث يجلون في أوضاع مريحة ، وما هي إلا برهة حتى يكتظ
المكان على سته بالقادرين فيقدون في زحمة وضغط شديدين ؛
يقدون كما انفق عليهم ملايين الفقر لهم وقوتهم مكافف لضعفهم
وعلهم يجاوروا لجهلهم ، قد انتخت بينهم الغوارق ، وزالت الرتب .
وتاوت الاعتبارات .

فإذا ما تكلم الشيخ أرْهَفَ الآذان ، وفتحت القلوب ، وتبغض
الوعي ، يبتلعون كلامه ابتلاءاً . ويشربونه شرباً ، وينتوقونه
ندقاً ، ولا يزال الشيخ يقاضي بهم ويتناسر ، ويصلهم ويطير
في أفانين العلم ، وطرائق الأدب ، وألوان الكلام ، بعض لهم من
معين دافق ، وبعضاً من سليل جار ، بعض عقولهم الفكرة ،
وقلوبهم الحكمة . وأرواحهم التور ، وأنفاسِ الشذى مدرأً كيراً
من الوفت ، حتى إذا دخلهم الكلال واسترخوا من تعب التفاص
والمتابعة ، انتقل بهم إلى لون مازج به إلى أحاسيس قوتها ، وإلى
أفكارهم جدتها ، فيطاردهم الشعر أو يادهم الظرف ، أو يدخل
معهم في نكبة عفة أو نادرة مختصة ، فإذا أوسكلوا أن ينطروا
هذا اللون وبركروا إله لفقر رضي الله له لفقر وجاهة تخلو غاشيتها
وزرق حاشيتها وزيل عاليهم ، فبأمر أحد المنشدين فيشد لهم
طرق شاذلة أو فضيلة حامدية ، تمايل لها الأبدان وتجاذب لها
الأرواح وتجارب معها القلوب يصاغرون فيها من عالم الأشباح
إلى عالم الأرواح ، ومن خطبات الأرض إلى أوران السماء ، ويستعرضون

في إبتكها الإرتجة وندها القباح ورعنابها الشهى نعمة حلية وعفة
قدية ، وشربة صوفية وكأنما نورانية تعطّلها الأزواج فتُسكن
والقلوب فتُذكر ، والوجودان يتفاعل ، حتى إذا خاف عليهم
النوعُ على في دأمانها ، والرسيل في يدائها والتقدم في متهاها .
ردهم إلى الإفادة وأيقظهم إلى الصحو واتشتهم إلى الوعي ، ف تلك
بهم طريقة لها لون جديد .

فأى بحر ينبع منه إذا شفقت الحديث في ظاهر القرآن والحديث ،
وأى درر يُنْذَفُ بها إذا تناول الآية القرآنية أو الحديث الشريف
بالشرح والتأويل ، كم حكمة يتصل بها ومواعده يتنطها ، وعبرة
يخلوها ، وفاهدة يقررها ، ثم يكتشف عن هذا المعين الذي استخرج
منه أصحاب المذاهب ففهم والمبدأ الذي كونوا منه آرائهم والمهوى
الذي عُنِّي به بعضهم والصحيح الذي كان يحب عليهم أن يلحوظوه ،
إذا أشع ساميته وروى ظمام قلب الآية حيث تستريح على وجهها
النوراني وجاتها الإشاري وباطئها القدسي فكشف الآثار عن ،
حقيقة ، وجل الأ بصار على أسرارها ، ففتح بها قلوبها ، وأرج بها
أورفا ، وهدب بها فهرا .

وقد تمع في بعض الأحيان جملة عاجزة فلا تنفع لها أذنا ،
ولا تتحمها أهتماما ، فيردك إلى باحثها فإذا هي عاصمة المعنى غزيرة
المادة طيبة النثر .

خلو سمعت جملة ، السكلال في الملاح صدف ، تلك التي تجري

على الله العامة من غير دعى أو فهم ، ليدعك منها ما ينده الفاعل عنها ، ولكنها تراثى إلى أذن الشيخ بضم فها كثيراً كاملاً تقرأ في ما حوت من معان وما جفت من درر وما قدفت من جواهر - مدق الله العظيم ، انفوا الله ويعطكم الله ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : ، قبل يارسول الله أى جلاناً خبر ؟ قال من ذكركم الله رزقه ورثا في علمكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله ، ومن أحسن من الشيخ رفية وأفضل منه منطقاً وأرضي منه عملاً .

أما رفيته

فكان رضي الله عنه جداً نأسراً رؤبته من النظرة الأولى ، فكم من مقبل جاء مصالحاً أو مستطلعاً أو مغرياً فما أن يأخذه المجلس وتنظر فيه أعضاؤه حتى يرى في الشيخ رضي الله عنه شيئاً غير مألوف ، ولو ماً غير معروف ، ووجهها واضح على ظاهره خور ما في قلبه ، قيلحظ فيه واسع رحمة الله ، وجمال كماله وضيق فمعنه وكريم إحسانه فلا يخرج من لده إلا متعاقداً معاها .

ذلك لأن قلوب الصالحين هي بط الأنوار ومرح الأسرار ، وبيت الله ، فإذا أخذ الجسم من هذا كله لونه وبشكل بشكله ويشع بفيضه ، وكل مرشد يرى الولي بحبه وقوه استعداده وسلطان روحانيته ، فكم من رأى من الإخوان جسم الشيخ رضي الله عنه

مخطوطاً في نوره ومكانه ملفوظاً بكتابه وموصوفه محجوباً بمحفظته
وظاهره غبياً في باطنها ، وأبعاد جسمه من أبعاد همنه:
على قدر أهل العزم تأثر العزائم وتأثر على قدر الكرام المكارم

أما منطقه

فقد كان الشيخ رضي الله عنه فصحيحاً لـ ، وبلغاماً تازاً . يشهد
بذلك مؤلفاته العديدة ، وعباراته الديدة ، وقصائده المحكمة .
وردوده المقتحمة ، بطرق فناب الألفاظ من خارجها طلاقة مستحبة
وتدور الكلمات على لسانه رطبة مليئة جرسها موذون ، ووقفها
متظلوم . فإذا تناول المسئلة مهد لها ثميناً يعين على حل عقدها .
ويقرب ما بعد من معناها ثم يجهلها بالخل والتغافل فيغضي بيكارتها
ويكشف خaciتها ، فإذا هي في وضوح الشمس ومقر العقل بأسلوب
أخذ ومنطق جبار وإفصاح مبين .

ونما بدل على قوة منطقه وروائع اطلاعه وغير عله . أنه ربما
دخل مع بعض الإخوان الحائزين على أعلى المراتجات العلمية في
حاثة فقهية أو إلهية أو علمية فيعطي ماذره الجانب الأقوى من
المسئلة ويتولى هو رضي الله عنه الجانب الضعف منها ، فما يزال في
يدانه بمحاوره ويداوره حتى يسلم ماذره سيفه إليه . ويخضر صريعاً
بين يديه ، فإذا فعل — ولا مندوحة إلا أن يفعل — هذه إلى

الجانب الذي فاته ، والمعتمد الذي حصل عنه ، والأخذ الذي منه
أخذ حتى يتبين له الطريق .

وكان رضوان الله عليه ، صاف المزاج سليم الفطرة حاضر
الجلوس ، سأله أحد الإخوان عن معنى حديث الرسول صلى الله
عليه وسلم إذ وقف على باب الكعبة وقال ، وافقه إن حرمة المزمن
عندى خير من حرمة هذا البيت ، فقال له رضي الله عنه من
هوره : ذلك لأن قلب المزمن يبت أقه ففي الحديث القدسي
ما وسعني أرضي ولا سعاني ولكن وسعني قلب عبدي فأتو من .
أما الحرم فييت الناس قال تعالى : إن أول يبت وضع للناس للذى
يبيك ، وفرق بين يبت وضع فه وبيت وضع للناس . . . وكم له من
آيات بالغات ، وحكم متورات . ورواقع غالبات رضي الله عنه .

وأما عمله

فلم ينكر الله أطوال سجدة . وأسرر ليه ، وأرق مقلته : واظطا
كبده ، وأجماع أحسانه في سهل أقه . وناهيك به بشكوى مرض
جواسير تنزف دمه وتشعب أذيه ولا تقدره مع ذلك عن أن يتلو
، لا إله إلا الله انتي عشرة ألف مرة كل ليلة ، حتى إذا اتصدع
عمود الفجر خلور من يومه ساعيا طاويأ ، ثم يستعرق في صلاته
ساهتين كاملتين على قدمين أضناهما المرض وهز هما السقام ؟؟ أي
عمل هذا وأية بجاهدة تلك إنها همة قلب ضعف عن معاشره الدين

البدن وكلّ عن بخاراته العصبة . أخذ نفه بالشاق من العيادة ، وهو رطب الجسم لين العود صغير السن ، وكان كلًا تقدّمت به الأيام تضاعفت عليه الآثار وتحاملت الصعب ورفع على كاهله أعباء وأعباء الناس .

إنه ليخرج من عمله في وقفة الشس لدخل بين مرتبته وأتباعه إلى خبرة الليل فيأخذ ورد وتدب وتفويم ، ثم يأخذ غقرة ساعات ينهض على أزها إلى مقر عمله ، فإذا دار الأسوء لا يرفض دعوة داع ب neckline إلى نافل البلاد يقطع نصف يوم ذاهماً ولصف يوم راجعاً في مدى يومين متوافين يستأنف بعدهما عمله من صدر الأسوء إلى أن ينبع عطله السوية فيقضىها رضي الله عنه متقللاً بين القرى والدساكير ، والمدن والعواصم ، في حسب الأرض ومحاذيرها ، وبين شلال الوادي وجحوره ، تكبّه الضخمة ، وقضيبه الجلة ، وتوّرقه خشونة المضخم ، وهو مع كل هذا حابر حنف ، راضي القلب ، ضاحك الآسaris ، لا يشك ولا يتألم بل يرى أن كل هذا قليل في سبيل محبوه ، وناه في جانب الله ، حتى ذوى جسمه ، وغربت نظرته .

وإذا كانت النقوس **كباراً**
تعت في مرادها الأجسام

أدب المجلس

مجلس الشيخ مصون الحرمة عظيم الملة مشرق الطلع لا يطجمه
واليح إلا ياذن ولا يجلس في مكان إلا باختيار ، فإذا جلس لا يبتدر
إلى الكلام ابتداء إلا إذا طارحه فيه الشيخ ، فإن نكلم قصوت
خفيف فوق الحس ودون الجهر ، وبكلام براعي فيه الدقة والذوق
الليم وترطيب العارة ، وإذا ناقش ياذن الشيخ أحد إخواته أخذ
وأعطي ، لا يسفه له رأيا ولا ينتقص منه فردا ، بل يتعاون معه
لاظهار الحقيقة وكشف صبح الم惑ات مثله في ذلك مثل من أضل
صلبه فهو يبحث عنه ملحا في البحث حتى إذا أنصاه السير وأحفاء
السرى وقعد به الأذين استعن بحاره فلياء ، وجال جولاته أو جولات
في الأزقة والخارات ، فعن بال الطفل متظرباً على قنه في ركن
يقنف فعله إلى أبيه ، فما أسرع ما يقابل الآب جاره في عنق
وتفبيل ، شاكراً له داعياً . هذا المثل ينطبق على الآخرين إن راحوا
في نقاش أو اختصروا مائة أو شدوا حقيقة ، فلا جدال ولا
خمام ولا حدة ولا هراء ، وكثيراً ما يخلو الحقيقة أحدهم ملايدعها
لشهادة لا يتها إله ، ويحاول جاهداً أن يجعل فضله لأخيه ووردها
من مائه . تلك أخلاق صقلها الشيخ رضي الله عنه وتنفس رفق
حوائجها ، ورجال صفعهم بأنسق ريشة وأجمل طلاء .. وكثيراً
ما يرونه أن ترى في الآخرين فقيراً خف دخله وحال لونه ، فما

هو إلا أن يلحوظ في إخوانه عورته حتى تنسى إليه أبد ملبة
وهو أساة كريمة وما يعبه على الاحتمال . وقد يجتمعون في جمunion
لهم يصلاح ويرسلونه إليه مع أحدهم حتى لا يحملونه منه أو يدابنه
معروف . وقد يعرض أحد الإخوان ، فرو الله ما فر حنه بالطيب
المداوى يحصل إليه العلاج والشفاء شيئاً إذا زاره أحيازه وعاده
إخوانه ، بل ولا تأوى زيارة هذا الطيب تقراً إذا جاءه رسول
يحصل إليه سؤال شيخه ، ودعاه له بالصحة والسعادة . ولعلك
لو رأيت أحد الإخوان عاطلاً من عمل ورأيت إخوانه يضربون
في كل فج ويستبعون كل قفر ويختازون كل صعب يعلوا بينه
وين رزقه لعلك لو رأيت هذا الامت كما أوصي بأن هؤلاء الناس
خلقوا من طينة غير طينة البشر ومن تربة غير تربتهم ، والحقيقة أنهم
طردوا كما نظر الناس ، ولكن الذي روى عنهم وفوم عورتهم
وشعب فرعهم مرب حكم وأستاذ علم وشيخ كريم رضي الله عنه .
وبعد فلا من درجة أنها القاري ، الكريم من أن تعرف بأن
جعل الشیخ سلامه الراضی ما هو إلا قطعة من مجلس الرسول
الأکرم صلی الله علیه وسلم كفلاً والولي بين إخوانه كالرسول
بين أقوامه — إن لكم في رسول الله أسرة حنة لمن كان يرجو
الله واليوم الآخر .

مذكرة المجلس

جلس الشيخ رضى الله عنه مدرسة كاملة فيها نعم الدنيا والآخرة
وغايات العقل والقلب جمعاً . روضة أريضة فيها أطیاف وألوان
وزهروں عمار . ومن كل فاكهة زوجان قنطبيها النغوس ، وتجب
لها القلوب وتنفع عليها المثاجر وتفرد على أفالها الأحابين .
لأنزال قسوع وقمع وزربو وزيبد إلى أن تكشف عن مجلس البد
لامة الراضي ، إلا أنها زهر وكرروم ومجلس الشيخ معارف وعلوم ،
وهي أعدت للبطون وهو أعد للقلوب ، وهي جهة الامباح وهو
جهة الأرواح ، وهي تحرى في البطون فتخمر ، وهو يسرى في
القلوب فتطهر .

هذا الحيز الضيق المتراري في حارة خط الرملة كم أخرج من
علا، وكم طهر من نفوس وكم هدب من أخلاق، وكم نرق سما،
الدنيا كواكب ونجوما، وتفتح أركان الشرق معارف وعلوما -
لقد انتفع باليد سلامة الراضي الأحباب والأعداء، جيما: أما
الأحباب فقد علت؟ وأما الأعداء، فقد تعلموا منه حل، إذا سفروا
وعفوه إذا اعتدوا، ورشده إذا اضطروا، وكرمه إذا لعنوا، ورفعه
إذا أسفروا، حكموا على أنفسهم بأنهم هم الفباء ولكن لا يشعرون.
لقد عظم الشيخ وهدب ورثي وقمر، وأخذ مراارة من قوس أمارة،
وطلبه قلوب ما باض فيها الشيطان وأفرغ، وأخذ بعضى الحال إلى

ستوى الطريق وقطع رأس الغواية بيف الهدایة . وأمن البائس وأعان البائس . فرجى الله عنه من تلقى نهى أدى الرسالة وزان الإمامة على هدى من القرآن الكريم ، ونور من سيرة سيد المرسلين صل الله عليه وسلم .

مادة الدرس

يجلس الشيخ رضى الله عنه تدرس فيه علوم متعددة ، إلا أن أخص ما كان يعنى به شيتان : علوم الحقيقة وعلوم الشريعة ، وكان الإخوان على أحوال متاباته فيهم العوام وأنصاف المتعلمين والعلماء . وكان ينبع لكل نوع يدلو به فاما العوام فكان يقف بهم على الضروريات من أحكام الدين والشريعة لا يشوش عقولهم بآراء الفقهاء المتابة وهذا هم المختلفة ثلاثة بغير قوافي دوامة لاتقى جلتهم للنجاة منها ، فكان إذا بصرهم بحكم من الأحكام شرح لهم سره وأرشدهم إلى جذوابه ، فإذا عرضا كتبية الصلاة وأركانها مثلاً شرح لهم معنى الركوع والسجود وما يشير إليه قوله تعالى أهداهُ الصراطَ المستقيم ، ثم يشرح لهم ما هو الصراط المستقيم ، أي أنه لا يلقيهم الأركان حاصدةً صها ، كما كان يقرئوننا إياها أستاذة العلم الأجلاء ، أما التوضتون فكان يتخذ منهم طريقاً وسطاً يشع استعدادهم ولا يشم عقولهم ، فكان رجى الله عنه يذكر لهم الحكم من الأحكام على مذهب من المذاهب ، فيهدى بهم إلى طرفة استباعه من الكتاب وال سنة على

أصل المذاهب وقواعده ، ثم يرتفع بهم شيئاً فیشرح لهم نفعه
خلافية بين مذهبین أو أكثر ويهذبهم إلى أصل كل مذهب فيها إلا أنه
كان يقف بهم دائماً إلى الماء القريب من شاطئه . رقيق الموجة قریب
القاع يستطيعون أن يسبحوا فيه آمنين — أما العلماء الدارسون
فكان له معهم شأن آخر ، فهو لا ينافشهم في الحكم من أين جاء
ولا كيف جاء ، وإنما كان يبعد إلى الحكم ينافشه لتبين طريقه
إلى إصلاح القلب وتهذيب النفس وكبح الشووة . أى أنه كان يبلغ
بهم طريقاً يوصل إلى روح الشرع وسره لا إلى ما يفسره الفقهاء
من القائله وبقائه .

أما فتحه الحقيقة فهو الذي كانت تتخى له ركب الإخوان ،
وبتحفز لفهمه الوجدان وتعنى له الأسماع وتتصفح له القلوب
وتستطعه الأذواق لأنها مخاطبة القلوب ومناجاة الأرواح ولا يكفي
الحكمة وفتح الجنة ، اسمع إليه يقول رضي الله عنه :

إذا أقبل المرشد على ساداته فاز بمحفظات أوفاته ، ومني بآباده
عنه فربت المدد ينعد من قلبه على التدرج فتضفت نوره كلاماً فل
زيته ولا يزال نور قلبه في ضعف حتى يتم تقاد زيته فيتحقق نور قلبه ،
فإذا أراد الله به خيراً وفقه لدوام إقباله على ساداته فيعلو نوره بزيادة
رتب المدد فيقي مباح قلبه متقداً إلى الأبد في زجاجة جسمه
الصاف المستير بالخلل عن لوث الأغمار والخلل بوحشامة الطاعات
وهو في ذلك كله دائم المزيد في الاستارة بالمدح حتى يكفر مدده

ويتضاعف ، وبذلك يقوى مصباح قلبه قوة زائدة فلا تطفئه ذرائع
الفن والمعنى . فإذا آتى من شيخه هذه القوة وعرف أنه بلغ ملوك
الرجال أمن عليه من تخلفه عن شيخه وقتاً بعد وقت ، ولا يزال
يساره في طريقه حتى يتکل ، ويصر إماماً يقتدي به في طريق
ريه ، أنتهى .

بمثل هذه الحكم الفالبة والجواهر المتقاء تدور مادة الدرس
بين حلقات الإخوان ، فهل رأيت معنى أسمى غاية وأبعد سلطاناً
على النفس وأرجى طريقاً للهداية أحلى من هذا الذي ينفعه
الشيخ رحمى الله عنه تلاميذه وينفعه لاجيائه ؟ أرىت البلاغة في
أجل مهاراتها والحكمة في أعلى مراتبها والمثال الرائع الأخاذ في
طريقه إلى العقل وسيره إلى القلب واستقراره في الوجدان ؟ إنك
ولا شك اقتنعت بأن الصوفيين هم المحصرون في قول الله تعالى :
، إنما يخشى الله من عباده العابد ، ، واقتنعت أيضاً بأنهم هم الذين
يشير إليهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : « علهم
آمنى كأنبياء بي إسرائيل » .

مناقشات المجلس

ما كان رضى الله عنه بناءً بالحديث دون أبناءه بل كان
يعلمهم على الكلام ويتجعلهم على التفكير والحديث الطويل ،
وإبداء الرأى في نوع ما يأتكون فيه شأنه في ذلك شأن المدرس

أختير الذي يوْقظ دائماً أذهان تلاميذه بالسؤال حتى لا يرحوها
في غفلة عن مذاقه والسير معه — وكذلك كان الشيخ رضى الله
عنه مع مربيه يكتف أحياناً بأن يأنس بحكمة أو مثال أو توضيح
موجّح مطروح، فيأتي بما يحضره ويبتليه آخر وأخر، والشيخ
مع ذلك بدقة الماذقة، حتى إذا فرغوا ألاعيب عليهم من نور قلبه هاشاً
الله أن يصيغ . وإليك صورة ما كان يدور في بعض المجالس :

قال رضى الله عنه في بعض المجالس للإخوان « ليات بعضكم
بحكمة »، فقال أحد الإخوان « فتح الباب في صفا، الأباب »، فقال رضى
الله عنه « الصد في القلوب من بقايا التقوس »، فقال أحد الإخوان
« تنوير القلوب من تحلي المحبوب »، فقال رضى الله عنه « من خرج
من قصوره ظهر نوره »، فقال أحد الإخوان « اترك المظاهر ترى
الحق ظاهر »، فقال رضى الله عنه « من علامة التعلق بالخلق التغير
عند المدع أو الدعم »، وقال أحد الإخوان « من شهد الأفعال تحمل
عليه الفعال »، فقال رضى الله عنه « ومن تحلى عليه الفعال سقطت
عليه أبواب الصفات »، ومن أضيق حل في أبواب الصفات صار محوه
بياناً وموته جبة وفاته بقاء وذله عزآ وفقرآ كلاماً، فقال أحد هم كلاماً
قال بعضهم :

موقن جان حموي ثاق ذل عزى فقرى كمال
قال رضى الله عنه « نعم ، هو ذاك ، ثم قال رضى الله عنه :
« من وقف مع الذكر فقد وقع في الفكر فهو نجت حكم العقل »

ومن كان تحت سلطان عقله لا يفتح له باب غيه ، ومن لم يفتح له باب غيه لم يكن له نصيب من الدوق ، ولم يكن من القوم ، وعنه ولد عقله ونتيجة وهمه تارة يخطى . وتارة يصيّب ، ولم يكن من جلس علم أهل الله ، انتهت المذاكرة .

أقه أكبر ما هنـه الأنوار الربانية والكلالات الإلهية والنفحات القدسية ، أسمعت مثل هذه المعانـى وقضـت ما في هذه المـائـى ، وشـمت أرواحـ الـربـاحـينـ وـفـحـ البـاحـينـ وـلـمـ الـأنـوارـ تـطـعـ منـ القـلـوبـ كـلـ تـطـعـ الشـفـقـ فـيـ أـفـقـ النـرـوقـ — هـذـاـ هـوـ الشـيـخـ وـهـؤـلـاءـ هـمـ تـلـامـيـذـهـ ، وـنـلـكـ طـائـفةـ مـنـ أـقوـاـهـمـ حـدـقـ اللهـ العـظـيمـ ، وـمـاـ يـلـقـاهـاـ إـلاـ الـذـينـ صـبـرـواـ وـمـاـ يـلـقـاهـاـ إـلاـ ذـوـ حـظـ عـظـيمـ ، فـعـنـ آنـبـهـمـ أـجـمـعـينـ .
ولـمـ يـغـتـصـرـ جـلـسـ الشـيـخـ رـضـىـ اللهـ عـنـهـ عـلـىـ مـاـ كـانـ يـدـرـسـ فـيـ مـنـ هـذـهـ الـأـلـوـانـ ، قـدـ كـانـ هـنـاكـ نـاجـةـ أـخـرىـ حـفـيرـةـ بـالـتـجـيلـ وـهـيـ نـاجـةـ الـأـدـبـ ، وـقـدـ كـانـ الشـيـخـ يـنـظـمـ وـجـدـانـيـاتـهـ الـرـوـحـيـةـ وـغـزـلـهـ الـصـوـقـ ، فـأـشـعـارـ وـأـزـجـالـ وـمـرـاوـيـلـ ، حـبـ اـسـتـعـادـ فـيـهـ تـلـامـيـذـهـ وـتـنـصـيـعـ فـيـهـ رـوـحـهـ ، وـمـاـ هـوـ عـلـيـهـ مـنـ وـفـاءـ لـحـيـهـ وـحـرـصـ عـلـىـ مـرـبـيـهـ إـذـاـ سـمـتـ هـذـاـ الـمـرـأـلـ بـجـرـيـ عـلـىـ لـائـهـ :

مـنـ جـنـاـ جـنـاهـ وـصـارـ مـتـاعـنـاـ مـتـاعـهـ

وـمـنـ فـانـاـ مـاـ فـنـاهـ وـعـارـ عـلـىـ ضـيـاعـهـ

نـمـ إـذـاـ سـمـتـ فـيـ مـسـتـهـ قـصـيـدـةـ حـامـرـةـ الـأـيـاتـ ، يـسـتـحـثـ عـلـىـ زـيـارـةـ أـهـلـ الـبـيـتـ وـيـسـرـكـ بـعـكـاـتـهـ عـنـ دـافـهـ :

إذ أرمت العلا والعز فاقتصر سكينة بنت سيدنا الحسين
وعند ضرِّها قف باحترام لتشهد نورها في الخاقين
ثم اسْتَمْعَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَهُرَهُرَتْ فِي بَحَارِ نُورِهِ
فِي زَجْلِ رَفِيقٍ :

لَا بَدَتْ أَسْرَارُهُ وَتَشَعَّبَتْ أَنْوَارُهُ ظَهَرَتْ لَنَا آنَارَهُ
قَبَرُكَ الْمَوْلَى الْعَلِىِّ يَا صَاحِبَ كَرْدَكَرَهُ وَاحْذَرْ جَنَاهَ وَهَجْرَهُ
وَالْزَمْ رَضَاهَ وَأَمْرَهُ تَصْفُو وَقَبْلَكَ يَنْجُلِي
وَلَكَ أَنْ تَسْعَ أَبْيَانًا مِنْ قَصْدَةِ صَاغِهَا مَدْحَافُ رَسُولِ
اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

الحمد لله الذي قد أوجدا من فضلته نوراً به عم المدى
هو نور خير الخلق طه المصطفى قد كان للأذكوان حفاماً متدا
هو رحمة للعاملين ونعمة فاضت على كل البرية بالتدى
فلا مثابة بعد ذلك أن يحاكيه إخوان الغربق ويجرروا على
سلوبه ، فنظموا تصانيم عاصرات وزاز جالاً وموشحات ، فرأيت
سوق الأدب ، وتفتحت أذهان الإخوان ، على معانٍ سامية ،
وأفكار عالية :

رَعَى اللَّهُ أَيَّامًا تَقْضِي بِطِينَةٍ وَجَا لِيَالِي مَا عَرَفَ هَذَا قَهْرَا
لِيَالِي وَصَالَ لَوْ تَابَعَ شَرِبَتَهَا بِرُوحٍ وَلَكِنْ لَا تَابَعُ وَلَا تُشْرِي

خلفته

لا والله ما تفشت هذه الأيام ، ولا تصرم جلها ولا حال
جديدها ، فكل ما عهدنا في شيخنا الكبير لسناء في ابنه البار الكريم .
إن في سيدنا وابن سيدنا الحجوب المقدى عني بعض من صغر ، وفقرة
تحفظ من ضعف ، وحناناً يصون من ضياع ، وما كان إلا ليكون
هكذا ، فالشمس تعطى الخصب والزهر ينبع العطر ، والعين تهدي
النور ، والأصل ينبت الفرع ، وما كان شيخنا السيد إبراهيم سلامه
إلا بعنة من قلب أبيه ، ومنحة من يده وسرأ من أسراره وزهرة من
غواره ، وأشهد لقد قام بالرسالة وأدى الأمانة وأحكم الوصاية ،
وحفظ بحارات أبيه من الضياع . لقد خلص الله عليه ثواب الإمامة
وهو مقبل على الشباب ، ومهد له دست الخليفة وهو في ثوب الغلستان
قائم بها حباً ، وسيرها واعياً على صراط مستقيم ولم تفقد بفضل
آله وعورته من شيخنا الأكبر إلا وجهه الكريم ، أما ما عدنا ذلك
 فهو هولم يتغير منه جدة ، ولم يصل فيه لون ، فالنسم العليل ما زال
يسري ، والزهر الفباح ما زال يتفتح ، والمجلس ما زال عامراً والخير
ما زال غمراً ، إنه كما كان أبوه مقصد الطلاب وبقبة الأحباب ومنبع
البركات ومحبط الرجا ، وبيت القصد وكل الأمل . يطار حلقة الحديث
ويriadل الحوار ويتحقق الكلام ، فما يحرر هذا الذي يُقلب جواهره ،
ورأى حقل هذا الذي تمرج معارفه وأية ناجة تلك التي يشرف بك



السيد ابراهيم بن سالم الراضي
شيخ مساجن الطريقة الحامدية الشاذلية بالجمهورية المصرية

فيها ويغرب ، وينيامن فيها وينياسر ، يكشف حججها ويتعلق صغرها
ويبيض ماءها ، يحيط جبار ساحر ومعرفة فية جامدة . ما هذا الفتن ؟
إنه لم يتعلم إلا في مدارس مدينة لائحة إلى هذه المعارف بسبب .
فنأى طرف جاءته هذه الطرف ، ومن أى متبع ارتوى ، ومن أى
ماتقطع التقط ثمار العلم والنور والعرفان ، إنها العناية الإلهية والمحظى
الربانية ، والسر الذي لم يكشف لعقولنا حتى الآن . لقد عثرا مع
والده صرراً من الزمان وأخذنا عنه ما وسعه عقلنا وحاتم به
نفوتنا ، وإذا نحن بسابقنا وذخائرنا نجلس أمامه فارغين ، ونكسر
إليه ركينا متعلمين ، وهو لا يزال في يكرة يومه وربيع عمره المديد
ونحن قد نيقنا عن الخسرين .

لقد سار بغيراث والده قديماً بين الزلازل والأعاصير والمحن
المريمة والأشواك الشائكة ، فاوهن ولا استكان ولا أمر لهم
يلأس ، بل صدأ أيام العواصف واستقر أيام الغربان فنفرقو بدداً
وتازروا هرباً ، وأخذ هو بدقة الطريق ، فنجت وسلمت ولاذت
بالأمان . دكم لبدى لبراهيم من أيام ذكر فتشكر ، دكم وصل من
فظير وأنفذ من غريق ، ووصل رحم والده في تلاميذه وأحبابه ،
فلا سمع عن أحد من قدامي الإخوان نزل به هم أو أبناءه ضيق
أو ألم به عسر أو فاجأته صائفة إلا أسرع إليه برؤده وعزاته بخيشه
وربه وواساه بحانه وعطافه . وقد سرت عاصفته هذه في أرواح
إخوانه ومحبيه ، فاختلطوا أخته وساروا على قدميه فلا يخلو مجلس من

عاله العاشرة إلا أنه عن واجب ، وابتداً بتأمل وغير معروف .
فقة أنت من بد مت عن حذارة ، ورفعت عن أخلاق
فرقت لك الرفائب ولا تانت لك الصعاب ، فسر يا سيدى في طر يقل
تحدوك الرعاية وتلذنك العناية ، بين قلوب من إخوان تندبك
بسويادتها ، وعيون من أحباب زملائك يائاتها ، ومدد من أئمك
يرفعك جنباً ، ورضي من ربك بعلبك مقاماً .

وأقه نسأل أن ينفع بث الملين ، وبهدبك الصراط المنضم ،
ويطيل في عمرك وينسى في أجلك ، وبجعلك رجاء الراحين وقلة
القادرين ، وأن ينحلك صحة وعافية وسعادة كافية ، ورعاها أخصر
و يوماً أزهر ، إنه سبع عجب .

الشاذلة

الشاذلة تقب إلى سيدى أبي الحسن الشاذلى ، رضى الله عنه ،
ولذلك سُبِّت ، الشاذلة ، . وسیدى أبو الحسن قطب عظيم ، ومربي
كبير ورجع علوم وبيت معارف ، نزح رضى الله عنه من المغرب
في أيام الدولة الفاطمية — وهو شريف حسنى — وكان رطلي الله
عنه بحراً بعيداً وواحد في علوم القوم اعترف بمكانة القرية كبار
الأولياء ، كيدى أحد البدوى وتلذذ عليه جلهم ، كيدى العباس
المرسى ، وأخذ من مشربه سيدى الشيخ سلامة الراضى رضى الله
عنه وإله أقرب ، وضرى بمحى سيدى أبي الحسن مزار في أرض الصعيد .

ولما كانت طرفة أعلى الطرق وأسماها، وأكثرها انتشاراً
وأمثلوها أسراراً كانت نهاية السالكين من غيرها بداية طرفة،
ولذلك قالوا : « من لم ينزل حاله لن يتبدل » .

ولما سأله سيدى أبو الحسن ربه بقوله : « رب لم يحيتني الشافعى
ولست بشاذ » ، فوقع في نفسه جواب ربه ، لأنك شاذى » .
وقال رضى الله عنه : لوحجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين ، وقال سيدى الحق رضى
الله عنه : أفل رسول الشاذلة من عادهم ، العنى والكناح وخراب
الدبار — وقال بعض متابيعنا رضى الله عنهم حتى الشاذلة
ثلاث : الأولى أنهم مختارون من اللوح المحفوظ ، والثانية : أن
المحدود منهم يرجع إلى الصحو والثالث : أن القطب لا يكون إلا منهم ،
وقال متابيعنا : صبغا يصبح غيرنا ، وصبح غيرنا لا يصبح صبغا ،
وقالوا نهاية كل طريق بداية مرده ، ونهاية الشيف بداية المرشد .

نكون مریداً ثم نبتل إرادة إذا لم تكن ثبناً فانت مرید
وكان سيدى أبو الحسن رضى الله عنه شخصيته قوية لأنها مجموعة
معارف علوية ، ومرجع معارف الدنيا ، ومن كله أنه بالعلوم الباطنية
ظهر أثر هذا الكمال على أبعاده الظاهرة ، فارتفعت منزلته وقوتها
حياته ، بخاء إليه الرجال جانين ، وأمر عرايا إلى طالعين .

ويظهر أن الله جل جلاله خلق مثل تلك الخلبة التي كان يتعلل بها

بدى أبو الحسن رضى الله عنه ، على سيدى سلامه رضى الله عنه ،
فكان ملء النقوس والقلوب ، ودائرة نفحة الجلال والحبة ، دبوبي
الحكمة من بناء ومن بؤت الحكمة فقد أوفى خير أكثراء ..

شخصية الشخ

قصد بالشخصية قوة سلطان الروح في قلوب الحاضرين ،
وتمكنية صاحب تلك الشخصية من التأثير على قلوب الشاهدين ،
وقد كان شيخاً رضي الله عنه بالغاً للغاية الفصوى في تلك الناحية ،
فاقصده قاصد ، أو نزل به نازح ، إلا وقع تحت حب هذه
الشخصية الجارفة .

وربما تسامع به بعض الناس فيقبل عليه زائراً أو ملائكة ، فـاـن
يختربه يطلعه حتى يرى أنه واقعاً تحت حب شخصية عظيمة .
وحاذية طاغية .

ومن العجب حقاً أن بعض كبار المتعلمين الذين يخدعون
أنفسهم بالوهم ويرونهم أكبر من أن ينطوا تحت أحجحة متابع
الطرق الصوفية وأعلى مرتبة وأكثر امتلاه بما تعلموه من أن يديرون
لهم لا بطاعة ، أو ينحرطوا في مجالسهم كلاميد ، حتى لقد يتحكم
فيهم الغرور تحكمأ يخرجهم مما لا يليق بالأدب يطعن ظهور هنولـاـ.
الآادة من الخلف ، بما يكتلونه لهم من انتهاص وقصيرة ، كما كان
بعضهم يتعدى الإمام ب مجالسهم ، لا لدواعي رغبة أو لحسن استئذان

أو لنجعل إفادههم أغنى عنها بما حفظوه من بطون الكتب وبما
استظهروه من أقواء المدرسين ، ولقد هم كانوا يغشون عجائبهم
لبنفسها ساعة أو بعض ساعتين بهذه الشخصيات الواقعية تحت تأثير
هذه الذهاب بائنة على علبها الدهر . مع تراكم ذهب تحت أنفاس زمن
حبيق أو ليشعوا رغبة فاكهة هزلاه ، الدراويش الذين يتضاحكون
بآذن كار تحت أعمال بالية وحرق تحمل شارات الطريق أو للإعراض
على هزلاه الساده ، بما يربو عليه الناس من مذاهب وطرق تشغيل
الذاجن مما ينفع وبجرى ، أو لأى غرض آخر غير الغرض الذى
يحرص العقلاء عليه من استغادة بعلم أو استزاده بمعرفة ، حتى إذا
أقلوا على مجلس الشيخ رضى الله عنه وأخذوا أماكنهم منه إلا
وتبدلوا شيئاً فشيئاً وانكثروا بين معاطفهم ، ورأوا أنفسهم فوق
دوامات في بحر عجيب القاع مترامي الشوامخ . ، فتصبح أعواجنه
وبعير عجاجه ، فتباين يستيقنون من أحلام كانت تناورهم في نوم
مزورق وليل مخدوع ، هل بقدرة عاصرة من صاحب بلغر مشرق وديوم
كريم . وإذا ماهم عليه من علوم ومعارف طالما طاولوا بها نجوم
السماء زهوآ تتلاشى وتنبخر من حرارة هذا القبس الإلهي المشع
من قلب هذا الشيخ الشكـنـ الكرـيمـ ، وإذا بهم يبـاعـونـهـ ويـعـقـدونـ
على بيـدـيهـ ولاـ الطـاعـةـ ، ويـصـحـونـ بينـ إـخـوانـهـ منـ جـلـةـ الـأـصـيـاءـ .
ورجالـ الطـريقـ .

ومالـ أـذـهـ بـكـ بـعـدـ آ وـ فـ نـفـىـ مـنـ ذـلـكـ . لـقـدـ كـتـ

حرباً على الطرق بأسرها في ميزة الشاب وتفتح العمر . وكت
أعتقد ما يعتقد بعض الناس في أن هذه الطرق ماخليت إلا لاستهواه
بسطة الناس وإغراء النجاح منهم ، وأن أفكارهم بدائية إن استقامت
في أفكار الدهماء فإنها أبعض من أن ترقى إلى أفكار المتعلمين ، وأن
سوقها لا يعرض فيها إلا المطعم والمشروب من أصناف اللحوم
وألوان التزييد ، وكانت أتفم على بعض إخوانى المدرسين الذين بقيت
لهم الحادة والتحقوا بالأخوان الطريق ، وأوسعهم لوماً وتعيضاً ،
وأدبيتهم ألواناً من العنت والتصغير .

وكان أكثرهم تحملأ وأفسح لهم صبراً وأكبرهم قلباً ، الحاج
محمد الروبي أحد خلقه طربتنا السنية ، فما زال يطاؤنى ويستدر جنى
ويحتال على ، حتى أجلسني بحلاً واحداً من الشيخ رضوان الله
عليه ، بحلاً واحداً ، خرجت من بعده مؤمناً بأن الله الذى خلق
العين وأودع فيها النور ، ونطر الزهرة وأودع فيها العطر ، وذرأ
الجسم وأودع فيه الروح ، خلق سيدى وملاذى الشيخ سلامه الراضى
رضوان الله عليه ، وخلق فى الور والمعرفة والمرء العظيم ، حتى
صرت لا أعلم صبراً على بعده ، وأتهزء فرحة تعطيل المدارس
وأنزع إلية من قلب الصعيد ، حتى من أنه على برعايته ، فقللت إلى
القاهرة ، فقللت إلى جوار سعد .

ومن عظيم شخصية شيخنا رضوان الله عنه ، أنه ربما اعترض
بعض إخواننا من يحول بينهم وبين موافقة جهادهم في إعلان

طريق الله ، من حاكم أو غيره . فما هي إلا رسالة من شيخنا ،
أو مقاولة لرببه . حتى تعود المياه إلى مخاربها ، كما حدث في بيا
إحدى مدن إقليم بني سوبف ، وقد حالت إدارة الأوقاف هناك
بين الإخوان والمحمد الجامع . فهامي إلا رسالة إلى وزير الأوقاف
وإذا المحمد بفتح على مصراعيه .

وليس هذا بغير يrib على شخص اقطعته . فأجله الله نوب
الجلال والهبة والاحترام .

ولقد أرسل الله رسوله الأكرم ، وجاهها الأعظم ، سيدنا
رسول الله على الله عليه وسلم ، مزملًا بحلل الجلال ، مدربًا بخلع
الجمال والكمال ، فثار عليه رام بن ربيه أو قصده ساع بصر ، إلا وكان
من جلاله ومهابته سلطان يغدو من راهنه ، وبصده من قصده حتى
أنه كان يعلم في محاباته شدة مهابتهم له وجلال شخصه الكريم في
نفوذه ، فكان صلى الله عليه وسلم يهون عليهم الأمر ويقول :
، إنما أنا ابن امرأة من قريش ، كانت تأكل التفديد .

مع العلم بأنه كان صلى الله عليه وسلم يصر بالرعب ، يلقيه
له في قلوب أعدائه فتطير شعاعاً أو تذوب هلعاً ، حتى لما كان قليلاً
والمشركون كثيرون ، متضاعفاً وأعداده أقوى ، كان شخصه
وهيئته وقها في قلب كل من يحاول إضراره .

لقد بيت له أبو جهل نية طاغية ، واعزم أن ينفذها بين سبع

الناس وبصرهم في ندوة قريش ، إذا جاء محمد صلى الله عليه وسلم
يعلوّف بالبيت ويصلى .

فلا قام الضحي في وجه التهار باكر أبو جهل نادى قومه في المحرم ،
وأعلن في الملأ بأنه بقتل مهناً في يومه هذا ، والحادي من قريش
يسعون ، فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذ طريقه
إلى الكعبة فطاف ثم استقبلها وصلى ، فلما كان في صعوده كان أبو جهل
وراءه يحمل حجراً ثقيلاً يحاول أن يرمي به رأسه الشريف . ولكن
نيته تدفعه رحمة الرسول نعمه ، فلما انفلت النبي صلى الله عليه وسلم
من حلاسه اضطرب أبو جهل فرعاً إلى قومه برفع وقد سقط الحجر
من بين يديه من شدة ما وجد ، والناس من حوله يضحكون .

إن الروح القوية تعطى لباسها البشري ، ساء من نور يضيق
على الموالي عطفاً ، وفضلاً من هيبة بكع جاح المنطرف وبكر
بررة المغورو ، وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم بين أنصاره
وأعدائه ، أشداء على الكفار رحاء بينهم .

ولقد سرت روحابته القوية في خرس أصحابه يوم بدر ، وهم
قلة حافية راجحة ، والمشركون في كثرة كبيرة وعدد عدده ، فانتصر
نور الحق على ظلام الباطل ، وقاموا بحسب على غصب وللكافرين
عذاب عين .

من هنا ، كان المدود بروحانية محبة وأنوار أحديه ، محللاً
بالمالية عفوها بالوقار ، وشيخه يحيى الله عنه من شجرة رسول الله

حَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسْلَمَ نَبَأُ، وَمَنْ قَلَّ بِالْكَبِيرِ رُوحاً، فَلَا غُرُورٌ أَنْ يَكُونَ الْمُرِيبُ الْجَابِ، الْمُقْدَرُ الْمَكَانَةُ، الْمُحَااطُ بِالْحَالِ وَالْجَلَالِ.

ياعن وصلتم إلى حانا
من جله في حنا عجا
تفيق من نورها عليه
بنبه في خلعة التدان
والسر يدو له عانا
والشخبة القوية هي التي لا تعقل بها ولا تكلف ولا
كانت زيفاً ، إن خدعت العصر حناً فإنها لأنخدعه أحياناً ، كبرج
الزجاج نراه عن بعد يخطف العين ويأخذ القلب ، كأنه اللؤلؤ
المكون ، فإذا دانته وسرته كشفت زائفه ووقيت على حقيقته .
ورجال الله يتولهم الله بتره ويختجز لهم لنفه ، ولا يكشف
حقيقهم إلا من كتب له السعادة ولازمه التوفيق ، وربما رأيت
أحدهم في سلة الناس وبذاته تغرب به فلا تعطيه رعاً ولا تلقى إليه
بالا . وهو قد طوى في روحه عالماً بحاله وصدق رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « رب أشت أبغى ذي طعرين لا يتوءه له لو أقسم
عليه لا يرده الله في قسمه ، وصدق من قال :

وفضيلة الدنيا بظهور سرها من حكم لا من ملاحة نفسه
ولقد كانت شخصية شيخنا رضي الله عنه الفضل الأكبر في
تربيه الإخوان وتحذيب نعوسهم - فإنهم ليحلون بين يديه
وتفوحهم واجهة وعيوبهم مكرونة ولأنهم مشكولون، فأني لمؤلا.

أن يحررها عن استنفادة أو يقتربوا أصغرها ، أو يجلو إلى ما يحب .
وقد كانت أستنا خارج مجلس الشيخ تضرب في أثابع اللague ،
طليفة معرية ، فإذا دخلنا مجلس الشيخ رضوان الله عليه أصابها
الخدر فلا تكاد تعي ، ولقد كان يلجم من ورث فصاحة سجان
وبلاعة فس بن ساعدة من إخواننا إلى تدوين ما يرغبه أن يطاله
من الشيخ في ورقه بدقها إليه وهو حال بحضوره خوف العثار
أو عدم استفادة النطق ، مع أن الشيخ رضي الله عنه يحاول كثيراً
أن يقلهم إلى جو مرح وساعة فاكهة لشجاعتهم على التحرر بعض
الشيء ، ولكنه وقت يمر وساعة تمضي والإخوان أكثر حذراً
في مرح المجلس منهم في أوقات جده .

ولقد كت أصوع قبدها الشعر لاستقبله بهار حسوان الله عليه
في بعض المناسبات ، ثم أتخيل موقعى بين يديه حين أتوها فأرى
أن أبياتها التي رقت في نظري واستقام خيالها وغزير معناها ، شيئاً
نافها لأنحوز إعجاباً ولا تستهوى قلبًا فأطويها ، فإذا استمعت الله
وأنشدتها أصانين (الغرس) وطارت شعاعاً ، لو لا تشجعه رضي
الله عنه وحسن استعداده للهادع .

وكان يوجهه رضي الله عنه وجه الملاحة في الكلام ، والنادر
المستطرف من جديد المعان . وأذكر أن أشده قبده منها
هذا البيت :

ومعكم في الأولياء كأحد في الأنبياء سما على الأصحاب

فهش لصيحة ويش رضوان الله عليه :

ولان لم يكن بخير به شخصها ويدته من أم القرى وبثبة
فليس له من عمره غير رسمه وعيشه فيها كعيش البهة

ما حرمك الشبح إلا حرمك الله فهم بها أدباؤه باقه
هم الأدلة والقرآن تزبدكم فما حذبهم إلا عن الله
كالأنبياء زمام في عمارتهم لا يألون عن الله سوى الله

ولان تلك مركوماً ليس بلائق مقالك هذا المثل ليس بقانع

رب شخص ترقة الأقادار للعمال وما لذاك أخبار
غافل والعادة احتضره وهو من وحش ظمار
يصل الفتح عمدأً بلقاء جبله وبررة النار
وإذا قارف الذوب أته قوية طهرة واستفار
وقتى كابد العادة حتى عمل منها به ونهار
يطلب التقرب بزداد بعدأً ولأن رام جنة في نار
حكم حارت البرية فيها وحقيقة أنها تحترق
ومزايا من الميس دلت بأن الله قادر على تحار

أيدركني ضيم وانت ذخيرف وأظلم في الدنيا وأنت نصيري
وعار على راعي الحمى وهو قادر إذا خانع في اليد اعقال بعيد

طريقته في التربية

كان الشيخ رضي الله عنه سيارة خاصة في تربية تلاميذه، فكان إذا جاءه طالب عبد يناظله أباهاً بـ شهوراً، ويلاحظه طول هذه المدة حتى يتحقق من صدق إيقاعه وحالص قصده وقوته تحمله، فإذا ما استراح إليه وعرف فيه صفاء القلب وحسن الاستعداد وحمل الملازمة: تعاقد معه على الآخرة، فاندرج في سلسلة فقرية به إليه ويلاحظه الحديث وبعمره بخاته، ثم يبدأ بيده بفتوحاته قطرة قطرة فلا يشعر بها المربي بدئي ذي بدء، حتى إذا خالطت قلبه وسرت في دفعه شعر بها شيئاً إلى أن يهضم من حجمه إلى مشيه، فإذا انتظمت خطوه وانتوت قامته، شعر أن الطريق جزء من كيانه وبضعة من قلبه لا يستطيع أن يفارقها إلا إذا فارق الإناء عليه وزر عن جسمه، فإذا تفتق مداركه عرف أنه مسؤول أمام شيخه وأمام ربِّه، محاسب على خلخلات قلبه ووسوساته، فإذا جمال الشيخ الذي كان يطالعه في مبدأ أمره فيفرح، ويغفر في ظلامه ويلعب، ينقلب إلى جلال وحبه تفاصه وتنسنه، وتصوراه وتنشره، فيخانه ويخذله، ولكنه لا يجد عنه منصر فما لأنَّه مقيَّد بجاهه موثوق بقلبه بجهه الحب كلُّه وبخاته الخوف كلُّه، فإنه من حب يخاف محبوه، وراغب يرهب مرغوبه.

وهكذا أبعد الناس من الشيخ مكاناً أقرب لهم إليه مكانة وأخوفهم

نَ أَعْرِمُ عَلَيْهِ وَأَدْرِمُهُ طَاغَةً أَكْثَرُهُمْ امْتَلَأُوا.. فَلَا غُرُورٌ أَنْ تَجِدُ
ذَلِكَ الْمُطْرَقَ الْوَاجِفَ، وَالْمُتَخَذِّي الْكَافِ، فِي مُرْبَةٍ تَفَاصِرُ
عَنْهَا الْأَعْنَاقَ، وَلَا تَجِدُهَا الْأَحْدَافَ.

وَمِنْ أَرْوَعِ مَا أَدْبَرْتُ بِهِ أَبْنَاءَهُ أَنَّهُ رَبِّا فَلَنْتَ مِنْ أَحَدِ هُنْفَةٍ نَّسَوَهُ
أَخَاهُ فَلَا يَرْدِهَا الْمَسَا، إِلَيْهِ وَيَتَحَلَّهَا هَذَا بَانَا كَانَهُ لَمْ يَكُنْ هُوَ
الْمَعْنَى بِهَا، لَأَنَّ الْخَفْيَةَ وَالْإِنْصَارَ إِلَى النَّفْسِ لَيْسَ لَهَا مَكَانٌ
فِي قُلُوبِ الْإِخْرَانِ، وَإِذَا فَابْلُوكُمْ بِالنَّغْوَسِ فَقَابِلُوهُمْ بِالْقُلُوبِ،
فَإِنْ فِي الْقُلُوبِ مَا يَطْفَئُ، نَارٌ مَّا فِي النَّغْوَسِ.

وَمِنْ كَرِيمِ مَا أَخْذَ بِهِ الشِّيْعَ أَبْنَاءَهُ أَنْ يَكُونُوا عَوْنَانَ الْعَازِرِ،
نَفْدَ يَصادِفُ أَنْ يَأْخُذَ الشِّيْعَ هَفْوَةً عَلَى أَحَدِ الْإِخْرَانِ تَغْيِيرَ قُلُوبِهِ،
فَلَا يَرْبَزُ إِلَيْهِ يَرْقُونَ حَوْا شَبَّها وَيَخْفِفُونَ أَوْضَارَهَا، وَيَلْتَمِسُونَ
لَصَاحِبِها الْأَعْذَارَ وَالْخَبِيلَ حَتَّى تَنْتَهِيَ نَفْوُبُ فِي نَظَرِ الشِّيْعِ وَتَنْتَهِيَ آثارُهَا
مِنْ قُلُوبِ الْكَرِيمِ، فَلَا يَدْهُشُكُ بَعْدَ هَذَا إِنْ رَأَيْتَ الْعَامِلَ الصَّغِيرَ،
وَالْوَجْهَ الْكَبِيرَ عَلَى بَاطِنِ الْمَاوَاهِ يَعْرِفُهُمَا الْحُبُّ وَيَلْفِهِمَا الْعَطْفُ،
فَقِبْعَةُ الرَّجُلِ هُوَ زَنْ إِيَاعَهُ لَأَجْوَزَنَ هَدَائِهِ، فَلَمَّا يَكُونُ يَكُونُ
قِبْعَهُ وَخَطْرَهُ وَمَكَانَتِهِ، وَعَدْقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
جِبْرِيلُ يَقُولُ:

إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْتَظِرُ إِلَيْهِ صُورَكُمْ وَأَلْوَانَكُمْ، وَلَكُنْ يَنْتَظِرُ إِلَيْهِ
قُلُوبَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ..

ومن أدب الشيخ رضي الله عنه للامينه أنه كان يشعرهم دائماً
بأنهم ضراء إلى الله ، حتى أصبحت كلة ، فقير ، عادة جارية على
اللذيم ، فإذا أراد أحدهم أن يبدأ بكلام عذر له بقوله الفقير
ويقصد نف ، يرى في هذه المآلاته كيت وكيت ، وكان الشيخ رضي
له عن العى يعطله ربه وفتحه وعورته لان تفارق تلك الكلمة لانه
في أحاديث ومناقشات ، وكلمة فقير لا يقصد بها الفقر من المال ،
فالمعنى الواسع للرواية المدل بحوله وقوته هو الفقير حقيقة إلى عنون
له ، وإنما يقصد بالفقير في نظر الإخوان الحاج إلى ربه المتظر
لمرفده الظمان إلى ورده المستجدي رضاه ، هذا هو الفقير في تعريف
الطريق سواه أمثلة الفصر العظيم أم سكن الكوخ الحقير . وإنك
لو قلت هذه الكلمة على جوانبها ، لا استخرجت منها بديع المعنى
وغير المغزى ، فيها أن الله هو القيوم وكل الناس قائمه بيومه ،
فكلهم فقير إليه ، وفيها أنه لا حول لك ولا قوة بحوار حول الله
وقوته ، ومن كان كذلك كان ضعيفاً والضعف فقير إلى سنه مولاه ،
وبيها أشك نائمه في دنيا الآباء ، فمن كان كذلك كان في حاجة إلى
من يهديه فيكون فقيراً إلى هذا المادى ، وفيها وفيها من هذه المعانى
الغالبة التي يعجز مثل عن استدراك كيما أراجلنا . حفافتها ، وما
ربى به الإخوان رضي الله عنهم إلا يخاطب أبا أخيه باسمه بحر دأبل
يعرفه بنعت بشره بالاحرام ، فيقول مثلاً بسي الأولى على فلان
وبسي فلان بك لا فرق بين كبر ، وصغير لأنهم جميعاً في حضر ذاته .

وكان يكره النطع في الكلام وتصيد الألفاظ العربية وبأمر الإخوان بالسورة في التعبير حتى يفهمون كل الموجودين . وكان إذا هم أحد بكلام وحاجة المفظ جاء به على وجه غير صحيح وأراد أحد إخوانه أن يصحح له قال له الشيخ رضي الله عنه : لا تخاب المفظ مادمت تعرف هدف التزال ، يقصد بذلك عدم تحبيه أخيه بما يحيط به خصوصاً إن كان من المتعلمين ، وما زلني به الإخوان أيضاً أنه إذا مدت المواتد وانتظرت عليها الآكلون لا ينفع أن بتناولوا الطعام قبل أن ياذن الشيخ . فربما كان بعض الإخوان في خدمة أو في عمل خارج البيت فيغدو شرف بيته مع إخوانه الطاعمين ، كما كان يكره إخوانه ارتفاع الصوت إلى حد غير مأثور مادام المخاطب في صحيح سمه .

وإذا نكلم أحد الإخوان ترك إخوانه بقية ، وأذكر أنني حضرت مرة لزيارة الشيخ من مقر عمله في الصعيد ، فأخذ يسألني عن الرحلة ، وبدأت أفصي من وقت أن وضعت رجل في القطار وتحرك إلى المحطة التالية ، في أسلوب فيه بعض التurbation ، فقال رضي الله عنه : قف على تلك المحطة ، واترك إخوانك بنكلعوا ، يعني أسكط ولا تأخذ على المجلس آفاقه .

وما كان يوجه إليه نظر الإخوان دائماً أن المرشد يجب أن يكون قليلاً وفكيراً وروبه مع شيخه ، يتمثله في عيادة وحضوره ، ويتائزه في أعماله وأقواله ، ويأخذ كل ما يلقى عليه منه ، مأخذ

المشغوف به المريض عليه ، ولا يعرض على شيخه في أى شيء ،
حتى في الأشياء التي لا يراها بنظرة ، أنها جارية مجرى العادات .

اسمع منه رضى الله عنه هذه الحكم العالية والأداب الجامدة :
(من لم يعاشر الأشباح على طريقة الاحترام حرم بركة صحنه ،
فإذا لم تشهد ذاتك لشيخك بالتعظيم وقلبك بالاحترام ونفسك
بالهيبة ، وتشعر بذلك من نفسك اضطراراً من غير تعقل ولا لانفع
فاعلم أنك أجنبي عن شيخك ، ولم تحصل وصلة بين قلبيك) .

ومن علامة احترامك له إثنا عشر إيمان على الكل حتى لو كت
بين من يرون لك المقام الأعلى ، وحضر شيخك كمت بين يديه كمن
ارتكب جرماً وأوقفت بين يدي الحاكم ، فيظهر أثر ذلك على
ظاهرك ، بإطراق الرأس واضطراب الجسم وخفض الصوت ،
وخفض البصر ، وتغير اللون ، وتبليل اللسان ، وخباع الفكر حتى
إنك ربما لونست عن نصف الإنين لأندرى ما تقول ، ولا تفارق
هذه الحال كلما ذكرت شيخك في غيبته عنك ، فلا ينبغي لك أن
يخطر ببالك عدم غيبته عنك ، إذ من ملء قلبه باحترام شيخه ورأى
له الكل والتعظيم ، وأفر له بالترقى والتقدير ، والمر والخصوصية ،
فإنه يكون في كل أحيانه متيناً أن الشیع إن لم يكن معه بمحمه
 فهو معه بسره ، بل إذا تقوى علم أن المأفة لا تتجه عن شيخه ،
إذا علم أن قلب شيخه قد استدار بدور ربه ، فإذا كان الثلب على

الحال التي وصفنا ، فإنه يكون قد انحدر قبل بغل شيخه وهذه بداية مقام الاتحاد .

فإذا أراد الله تبته رفع قمعه في حب الشيخ باشرأح صدره
لما ينقبه الشيخ به من جفاء وحكم وزجر ، واتهار وقريح
وتعنيف ، وإظهار عيب وفضحة بين إخوانه وبين الناس ، وإهانة
ونبذة في حقه ، وغير ذلك مما لا يلامم طبعه ، وهذا علّ المحبة
ومسارها ، فيظهر جوهرها ويخرج من الامتحان ، إما ذهاباً إلى زرها
وإكيراً حقيقاً ، وإما نحاساً أو حدبراً أو قصبراً . فإذا كان
صادقاً ثبت قدمه ، وإن كان كاذباً انقض كذبه ، إذ الصدق يكون
في القلب كالبلرة ، ثبتت بنوة الصدق بمداده استعماله ومراعاته
قعم وتورق وقطور وتنند أغصانها حتى تظير من باطنها على ظاهره ،
ثم تطاول تلك الأغصان أعداداً حتى تظل أهل محله ، ثم تزداد
حتى تدأق بهـ ، ثم إثقبه حتى يعرف عند الجميع بالصدق) .

قليل بالقول ترى أدبًا كهذا الأدب، وتجدأ كهذا الترجمة؟
لعل أن أقه نتر قرأتا فيلوف اليونان وسع هذا الكلام آراء
يضم على أستاذته، ويطلق على قه المربى الحكيم، أم بخوا
على ركيته أمام هذه الآراء، الصائنة والترجمة الجديدة.

إن سفراط وإن حران سفراط من ثلاثة وحكا، مشوارا وراء
عن علم إلى عالم الترقى، فانطلقوا زهراً من روضات، ورشفوا

نطرات من بخار ، والنفطوا من هنا ومن هناك جات ، ثم جعوا
كل ما حصلوا عليه وشروه في عالم الواقع حكماً وفلسفة ، بهم وإن
كانوا قد حصلوا شيئاً إلا أنهم لم يحصلوا كل شيء ..

ولكن شيخنا رضي الله عنه ظفر بالحقيقة كلما ظهر بها إفاضة
وغررته نفياً ، فوصل إلى الحقيقة من طريق الحق ، وتلقى من
معطياً الأول جل شأنه ، فعلمه علوم لا يرقى إليها الشك ولا يأخذ
منها الصعف في أى جوانبها ، بل هي حقيقة ثابتة إفاضة لم يكتفي
من محمود عقل ، ربما كبا في بعض شخصياته أو كل من طول ماجهـ .
فقراط وأشاعه كثروا ما كثفوا بدور عقولهم ، وشيخنا
رضي الله عنه كشف ما كشف بدور ربه ظاهر الفرق .

طهارة القلب

العبرة عند الشيخ رضي الله عنه في لوك المريد إلى ربه طهارة
قلبه ، هذا هو الأصل ، وما عدا ذلك ظواهر .

وقد قلنا : إن هذه المعنية إن صلحت صلح الجسد كله وإن
فتت فت الجسد كله ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ولذلك ترى الشيخ رضي الله عنه لم يتقدم إلى مرید ليوصل لحبه ،
ولا إلى غيره ليحلقها ، ولا يعيه من أمر تلاميذه تجعل النتاب ،
ولا ملاحة الزي ، ولا تشتم الشعر ، ولا تسرىحه وصفقه . فكل

وما اختار ، ولكن الذي يعنده هو مانصب نفسه له طول حياته
وهو تطهير النفوس ، واستقامة القلوب ، طليس الرزد في قشف
المية وشعت اللعنة ، ولكن الرزد تطهير النفس من الشهوات .

وكان عا يأخذ به إخوانه عدم التفاخر بالطاعة ، فرب معصية
يعفيها انكشار خير من طاعة يعقبها تفاخر .

كان في مجلس الشيخ أحد الآخرين حائطاً فعلاً في غير رمضان ،
وكما مر عليه فجأة القبرة قال أنا صائم ، بصيغة لحظ فيها الشيخ
رضي الله عنه نوعاً من الماهاة ، فأمره بالإفطار فاضطر ، فانكسر
قلبه ندعاً من ملاحة الشيخ عليه وراغ في دموع واستغفار ، فقال له
رضي الله عنه تلك عنده خير من حباعك — بقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم في حديث قدسي : وأناعت المتكروه قلوبهم من أجله .
وتلك أخف ما وصل إليك عن يدي أبي زيد البسطامي ، لأن
ضياع نافلة بمحاسب دره خطر داهم ونفس تيقظت وربما تراهـ خير
وأعظم أجرـ .

أما بدي البسطامي فقد كان يهيم في الغابات والأحراج بعيداً
عن عيون الناس وألتقطهم . وعما يوجب التشاغل بهـ .

وبعد أن قطع صدراً من الأيام في تلك العزلة ، أو في تلك
الباحة ، ثم بالرجوع إلى حلقـ ، فعلم الناس بقدومـه ، وكان عدم
معززاً ، وفيـه مكرـ ما ، فهـعوا إلـهـ يستقبلونـه رضي الله عنهـ فيـ

زحة كبيرة ورجب عظيم ، وهو الناس في رمضان صائمون ،
فأأن وجد هذا الاستقبال المخايل والأصوات المدوية والآيات
اللوحة ، حتى أخرج خبرة من جرابه ولا يكفيها بين ماضيه حتى ظن
الناس أنه أظر ، فصدعوا عن طريقه ، وداخلهم منه خيبة أقل
كبيرة ، ونجا هو بعلامة نفسه وراحة قلبه .

ترى لم أظر (البعامي) وأند فريضة يوم من رمضان ،
وإطار يوم من رمضان لا يكفره الدهر وإن صامه ؟ إلا تكون
نفسه اهتزت واستراحت إلى هذا الاستقبال العظيم ، خاف منها
وخى أن تدب عذابها ؟ وتفظير براثتها بعد أن جاهدها جهاداً
من أقلم به ألقاها ، وأضعف منها ، ودفنا دفنا في الأرض
الخول ؟ ولم لا يكون كذلك ؟

والنفس كالطفل إن تجعله شب على
حب الرضاع وإن تغتصبه ينفع
ما صرف هرائها وحاذر أن توبه
إن المسوئي ما نولى بهم أو بهم
وراءها وهي في الأعماى سائنة
وان هي انتعلت المرعى فلا قسم
كم حست لفقة العسرة . قاتلة
من حيث لم يدر أن لهم في الدسم

وَمَا عَلَى بَدِي الْبَطَاطِي أَنْ يَنْذِه النَّاسَ دِيْرُولَوَا خَيْرُوْرُم
نَحْوَهُ ، إِنْ فِي ذَلِكَ نَجَاهَةً بَعْدَاهُ .

وَلَمْ لَمْ يَأْخُذْ بَدِي سَلَامَه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَذَا الدِّوَامِ الشَّافِ ،
وَأَعْدَسَ عَوْلَهُ النَّفْسَ الْأَمَارَةَ ، الَّتِي مَكَثَ طَوْلَ جَانَهُ
يَقْتَلُهَا حَتَّرَا جَذَرَا وَفَرْعَاعَا فَرْعَاعَا مِنْ قُلُوبِ تَلَامِيذهِ حَتَّى نَحْوَهُ مِنْ
شَرِّ اكْبَاهَا وَتَخَلَّصُوا مِنْ بُوَاشَاهَا .

وَهُنَّ بَدِي سَلَامَه إِلَّا الطَّيْبُ النَّطَافِ ، الَّذِي بَعْضُ الْمَكْوَاهَ
عَلَى رَأْسِ الْمَرْضِ ، وَالْمَرْفِ الْحَكِيمِ الَّذِي يَخْجُزُ تَلَامِيذهُ عَنْ مَهَاوِي
الْغَوْطِ ، وَالْخَيْرُ الْمَهْرُبُ الَّذِي يَرْسِي فَصِيبَ رَبِّهِ الْمَهْدِفِ :
أَعْلَمْ أَشْرَفَ أَوْ أَجْلَمْ مِنَ الَّذِي يَبْنِي وَيَفْسِي . أَفَّا وَعْدُهُ لَا
رَأْخَى أَنْ يَفْهَمُ بَعْضُ الَّذِينَ لَمْ يَقْفُوا عَلَى تَعَالِيمِ الصَّرَقِيَّينَ
وَآدَابِهِمْ . أَنْ مَعَى قَتْلَ النَّفْسِ وَدَقْهَا فِي أَرْضِ الْخَوْلِ هُوَ الرَّحْمَى
بِضَاعُ حَرْمَهُ : أَوْ هَنْكَ عَرْضُ ، أَوْ اسْتِلَابُ حَقُّ ، أَوْ الْإِزْرَادَهُ
عَنْ مَطَارِدَهُ عَدُوُّ ، أَوْ دَفَاعُهُ عَنْ وَطَنِ . كَلَّا ، فَرِجَالُ الْعَرَبَهُ
أَهْدَى عَقْلًا ، وَأَنْدَرَ أَبَابًا ، مِنْ أَنْ يَقْتَلُوْهُ مَهْمَهْ نَثَطَتْ فِي مَجَاهِدَهُ
غَاصِبُ ، أَوْ سَلْبُ حَقُّ ، أَوْ هَنْكَ حَرْمَهُ ، بَلْ إِنْ وَظَبَقْتُمُ الْأَوْلَى
بِصَيرَتِكُمْ تَلَامِيذهُمْ بِأَمْوَالِ دِينِهِمْ ، وَخَنْبِرَتِكُمْ عَلَى الْفَضَائِلِ فِي نَوَاحِي
مَظَانِهَا . وَتَخْلَقُونَ بِأَخْلَاقِ الشَّجَاعَانِ الَّذِينَ يَعْبُثُونَ كَرَامَهُ أَوْ
يَعْوِزُونَ أَحْرَارًا .

ولقد كان رجال الصفة و منهم أخذت الصریفه في عهد رسول الله
صلی الله علیه وسلم في أول الصفو فجهاذاً ، وفي طليعة المجاهدين
احتباً ، وكم قتل منهم من رجال فرسوًا الأرض بلعاتهم الزكية
طلباً لمرحناة الله .

فالمصروف الذي يقتل نفسه كل يوم عشرات المرات ، ويحررها
لهذه شهوتها ، ورهاقات ميولها ، وبقيدها إن همت ، ويكيحها إن
جحت ، لا يضر عليها بعوته كريمه وفضحيه عظيمة ، في سيل
الله العلي الذي رحد قلبه وروحه خدته والإذعان إليه .

ولما رجع رسول الله صلی الله علیه وسلم من إحدى غزواته
قال ما معناه : « انتقاماً من الجماد الأصغر إلى الجماد الأكبر » ،
ولأنما نصد بالجهاد الأكبر بمحاهدة النفس وكبح غوايتها ، وهل
الصرف إلا ذلك المجاهد نفسه » بعد أن بلق بفه ويتطل من
قوه ، ويرسل فرسه ويخلع لامة المروء .

منْ على صرف منقطع إلى الله وحاول أن تخدش شرفه ، أو
تعتدى على حرمه ، فتجد في ذلك الضارى المنطوى على نفسه ،
المزوى في طعنه ، وثبة الآلة ومخالب التغر وكرسم التضييق ،
لامه فرأوا فهم قول الله تعالى : « قل إني كان آباءكم وأبناءكم
دواخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال افترضوها وتجارة
تغدون كعادها وساكن ترمسوتها أحب إليكم من الله درسوله »

وَجَادَ فِي سَبِيلِهِ فَرَبِصُوا حَتَّى يَاْقِنَةَ بِأَمْرِهِ، وَهُلْ دَفْعَ مَا يَعِيبُ
الشَّرْفَ أَوْ مَا يُعِيبُ رَايَةَ الْوَعْنَى خَيْرَ جَهَادِ فِي سَبِيلِهِ.

فَإِذَا قَدِنَا إِنَّ الْأَشْبَاعَ يَقْوِمُونَ نَفْوسَ تَلَامِذَهُمْ، فَعَاهَ أَنَّهُمْ
يَرْوَضُونَ هَذِهِ النَّفْوَسَ عَلَى التَّوَاضِعِ وَالْفَنَاعَةِ، وَالرَّضْنِ
وَالنَّغْرِيِّ، وَاتِّبَاعِ السَّنَةِ الْخَ

اسْمُ قولِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِحَدْثَكَ عَنِ الْأَدَبِ :

، بِالْأَحَابِ إِنَّا زَرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسْرِرَا فِي مَقَامِ التَّوَاضِعِ، وَلَا
نَحْسَبُكُمْ عَلَى التَّوَاضِعِ الْبَاطِنِيِّ إِلَّا، وَلَكُمْ زَرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَأْخُوا
فِي أَسَابِ التَّوَاضِعِ الظَّاهِرِيِّ، فَإِنَّهُ يَحْرُكُكُمْ حَتَّى إِلَى التَّوَاضِعِ الْبَاطِنِيِّ،
وَذَلِكَ أَنْ تَرَاعُوا الْأَدَابَ فِيهَا يَاْنِي :

الْجَلَةُ : بَعْنَى أَنَّهُ لَا يَكُونُ الإِلَانَ مَدْدَارِ جَلْبِهِ أَوْ مَكْتَنَاهِ.

الْإِطْرَاقُ الْخَفِيفُ :

الْغَزْرَةُ : بَعْنَى أَنَّهُ لَا يَنْتَظِرُ فِي وَجْهِ أَخِيهِ مُحْلِقاً، بَلْ يَتَفَتَّ إِلَيْهِ
الْفَنَانَآ خَفِيَّاً كَالنَّفَاثَاتِ الْمُلْمَلِ فِي الصَّلَةِ .

خَفْضُ الصَّوْتِ .

عَدْمُ الْإِجَاهَةِ بِسُرْعَةِ :

قَلَةُ الْكَلَامِ :

الْأَجْهَادُ فِي تَصْحِحِ الْأَلْفَاظِ، بَعْنَى أَنَّهُ يَعْرَفُ عَنِ الْأَلْفَاظِ

العامة الغر لامقة إلى العربية الحقيقة . بحث لا يتحقق ولا يتحقق
في ذلك ، بل يجعل الأمر بين بين ، لما في ذلك من الماءدة
على فلة الكلام .

فهذه الآداب السبعة يحب الانتفاع إليها والتبه لها ومراعاتها
 ولو واحدة فواحدة .

ثم قال رضي الله عنه :

وينجح على المربي الذي في طريقنا أن ينفع به خمس حال
جيدة ، إن خلا منها فليس هو من الطريق في شيء ، وهي :
نحو الله في السر والعلانية . واتباع الله في الأقوال
والأفعال ، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار ، والرضى
عن الله في القليل والكثير ، والرجوع إليه في السراء والضراء .
فهذه خمس حال هي رأس مال الفقير ، فمن خلا منها فليس
له رأس مال في الطريق . ولقدنا الله تعالى للتخلق بما يحبه ويرضاه ،
بماه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

طريقه في التأليف

يكون في المجلس وتلاميذه بين يديه ، والمجلس مكتظ
أهل ، فider عليهم المؤذنون تلقى منهم الجواب ، ماقاتا أنا أو مصححا
آنا ، يبرهنون هذا في تفكيره يقوم انحرافه ، وينبئ خطاياه ،
يتنبه إذا زرع ، ويتجه إذا تخلفوا وأخذ بيده إن عذر ، ثم يهين

على أحبابه حلب الإجلاء ، ويصرم وجه الكلام ، وطريقة البحث ، ثم يميل بهم إلى ناحية أخرى يكتفون بمعباتها ، أو يوْضُّخون ألغازها ، وهو ينهم يذهب ولسانه ، سالاً مرة ومجاً أخرى ، ومناقشًا تارة ومقرراً تارة أخرى ، حتى إذا اتهى المجلس يكون قد اتهى هو أيضًا من تأليف جزء عظيم من مؤلف كبير ، أو قصيدة عامرة الأبيات ، أو مقطع جامع لأنواع المداببات ، في زحمة الماقثة وطول المحادثة ، وإجابة سائل ، وتقدُّم غائب ، وسؤال عن مر بعض ما ينتصبه الحال في مثل هذا المقام .

فإذا فرأت ما كتب رأبت نور المعانى فى أسرار المباني ، وشمعت رائحة الزهور فى امتداد الطور ، وسبحان الله الذى لا يشق له شأن عن شأن ، بمحنة من يشاء بالكرامة المعجزة والعادية الخارقة .

مؤلفاته

هاهى ذى الرياض فارتع فى أبياتها ، وتنسم غيرها ، وأطعم نفسك ومن شئت من ثمارها ، فإنها غذاء الجائع ، وردى الصادى ، وثوب العاري ، وعزاء الحزين . ففى قطوفها خمر ، وفي رحيقها سكر ، وفي ثمارتها حياة ، تعلوها حلوة ، وتأخذها طلاوة ، تفرد على أفنانها أصوات سماوية ، وموسيقى صوفية ، تطرب وتسكر ، وتوجد وتغنى ، وتأخذ وتعطى ، سماتك ربي من معط وهب .

هذه الرياض التي تفعك غيرها ، وأنفك شذاها . وأذكرك
تحياها ، لبست أشجاراً تزف عليها ورقات ، ولا جداول تنساب
فيها مياه ، ولا ألواناً خضراء تحت سماء زرقاء ، بل هي أحجل في العين
وأطرب في السمع ، وأعذب في الذوق ، وأشهى في القلب ، من
حекمات الأزهار ، ونور النوار وفتح الطيب ، وهات النسمة ،
إنها مطورات بها حامديات نورانية ، ونفحات صوفية . وطرف
زكية ، وحكم حلبة . يجري لا كيرها في الروح فتصفو ، وراحها
في القلب بيسكر . وسرها في الوجدان بتفاعل ، تنشرك وتطوتك ،
وتأخذك وتعطيك ، وتقصد بك تحت مدارات الشموس وتغسل
بك في مدارج الجبال تريك ربك في الشمس وضحاها ، والقمر إذا
ملأها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها ، وتربيك قدرته في الليل
إذا يغشي والنهار إذا تجلى ، وما خلق الذكر والأنثى .

تعمق الصرفه فانخرج لآيتها من عاجز صدقاتها ، وكشف
باطتها من حجاب خيالها ، فظهرت في جمالها وبهانها تحلو الرؤى
ونغير القلوب .

تبطن الحقيقة فعرف سرها ، وكشف غورها ، فرأى الآثار
منور المؤثر ، والمخالقات من طريق الخالق ، والفارق من حقيقة الباقي ،
فعلم بأن كل ماحلا الله باطل .

درس القرآن الكريم من جانبه النوراني وسره الروحاني .

فائتلت له المعانى وانتظمت به المباني ، فعرف لكل آية سرها ولكل زهرة عطرها ، فقدس الله تقدیس العارف به المتحقق منه المشاهدله .

منى في أحكام الشريعة فوق إلى أغراضها ، فعرف أن الأحكام قائمة على أسرار فن كشف أسرارها نشط جسمه بأنوارها .

وإذا حلت الهدایة قلباً نشطت في العبادة الأعضا .

عرف أن القلب مفتتحة إن صلح الجسد كله ، وإن فدت نفسي الجسد كله ، فشخص أمر أخيه ووصف له العلاج والدواء .

عرف (إن الإنسان يطغى أن رأه استغنى) ، فوقفه على حقيقته ، وأصل عبوديته ، وأنه هغير وإن ملك الدنيا ، عنيف وإن ظاهرته الحياة ، محتاج وإن كفته الدنيا المزرونة والمعونة ، ثم رسم له طريق النجاة ، وكيف يستغى عن استغراقه ليخلص من طغيانه .

منى وراء التائه المتخطى في ديجور الضلاله فرفع له هنارة حاديه يخطف عليها قيس مير .

وإنك لو قرأت ما كتب وتفهمت ما سطر لوجدت هذه المعانى في ميان تعلي الحكمة والنور والمرفان ، قيليك بها فيانا وآلة زاد المساغر ، ودواء المريض ، وسلوة المزرين ، وأمان الخائف ، وركبة الأمل .

رأى بعض أئمـة سـلفـيـنـ في هـذـاـ الـبـابـ بـعـضـ مـذـلـقـاتـهـ رـحـيـ اللهـ عـنـهـ حـرـوـفـأـ منـ نـورـ فـيـ سـطـورـ ،ـ تـهـدـيـ إـلـىـ صـراـطـ مـسـقـيمـ ،ـ صـراـطـ الـذـينـ أـنـعـمـ اللـهـ عـلـيـهـمـ مـنـ عـبـادـهـ الصـالـحـينـ .

(١) الجوهرة الحامدية : صلاة على الرسول و مدح به ، وهو ورد الطريق وتغرا في المحضرات .

(٢) النفحـةـ الـحـمـدـيـةـ :ـ وـهـيـ بـحـوـعـةـ حـكـمـ قـدـيـةـ نـورـانـيـةـ .

(٣) شرح الوظيفة الشاذلية : شرح واف كامل للتعاون و سلام سيدى أبي الحسن الشاذلى شيخ أستاذنا الأكبر .

(٤) تلقين الطريق : صيحة و ضعها رحى الله عنه تقرأ عند تلقين الطريق .

(٥) المنجـ الحـامـدـيـةـ :ـ حـكـمـ وـأـمـاـلـ ،ـ تـنـاؤـلـ أـغـرـاـضاـ شـرـبةـ وـحـكـيـاـ سـابـةـ .

(٦) المـواـهـرـ :ـ مـقـالـاتـ صـوـفـيـةـ وـأـنـاثـيـدـ حـكـيـةـ ،ـ وـمـدـحـ فـيـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ .

(٧) تـفـحـاتـ الـعـلـاقـ :ـ مـقـالـاتـ صـوـفـيـةـ وـأـنـاثـيـدـ حـكـيـةـ ،ـ وـمـدـحـ فـيـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ .

(٨) غـيـرـةـ الـمـشـدـ :ـ مـقـالـاتـ صـوـفـيـةـ وـأـنـاثـيـدـ حـكـيـةـ ،ـ وـمـدـحـ فـيـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ .

- (٩) **الكتابات الإلهية**: مقالات صوفية وأناشيد حكمة،
و مدح في رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- (١٠) **ظاهر الكمالات** في مولى عبد الكائنات: وهو يتناول
البررة التبويه نفعاً و شرداً.
- (١١) **آئلة في البيعة**: شرح يتناول أمر ازها وأنوارها
دون احجا القدسيه.
- (١٢) **المواعظ الحامدية**: مواعظه دينيه ترمي إلى تهذيب
النفس و تنقیص العياء.
- (١٣) **السلة الذهبيه**: عنفته تصل بأشياخ الطريق إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- (١٤) **نظام الروابط**: وهو كل ما يربط قلب التلميذ بمحبه.
- (١٥) **الصيحة**: مجموعة تصاغ تناول أحوال المرشد مع شيخه.
- (١٦) **رسالة في الآخر الشريف**: «نعم العبد صاحب» وهي
تناول بالشرح حتى سيدنا عاصم.
- (١٧) **رسالة الإيمانية**: رسالة طيبة.
- (١٨) **دهر الدبوران**: مجموعة زجلية وخشوع في دفتر الدبوران
ترمي إلى حكم وأخلاق.
- (١٩) **آئلة في التوحيد**: وجهت إلى دار الإفتاء، وترجم
بعضها بالإنجليزية.

- (٢٠) قانون الطريق : بحث في نظام تكوين الجماعات وروابط الإخوان .
- (٢١) شرح الحرية : شرح بعض اصطلاحات الصوفيين .
- (٢٢) حزب تحرير الكروب : دعاء بغير أحد الملاحم .
- (٢٣) الكمال في الملاحم مدفع : معانٍ اطيفية وإشارات سحرية .
- (٢٤) حرب الإخلاص : أدعية يستجد بها العبد ربها في غرائب السترات .
- (٢٥) رسالة المتضرر : في بعض إخوان انقطعوا عن علهم .
- (٢٦) إجابة أسئلة المكاثرة : شرح للذكر والقرآن وما ينبعهما من تجليات المستشرقين .
- (٢٧) الرسائل الحامدية : وهي سبع رسائل أرسلت إلى حضرة أبا البارسبي إبراهيم سلامه ، أثناء زيارته لمديرية المنوفية ، وتنبع التوحيد والمحبة وتشير إلى غير هذا من معانٍ ذات رحمة .

* * *

هذا وقد قام حضارات الإخوان بطبع ما لم يطبع وإعادة بعض هذه المزارات بعد انتقاله رضي الله عنه إلى الرفيق الأعلى . وهي :

(١) الفيوضات الحامدية : وتشمل رسائل في التواحي الاجتماعية والدينية وصلة العبد ربها .

(٢) مناظر بين العرش والجل : صاورة اجتماعية بين هذين الحيوانين .

(٣) الحمديات : وهي مجموعة كريمة من قصائد تشد في الحضرات وتسلات إلى الله .

(٤) الأوراد : وهي مجموعة أوراد للسالكين طريق الحق سبحانه .

(٥) الجواهر : من حكم وأمثال وقوصات إلهية .

(٦) الحمديات :

(٧) المح

(٨) الفتوحات : لطريق السالك إلى الله تعالى .

(٩) النفعة المحمدية : في حكم الشيخ الروحانية .

حدة ذكائه

وكان ذي افهانه حاد الذكاء ، من فناني المذهب ، حاضر البديبة ،
خوى الحافظة ، وناهيك برجل بحفظ القرآن وهو في السادسة من
عمره . ووضع كتاباً في الأخلاق لائزلا أصله في مكتبة الإخوان
وهو في التاسعة ، وبحفظ ألسنة ابن مالك في عشرة أيام ، والحقيقة أنها
في عشر ساعات لافي عشرة أيام ، وقد كان موظفاً ، وكان بين يمه

وَبَيْنَ عَمَلِهِ مَا تَرَكَ نَصْفَ سَاعَةَ، فَكَانَ بِحَفْظِ خَسِينَ يَبْتَأِ فِي ذَهَابِهِ،
وَخَسِينَ يَبْتَأِ فِي لَيْلَابِهِ، فَإِنْظُرْهُ إِلَى الْأَلْفَةِ فِي تِلْكَ السَّاعَاتِ . وَكَانَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَدِيدُ الْعِنَابَةِ بِعَمَلِهِ الْمُكْوَفِيِّ، فَرِبَّمَا يَكْلُفُ بِعَمَلِ مِنْ
أَعْمَالٍ وَظِيفَتِهِ تُشَغِّلُ غَدَهُ كُلَّهُ، فَكَانَ يَحْمِلُ مَا كَلَفَ بِهِ إِلَى بَيْتِهِ لِيَنْجُزَهُ
حَتَّى يَصْبَحَ فِي عَمَلِ جَدِيدٍ، فَكَانَ يَجْلِسُ فِي مَكَانِهِ مِنَ الْإِخْرَانِ .
— وَهُلْ كَانَ لَهُ جَلْسٌ غَيْرُ جَلْسِ الْإِخْرَانِ — وَيَا خَذْ فِي هَذَا
الْعَمَلِ الْمُسْتَدِيلِيِّ قَبْلَ كَظْهَرَةِ الْمَجْلِسِ وَامْتِلَاهِ؛ وَلَقَدْ تَصَرَّفَ عَلَى الْأَخْرَانِ
الْكَرِيمُ الْحَاجُ شَكْرُى مُحَمَّدٌ، بِأَنَّهُ رَبِّا بِتَصَادِفٍ وَجُودٍ بِعِصْرِ الْإِخْرَانِ
وَهُوَ يَنْهَا، فَيُطْلُبُ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ أَنْ يُشْرِكَهُ فِيهَا هُوَ فِيهِ، فَيُعَطِّيهِمْ
جَانِبًا مِنْهُ فَيَنْشَغِلُوْا بِهَذَا الْجَانِبِ الْوَاحِدِ مُدَّةً يَكُونُ فِيهَا قَدْ أَجْهَزَ عَلَى
الْجَوَابِ الْبَاقِيَةِ الْمُتَعَدِّدةِ، وَيَنْقُلُبُ إِلَيْهِمْ مَاعِدًا فِيهَا أَخْذَوْا فِيهِ .

وَمَا لِ أَذْهَبَ بِعِدَاءً، فَإِنِّي أَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ، وَلَقَدْ ظَهَرَ عَلَى
الْإِخْرَانِ شَيْءٌ مِنَ الْإِعْيَا، مِنْ طُولِ مَتَابِعَةِ الْمَنَافِعِ وَالْمُحَوَّارِ،
فَيَأْخُذُهُمُ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى نُوْعٍ مِنَ التَّرْفِيَهِ وَالْإِسْعَادِ
فِي طَارِحِهِمُ الشِّعْرَ، وَمَا أَكْثَرُ مِنْ كَلَّوْا بِحَفْظِهِنَّ الشِّعْرَ خَوْصًا
أَشْعَارَ الْقَوْمِ مِنْ إِخْرَانِ الْمَجْلِسِ، فَيَقْسِمُ الْمَجْلِسَ فِيْسِينَ، أَحَدُهُمَا
الْشَّيْخُ قَطْ، وَثَانِيَهُمَا الْإِخْرَانِ جَمِيعًا فِي سَاجِلِهِمُ الشِّعْرَ . حَتَّى
يَرْهُمُوهُمْ وَيَكْتُبُوهُمْ، فَإِنْ وَصَلُوا إِلَى تِلْكَ الْحَالَةِ حَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانَ
يَجِدُ أَنْ يَقُولَ .

ولقد مر بك أنه رضي الله عنه كان يفرض القعيدة من
الشعر في زحة المذاقة ، وحدة المحاورة ، ولا يخلص إلى الورقة
التي يصبح عليها إلا في لحظات ، ومع ذلك لا ينتهي المجلس إلا
باتئانها ، ولربما تلتفت أحد المشدين فأشدها الإخوان في
نفس المجلس .

ولإله ليعود بذاكره خمسين سنة طابة بيت من الشعر .
بذكر فيرد الفصيدة بمحالها ولو كانت في طول المعلقات .

العنوان

كان شيخاً رضي الله عنه حكماً ، يضع النقاش في محله ، فلا يرسل كلامه لرسالة ، ولا يطلقه اعتباطاً ، بل يزن الكلمة يميزان دقيقاً ، ويضمنها بين كلات الجملة فتسريح معنى وغاية ، حتى إذا نقلت إلى السمع استقرت في القلب بمعناها الذي أراده ، ومغزاها الذي هدف إليه ، فلم يحوج ساعده إلى تكرارها ، ولم يتعمّم في تفاصيل ما فيها ، فلا يعرب إذا كان السائل أبداً ، حتى لا يرهقه في أحدود الجواب ، ولا ينزل إذا كان السائل متعلماً حتى لا يغفل بتفسيره وهكذا .

وعا هو جدير باللاحظة ، أنَّ الشِّيخ رضوان الله عليه لم يُؤْخَذ
عليه قولٌ يعطي معنى غير مأثورٍ . كأنْ يقول بقوله ، الخلاج ،
أو بقول أحد من المخلوقين ، بل أثابها حرباً شعراً . هل من قال

بوحدة الوجود ، أو وصف الله بغير ما توأماً عليه الملون ،
وبعد بعض ما تقدره به بعض كبار الأولياء ، شطحات ، جاموا بها
نـ غيبتهم ، وأنكروها في حضورهم ، وليس على غالب العقل
من سبيل .

فإذا استعرضت حكمه وفي رحاته ، لم تجد إلا آراء متفقة ،
وإلا أنفس إلا سديدة ، معها في ملائكة لا تزيد .

وقد كان كثيراً ما تأخذ رأيه في بعض كلمات صدرت من عظمه
صوفيين ، لا يتبده العقل بمعناها بدون تفكير وتفليب ، فكان
رضي الله عنه يأخذ في تفنيت الفاظها ، ثم يجمعها في قلب متقي ،
ثم يصب عليها المعنى فإن وسعته خلبر وجه السنة . وإن خافت
عنه نبذها ولم يلتقط إليها ، أما ما صرخ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حديث إلا أن معناه فوق عقول بعض الناس فكان يبعد إلى
موضع ، ويرد الفاظه إلى لغة العرب الخلص . حتى تتساند إلى
معانها في سهولة ويسر ، ولقد مثّل به حديث ، نعم العبد صاحب
لو لم يخف الله لم يعشه ، ف تعرض إلى أدافئ التي المتعاقفين على
الحاديـث ، وما يعطيه تكرارها من ليس ، فأزال هذا التبس ،
وجلا الحديث في ثوبه القثيب ، ولقد وقع في هذا الحديث
بالذات كاباً كامل الصفحات ، حكم العبارات ، لا زالت نسخته في
مكتبة المنشورة .

ولقد تعرض لحديث الرؤيا بين نقائشة رضي الله عنها

وأبيات عبد الله بن عباس على ما ألقن فوفقاً بين الحديثين توقيعاً
عجباً، ولم يفرد رواية أحد هما رغم تناقضها.

وكان يتخذ مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه تعبداً
ومع ذلك لم ينصر له في كثير من القضايا ويرى الحق بخلاف مذهب
آخر، أو على الأقل يوفق بين المذهبين.

حضرات الذكر

الحضرات تأثرت في المرتبة الثانية بعد مجلس الشيخ رضي الله
عنه، فجلس الشيخ مثلاً عنده ذكر فهو تعليم ونہذب وتنقیب
وخلوة باحتلاه، وجه الشيخ الكريم وسماح بشف شف سمعك وجمال
بفر عنك وبرح قلبك، ولدنو المجلس من أرواح الحسين كانوا
يزارون عليه والحضره ذاكرة على كتب منه ولا يتحولون عنه
إلا بأمر من الشيخ رضي الله عنه.

نظام الحضرات

لكل بيت من بيوت الطريق أو مجموعة من بيوت عاته زاوية
تقام فيها، الحضرات في خوان القرى لديهم زواياهم وكذلك إخوان
المدن. وكل جماعة من الجماعات تقوم بحضوره بعد صلاة العشاء
من كل ليلة أو في ليل معيّنة من الأسبوع تحت إشراف نائب
المحى أو الخليفة الملقن – أما الحضرات الجماعية وهي التي تكون

في المساجد الكبيرة العامة ، فكانت تحت إشراف الشیع بیاضرة و تقوم بعد صلاة العشاء بفترة تکفى المتخلفین عن صلاة الجماعة ، فعندما يلتزم عقد الإخوان بجلسون صفوًا مستطیلة أفقية بحيث يكون نصف الإخوان في نصف المسجد مقابلة وجواههم مع نصف الإخوان في النصف الآخر من المسجد ويقترب على هذا أن يتوسط المجلس صفان من المتشددين متعابلان وبذلك يهل عليها تأوب الآنانيد مع بعضها ويدور حول صفو الإخوان المتراءة في خطوط مستقيمة حف خارجي عجیظ بمحض ظهور الذاکرین ، ويقبل الشیع رضوان الله عليه فيجلس في منتصف الجماعات ، ويفتح المختارة بثلاوة حزب (الجوهرة الحامدية) أو (الوخلیفة الشاذلیة) أو (حزب الإخلاص) أو بعض من أيهما ثم يذكر جملة لا إله إلا الله ، ويتبعه سائر الذاکرین فترة طینة ثم يقف بهم ذاکرآ الاسم « آله » تارة بصوت خافت ، و تارة بصوت بين المخفوت والارتفاع ، وثالثة بصوت مرتفع ، وبين تقلبات هذا الاسم الكريم يبدأ المتشدلون علهم بقصائد دینية ، أو أناشید صوفیة ، أو توسلات بآل البيت ، والشیع يصفق لتنظيم أصوات الذاکرین مارآین صفو قفهم بنبه قلوب الإخوان ويلهب مشاعرهم ويوقظ غائتهم ، حتى إذا اسْتَوْفُوا حظهم من أنوار الاسم الكريم نظمهم إلى غيره من آسماء « الله لا إله إلا هو الحی القیوم » في ذکر جل و اضع خاطر المقاطع سليم التعلق إلى

أن يجعل الذاكرون والشيخ رضي الله عنه ، قتلى شيء من القرآن الكريم بعقه ذكر جلة ، لا إله إلا الله ، ثلاث مرات بالصوت العالي ، وتحتمم بحملة محمد رسول الله ، ثم إذا شاء الشيخ رضي الله عنه كلف أحد المتشددين يأشاد شيئاً من قصيدة أو غيرها ، ثم اللطافية ، فإذا فرغوا ذكرروا جلة (لا إله إلا الله) مرة واحدة ، وتحتموها بجملة (محمد رسول الله) ، ثم قراءة الفاتحة مرات ببنات مختلفات ، ثم تحتمل الحشرة بحمة الصيحة الأولى — ويقف الشيخ رضي الله عنه لصافحة الإخوان بين اثنين منها معتمدًا بمرده على يد أحدهما حتى ينتهي من الصافحة مما كان عدد الصالحين ، فيعمّر رضوان الله عليه بباب المجد في زحمة من الإخوان زاحف ، وكانت للإخوان حضرتان عامتان في مساجدين مختلفين في مسجد بيضى أبي العلاء يولاد في ماء الأحمد من كل أسبوع ، وفي مسجد السلطان الحنفي في ماء الثلاثاء من كل أسبوع ، وقد كانت تقوم حضرات في مساجد أخرى بإشراف الشيخ رضي الله تعالى عنه ، كمسجد بيضى الشعراوى ، وبيضى على اليوسفي ، وبيضى فاطمة النبوية ، إلا أنه استغنى عنها بالتدريج ، أما في مناسبات موالد كبار الأولياء ، فقد كان للإخوان ليلة خاصة يحيونها تحت إشراف شيخ رضوان الله عليه .

أما طريقة المصافحة : فهي أن يضع المربي بيده في بد الشيخ سجدة تكون أصابعها ملتفة على ظهر بيده الشربة ، وكذلك

بد الشیخ مع المرید ، ثم برفعان يدهما كلیهما إلى قریب من
فهـما فیقبلان أو پیشان . وما هو جدير بالذکر أن المصالحة
على هذه الطريقة ترمز إلى المساواة بين أخوین يتصالحان فهـما
معاً في قلة واحدة أو شـمة واحدة في مستوى واحد ، و ذلك
لغـة من أصحاب الطريق مقصودة بهذه العـادة السـامية ، والـفـكرة
الـعـالية ، أـسـكتـنا اللهـ عـمـهمـ فيـ مقـامـ صـدقـ عـنـ مـلـكـ مـقـدرـ .

ولـاـ لـذـاكـرـونـ لـكـ بـعـضاـ مـنـ مـعـانـيـ أـسـماءـ اللهـ الحـسـنىـ التـىـ
اخـتـارـهـ الشـیـخـ رـضـیـ اللـهـ عـنـهـ فـیـ الـحـضـرـاتـ ، وـمـبـثـونـ بـعـضـ
ما اـشـتـغلـتـ عـلـيـهـ مـنـ أـسـرـارـ وـأـنـوارـ ، وـماـ اـحـنـوتـ عـلـيـهـ مـنـ
بـيـوـحـاتـ فـدـيـاتـ ، وـنـفـحـاتـ عـاطـرـاتـ .

أـسـماءـ اللهـ الحـسـنىـ فـیـ الـأـذـكـارـ

أـسـماءـ اللهـ الحـسـنىـ التـىـ اـخـتـارـهـ رـضـیـ اللـهـ عـنـهـ لـحـضـرـاتـ الذـکـرـ
عـصـورـةـ فـیـ آـيـةـ الـكـرـسـىـ ، كـمـأـشـرـنـاـ إـلـىـ ذـلـكـ وـهـىـ عـلـىـ هـذـاـ التـرـتبـ :
لا إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ — اللـهـ — هـوـ — حـىـ — قـيـومـ
وـاـخـبـارـهـ إـلـيـاهـ رـضـیـ اللـهـ عـنـهـ تـرـجـعـ إـلـىـ عـظـيمـ أـسـرـارـهـ .
وـقـوـةـ أـنـوارـهـ .

وـأـكـشفـ بـعـونـ اللـهـ تـعـالـىـ بـعـضـ نـوـاحـيـهاـ ، مـعـنـدـأـ عـلـىـ مـاـ تـلـقـفـتـهـ
مـنـ فـيـرـضـاتـهـ فـیـ الـمـجـالـسـ ، وـمـاـ اـخـرـزـتـهـ مـنـ مـطـالـعـاـقـيـ الـخـاصـةـ ، وـمـنـ
بعـضـ آـرـاءـ الـمـؤـلـفـينـ وـالـمـسـرـبـينـ .

أسرار آية الكرسي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما فرنت هذه الآية في دار إلا واهترتها شياطين ثلاثة يوماً، ولا يدخلها ساحر، ولا ساحرة أربعين ليلة ..

وعن علي كرم الله وجهه أنه قال: سمعت نبيكم على أخوه المبر و هو يقول: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، ولا يواطئ عليها إلا صديق أو عايد، ومن قرأها إذا أخذ مرضجه أمه الله على نفسه وجاره وجار جاره والبيوت التي حوله ..»

و تذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن، فقال لهم علي رضي الله عنه: أين أنتم من آية الكرسي، ثم قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا علي: سيد البشر آدم، و سيد العرب محمد ولا يغفر، و سيد الكلام القرآن، و سيد القرآن العترة، و سيد العترة آية الكرسي ..

أسرار لا إله إلا الله

لم أجد كلاماً أشرف للصدر، وأنور لل بصيرة، وأهدى للقلب، من شرح شيخنا رضي الله عنه لهذه الصيحة على طول ما طوقت على الكتب، وتعصبت كلام الناس ..

وَهَا هُوَ ذَا كَلَامَهُ رَضِيَّ أَنَّهُ عَنْهُ فَهَا، أَمْلَاهُ عَلَى بَعْضِ إِخْرَانِهِ
الْجَلْسُ، قَالَ:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نَبِيٌّ وَإِثْبَاتٌ، (لَا إِلَهَ) نَبِيٌّ، (إِلَّا اللَّهُ) إِثْبَاتٌ،
الَّتِي يَنْصُبُ عَلَى كُلِّ مَا سُوَى اللَّهِ مِنَ الْمَعْرُدَاتِ بِعِيرٍ حَقٍّ، فِي حَالَةِ
الَّتِي يَلْاحِظُ الْإِثْبَاتُ، الْإِثْبَاتُ اعْتِقَادُوا لِلَّهِ وَحْدَهُ،
أَوْ تَأْنِيرُ أَوْ الْفَعْلُ، إِلَّا لِلَّهِ الْمَعْرُدُ بِعِيرِ الْعُودَيْهُ وَالْعُودَيْهُ الْإِسْلَامُ
وَالْإِنْبَادُ، النَّبِيُّ عَلَى الْجَيْنِ وَالْإِثْبَاتِ عَلَى الْبَيْارِ بِحَادَّةِ الْقَلْبِ،
بِنَبِيٍّ مِنَ الْقَلْبِ اعْتِقَادُ التَّأْنِيرِ أَوْ الْأَلْوَهَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ، فَبِلْقِبِها عَلَى
الْجَيْنِ، ثُمَّ بِرَجْعٍ بِالْإِثْبَاتِ عَلَى الْبَيْارِ فِي الْقَلْبِ بِلْلَاحِظِ الْغَلِّ،
فِي الْإِثْبَاتِ بِلْلَاحِظِ الْعُلوِّيِّ؛ فَبِخَفْضِ رَأْسِهِ ذَاهِيًّا مِنَ الْبَيْارِ إِلَى
الْجَيْنِ، وَبِرَفَعِهِ أَعْيَّا مِنَ الْجَيْنِ إِلَى الْبَيْارِ، اتَّهَى كَلَامَهُ رَضِيَّ أَنَّهُ عَنْهُ.

قَالَ عَدَّ أَنَّهُ بْنُ حُمَرٍ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِرُ عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تِسْعَةُ وَتِسْعِينَ
جَهْلًا، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِثْلَ مَدَّ الْعَرَقِ فَيَقُولُ لَهُ هَلْ تَكْرِرُ مِنْ هَذَا
ثَيْنًا؟ هَلْ ظَلَّكَ الْكَرَامُ الْكَاتُونَ؟ فَيَقُولُ : لَا يَارَبُّ، فَيَقُولُ
اللَّهُ تَعَالَى : أَقْبَلَ كَانَ لَكَ عَنْرُوفٌ فِي عَمَلِ هَذِهِ الْذُنُوبِ؟ فَيَقُولُ لَا يَارَبُّ،
فَيَقْصُعُ ذَلِكَ الْعَبْدُ قَلْبَهُ عَلَى النَّازِرِ، فَيَقُولُ أَنَّهُ تَعَالَى : إِنَّكَ عَنِّي
حَسَنَةٌ وَإِنَّهُ لَا يَظْلِمُ الْبَرِّمَ، ثُمَّ يَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا، أَنْبَهُدُ أَنَّ لِلَّهِ إِلَّا أَنَّهُ
وَأَنْبَهُدُ أَنَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَيَقُولُ الْعَبْدُ : يَارَبُّ، كَيْفَ تَقْعِدُ
هَذِهِ الْبَطَاقَةُ فِي مُقَابِلَةِ هَذِهِ الْجَلَاتِ، فَتَرْضِعُ الْبَطَاقَةَ فِي كُفَّةِ

والجلات في كفة أخرى ، فطافت السجلات ، وثقلت الطاقة ،
ولا ينقل مع ذكره شيء .

وها الطفة جبلة . فقد ورد في القرآن الكريم تلاته صيغ
وهي : ، لا إله إلا أنا ، ، لا إله إلا أنت ، ، لا إله إلا هو .
اما قوله عز شأنه : ، لا إله إلا أنا ، لم يحصل العلم به على سبيل
الكمال إلا للحق تعالى .

وأما قوله جل وعلا : ، لا إله إلا أنت ، فهذا يصح ذكره من
العبد ، لكن بشرط أن يكون حاضراً لا غاباً ، وهذه الحالة اتفق
حشو لها ليونس عليه السلام عند غيبته عن جميع خطوط النفس ،
وهذا تنبئه على أن الإنسان مالم يصر غاباً عن كل المخطوط لا يصل
إلى مقام المشاهدة .

وأما قوله سبحانه وتعالى : ، لا إله إلا هو ، فهذا يصح
من الغائبين .

ودرجات المخصوص مختلفة بالقرب والبعد ، وكمال التجل والتقدير ،
وكل درجة تامة من درجات المخصوص ، فهي غيبة بالتبة إلى
الدرجة الكلامية .

ولما كانت درجات المخصوص غير متافية ، كانت مرادب
الكلالات والقصائد غير متافية ، فكانت درجات المخصوص
والغيبة غير متافية ، فكل من صدق عليه أنه حاضر ، فاعتبار ؟

آخر يصدق عليه أنه غائب ، وبالعكس . وعن هذا قال الشاعر :
أبا غانياً حاضراً في الغياب سلام على الغائب الحاضر

وقال شيخنا رضي الله عنه يعني لا إله إلا الله على ثلاثة أنواع : نوع تعطيه للمبتدئين هو لا إله بمعنى إلا الله نوع تعطيه للعتوه سلطين ، هو لا مقصود إلا الله ، ونوع تعطيه للشيوخ ، هو لا موجود إلا الله .

الله

اسم عَلِمَ الله تعالى موضوع تلك الذات ، وأنها ليست من الألفاظ المتنكرة .

وأن كل من أراد أن يذكر الله تعالى بالصفات المقدسة فإنه يذكر أولاً لفظة الله ثم يذكر عقبه صفات المدائح مثل أن يقول : الله العالم القادر الحكيم ولا يعكر هذا ، فلما يقول : العالم القادر الله ، وذلك يدل على أن قوله الله ، لسم علم .

واعلم أن الله تعالى هو المتحقق للعبادة ، وذلك لأن الله تعالى هو المنعم بجميع النعم أصلها وفروها ، فجميع ما حصل للعبد من أيام النعم لم يحصل إلا من الله ، ثبتت أن غاية الإنعام صادرة من الله ، والعبادة غاية التعظيم ، وغاية التعظيم لا يليق إلا لمن صدرت عنه غاية الإنعام ، ثبتت أن المستحق للعبودية ليس إلا الله تعالى .

وإن من الناس من يعبد الله لطلب الثواب ، وهو جهل وسخف ،
ويبدل عليه وجوه :

(الأول) أن من عبد الله ليتوصل بعبادته إلى شئ . آخر
كان المعمود في الحقيقة هو ذلك الشئ ، فلن عبد الله لطلب الثواب
كان معموده في الحقيقة هو الثواب ، وكان الله تعالى وسيلة إلى
الوصول إلى ذلك المعمود ، وهذا جهل عظيم .

(الثاني) أن من عمل عملاً لغرض آخر كان يبحث لو وجد
ذلك الغرض بطريق آخر لترك الواسطة ، فلن عبد الله للأجر
والثواب كان يبحث لو وجد الأجر والثواب بطريق آخر لم بعد
أنه ، ومن كان كذلك لم يكن عاجزاً ، ولم يكن راغباً في عبادة
له ، وكل ذلك جهل .

ومن الناس من يعبد الله لغرض أعلى من الأول ، وهو أن
يتشرف بخدمة الله ، لأنه إذا شرع في الصلاة حصلت إليه في القلب
ونزلت إليه عبارة عن العلم بعزه الربوبية وذلة العبودية وحصل
الذكر في اللسان ، وحصلت الخدمة في الجوارح والأعضاء ،
فيتشرف كل جزء من أجزاء العبد بخدمة الله . ففصرد العبد
حصول هذا الشرف .

واعلم أن الخلق قهبان : راصلون إلى ساحل بحر معرفته ،
وبحرو من :

فالمخربون قد يغوا في طلبات الحيرة ونية الجحالة ، فكأنهم
فقدوا عقوبهم وأروا حبهم .

وأما الواجبون : فقد وصلوا إلى عَرْضَةِ النور ، وفتحة
الكُبْرِيَاءِ والخلال ، فناهوا في ميادين الصمديَّةِ ، وبادروا في عرضةِ
الفردانية ، فثبت أنَّ المخلق كلامه والممون في معرفته . فلا جرم
كان الإله الحق للخلق هو هو - وبعبارة أخرى أنَّ الأدوات
البشرية تابقت في ميادين التوحيد والتمجيد ، بعضها تختلف ،
وبعضها بقيت ، فالي تختلفت بقيت في طلبات الغبار ، والتي سقطت
وصلت إلى عالم الأنوار ، فالأولون بادروا في أودية الظلبات .
والآخرون طاشروا في أنوار عالم الكرامات .

نَمَ إِنْهَا كَهْ صَدَبَتْهُ مُحْجِبَ عَنِ الْعُقُولِ ، هُلْ نَدَرَنَا أَنَّ الشَّسْ كَانَ
وَاقِفَةً فِي وَسْطِ الْفَلَكِ غَيْرَ مُتَحْرِكَةٍ كَانَتِ الْأَنْوَارُ يَاقِيَّةً عَلَى الْجَدَرَانِ
غَيْرَ زَانَةٌ عَنْهَا ، فَبَيْنَذَا كَانَ يَخْطُرُ بِالْبَالِ أَنَّ هَذِهِ الْأَنْوَارُ الْوَاقِعَةُ
عَلَى هَذِهِ الْجَدَرَانِ ذَاتِيَّةٌ لَهَا ، إِلَّا أَنَّا لَمَّا شَاهَدْنَا أَنَّ الشَّسْ تَغْبَبَ
وَعَنْدَ غَيْبِهِ تَزَوَّلُ هَذِهِ الْأَنْوَارُ عَنْ هَذِهِ الْجَدَرَانِ ، فَبِهَذَا الطَّرِيقِ
عَلَيْنَا أَنَّ هَذِهِ الْأَنْوَارُ فَائِضَةٌ عَنْ فِرَصِ الشَّسِ ، فَكَذَا هَنَا الْوُجُودُ
الْوَاصِلُ إِلَى جَمِيعِ عَالَمِ الْمُخْلوقَاتِ مِنْ جَنَابِ قَدْرَةِ أَنْهِ تَعَالَى كَالنُّورِ
الْوَاصِلُ مِنْ فِرَصِ الشَّسِ : هُلْ قَدْ رَأَيْنَا أَنَّهُ كَانَ يَصْعُبُ عَلَى أَنْهِ تَعَالَى
الظُّلُوعُ وَالغُرُوبُ وَالْغَيَّةُ وَالْمُخْتُورُ . لَكَانَ عَنْدَ غُرُوبِهِ يَزُولُ حِنْوَهُ .

الوجود عن المكبات ، فلبيته كان يطير أن نور الوجود منه ،
لكنه لما كان الغروب والطلع عليه محلا لا جرم حظر بالبعض
الناهين أن هذه الأشياء موجودة بذواتها ولذواتها . ثبت أنه
لا سبب لاحتجاب نوره إلا كمال نوره ، فلهذا قال بعض المحققين .
 سبحان من احتجب عن العقول بشدة ظوره ، واحتفى عنها
بكمال نوره .

وإذا كان كذلك ثبت أن حقيقة الصدقية متحججة عن العقول .
ولا يجوز أن يقال : مخصوصية لأن المحبوب مقبول ، والمقبول يليق
بالعبد ، أما الحق ففاحر ، وصفة الاحتجاب صفة الفاجر ، فالحق
محجوب ، والخلق محظوظون .

شكا بعض المربيين من كثرة الوسواس فقال الأستاذ : كنـتـ
حداداً عشر سنين ، وفصاراً عشرة أخرى ، وبواباً عشرة ثالثة ،
قالوا : هل رأيناك فعلت ذلك ، قال : فعلت ولكنكم ما رأيتم ، ألمـ
عـرـقـمـ أـنـ الـقـلـبـ كـالـحـدـبـ ؟ـ فـكـتـ كـالـحدـادـ أـلـهـ بـنـارـ الـخـوفـ عـشرـ
سـنـينـ ،ـ ثـمـ بـعـدـ ذـلـكـ شـرـعـتـ فـغـلـهـ مـنـ الـأـوـصـارـ وـالـأـفـارـ عـشرـ
سـنـينـ ،ـ ثـمـ بـعـدـ هـذـهـ الـأـعـوـالـ جـلـتـ عـلـىـ بـابـ حـجـرـةـ الـقـلـبـ عـشرـ
أـخـرـىـ سـلـاـمـ ،ـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ إـلـهـ ،ـ قـلـ أـزـلـ حـنـيـ بـخـرـجـ مـنـ حـبـ
غـيـرـ إـلـهـ ،ـ وـلـمـ يـزـلـ يـدـخـلـ فـيـهـ حـبـ إـلـهـ تـعـالـىـ ،ـ فـلـيـ خـلـعـ عـرـصـةـ
الـقـلـبـ عـنـ غـيـرـ إـلـهـ تـعـالـىـ ،ـ وـقـوـبـتـ فـيـهـ حـبـ إـلـهـ ،ـ مـقـطـعـتـ مـنـ بـحـارـ

عالم المجال فطرة من الترور ففرق القلب في تلك القطرة، وفقي عن
الكل ، ولم يبق فيه إلا حسن سر ، لا إله إلا الله ، وقال شيخنا
رضي الله عنه : معنى قوله الله ، علم على الذات الواجب الوجود
المتحقق بجمع المحمود .

وإذا علمنت بأن العباد مولعون بالنصراع إليه في كل
الأحوال ، علمنت أن الإنسان إذا وقع في بلاه عظيم ، وآفة قوية ،
فهذاك يلي كل شيء إلا الله تعالى ، فيقول بقائه ولانه يارب ،
يارب ، يا رب ، فإذا تخلص من ذلك البلا ، وعاد إلى ما زال
والنعيم ، أخذ يذهب ذلك الخلاس إلى الأسباب الضعيفة ،
والأحوال الخبيثة ، وهنا فعل متناقض ، لأنه إذا كان التخلص
من الآفات ، والموصى إلى الخيرات غير الله وجب الرجوع في
وقت نزول البلا إلى غير الله ، وإن كان مصلحة المهمات هو الله
تعالى في وقت البلا . وجوب أن يكون الحال كذلك في سائر الأوقات ،
وأما الفزع إليه عند الضرورات ، والإعراض عنه عند الراحات .
فلا يليق بأرباب المداببات .

والحسن في الظاهر إن كان غير الله بذلك الغير لا يحسن إلا
إذا خلق الله في قلبه داعية الإحسان ، فالخلق سبحانه وتعالى هو
الحسن في الحقيقة ، والحسن مرجوع إليه في كل الأوقات ، والخلق
مشغوفون به .

والعبد إذا تفكّر في الله تخيّر ، لأنّ كلّ ما يتعلّمه الإنسان
ويتصرّه فهو بخلافه ، فإنّ منكر العقل وجوده كذبه نفسه ، لأنّ
كلّ ما سواه فهو محتاج ، وحصول المحتاج بدون الحاجة إليه عجّال ،
وإنّ أشار إلى شيء يضطّه الحس والخيال وقال إنه هو كذبه نفسه
أيضاً ، لأنّ كلّ ما يضطّه الحس والخيال فamarات الحدوث ظاهرة
فيه ، فلم يبق في يد العقل إلا أنّ يقول بالوجود والكمال مع
الاعتراف بالعجز عن الإدراك ، فما هنا العجز عن درك الإدراك
إدراك ، ولا شك أنّ هذا موقف عجيب تخيّر العقول فيه وتصرّب
الآباب في حروابه :

يختار من يختار عزّاً فاتي رحبيت بنى في مازل أحبابي
ويدخل من يهوى الدخول لجهنم فناية عزى أنّ أكون على الباب
وأقمع من حلّ الحديث بقوطاً رحبيتك يا عبدي خديعاً على الباب

، هو ،

لهذا الاسم أسرار طيبة ، فن أسراره ما يقوله ، الفخر ، أنّ
الرجل إذا قال ، ياهو ، فكانه يقول : من أنا حتى أعرفك ، ومن
أنا حتى أكون مخاطبك ، وما للتراب ورب الأرباب ، وأى حاجة
بين المترابع عن النطفة والدم وبين الموصوف بالأزلية والقدم ،
فأنت أعلى من جميع المثابات وأنت مقدس عن علامتي العقول
والخيالات ، فلهذا خاطبه العبد بخطاب النابين فقال ، ياهو ..

ثُمَّ إِنْ هَذَا الْفُطُورُ كَدَلْ عَلَى إِقْرَارِ الْعِدْلِ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُدْبَلَةِ
وَالْعَدْمُ فِيهِ أَيْضًا دَلَالَةً عَلَى أَنَّهُ أَقْرَأَ بَأْنَ كُلَّ مَا سَوَى أَنَّهُ تَعَالَى
فَهُوَ مُحْسِنُ الْعَدْمِ ، لَأَنَّ الْقَاتِلَ إِذَا قَالَ «بَا هُوَ» فَلَوْ حَصَلَ فِي الْوُجُودِ
ثَيْنَانٌ لِكَانَ قَوْلَنَا (هُوَ) حَالَهَا لِهَا جَمِيعًا ، فَلَا يَتَعَيَّنُ وَاحِدٌ
مِنْهَا بِسَبِيلٍ قَوْلَهُ «هُوَ» ، فَلِمَا قَالَ (بَا هُوَ) فَلَقِدْ حَكْمٌ عَنْ كُلِّ مَا سَوَى
أَنَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ مُحْسِنٌ وَنَفْعٌ صَرْفٌ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ
إِلَّا وَجْهِهِ» ، وَهَذَانِ الْمَقَامَانِ فِي الْفَتَاءِ عَنْ كُلِّ مَا سَوَى أَنَّهُ مَقَامَانٌ
فِي غَابَةِ الْجَلَالِ ، وَلَا يَحْصُلُانِ إِلَّا عَنْدِ مَوَاضِعِ الْعِدْلِ عَلَى أَنْ يَنْكِرَ
أَنَّهُ بِقَوْلِهِ «هُوَ» .

فَإِنَّ الْعِدْلَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ بِشَيْءٍ مِنْ صَفَائِهِ لَمْ يَكُنْ مُنْفَرِقاً فِي
مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، لَأَنَّهُ إِذَا قَالَ «بِإِيمَانِ رَحْمَنِ» ، فَلَيَتَذَكَّرْ رَحْمَهُ
فَبِعِيلٍ طَلَبَهُ إِلَى طَلَبِهِ فَيَكُونُ طَالِبًا لِلْحُكْمَةِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ «بِإِكْرَامِ
يَا مُحَمَّدٍ» ، يَا غَفَارَ ، يَا وَهَابَ ، يَا فَاتَحَ ، وَقَسَ عَلَيْهَا سَاتِرُ الْأَسْمَاءِ . أَمَا
إِذَا قَالَ «بَا هُوَ» ، فَإِنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّهُ هُوَ ، وَهَذَا الذِكْرُ لَا يَبْدُلُ عَلَى شَيْءٍ
غَيْرِهِ الْبَتَّةَ ، فَلَيَتَذَكَّرْ يَحْصُلُ فِي قَلْبِهِ نُورٌ ذِكْرٌ ، وَلَا يَنْكِرْ ذَلِكَ
النُورُ بِالظَّلَّةِ الْمُتَوَلِّةِ عَنْ ذِكْرِ غَيْرِهِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهَذَاكَ يَحْصُلُ فِي قَلْبِهِ
النُورُ التَّامُ وَالْكَافِلُ الْكَاملُ .

وَاعْلَمُ أَنَّ الْمَوَاضِعَ عَلَى هَذَا الذِكْرِ تُورَّتُ الشُّوقُ إِلَى اللَّهِ .
وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّهُ «هُوَ» ضَمِيرُ الْعَالَبِ ، فَالْعِدْلُ إِذَا ذِكْرَهُنَّهُ الْكَلْمَةُ
عَلَى أَنَّهُ غَابَ عَنِ الْحَقِّ ، ثُمَّ يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ النَّيْةُ لِبَسِ الْكَانِ

والجهة . وإنما كانت بسب أنه موصوف ببعضيات المحدث .
والإمكان ، ومعيوب بعيوب الكون في إحاطة المكان والزمان .
فثبت أن المواظبة على ذكر كلة « هو » تورث الشوق إلى الله
تعالى ، وثبت أن الشرق إلى الله أعظم المقامات وأحڪمها
بهجة وسعادة ، فلزم أن يقال : المواظبة على ذكر هذه الكلمة
تزيد أعلى المقامات ، وأعلى الدرجات .

ومن فوائد هذا الذكر العالى ، ماروى عن النبي صلى الله عليه

رسوله ، أنه قال :

« من جعل همومه هماً واحداً كفاء الله هموم الدنيا والأخرة ». .
فكلأن العبد يقول : هموسى في الدنيا والأخرة غير متاهة .
وال حاجات التي هي غير متاهة لا يقدر عليها إلا الموصوف بقدرة
غير متاهة ، على هذا أنا لا أقدر على دفع حاجاتي ولا على تحصيل
مهماتي ، بل ليس القادر على دفع تلك الحاجات . وعلى تحصيل تلك
المهام إلا الله سبحانه وتعالى ، فأنا أجعل همي متغولاً بذكره .
فقط ، فإذا فعلت ذلك فهو رحمه يكفيني مهمات الدنيا والأخرة .
ومن لطائف هذا الفصل أن الشيخ الغزال رحمه الله كان يقول :

« لا إله إلا الله ، توحيد العزام . ولا إله إلا هو ، توحيد الخواص .

ويحكى أن الشاعر لما قربت وفاته ، قال بعض الحاضرين :

قل لا إله إلا الله ، قال :

كل بيت أنت حاضر . غير محتاج إلى السرج
ووجهك المأمول حجتنا يوم تأني الناس بالحجج
ثم إن النفس متغرة في عالم الحس والخيال ، فالإنسان إذا
أراد جذبها إلى عنبة عالم القدس يحتاج إلى من يلهمها على كمال الحضرة
المقدسة . ولا سبيل له إلا بهذه الطريقين ، أعني ذكر صفات
الخلال ، وصفات الإكرام ، فهو أطيب على هذين النوعين حتى
نعرض النفس عن عالم الحس ، وتألف الوقوف على عنبة القدس ،
إذا حصلت هذه الحالة فعند ذلك ينفعه لما في ذيتك النوعين من
الذكر من الأعراض المذكورة ، وعند ذلك يترك تلك الأذكار
ويقول ، هو ، كأن العبد يقول : أجل حضرتك أن أدخلك وأتني
عليك بسب قصاص المخلوقات عنك ، أو يساعدك كلامات
المخلوقات إليك ، فإن كلامك أعلى وجلالك أعظم ، بل لا أدخلك
ولا أنت علىك إلا بهدابتك من حيث هي ، ولا أخاطبك أيضاً
بلعنة ، أنت ، لأن تلك المنفعة تُنفي تنبه والكبر حيث تقول
الروح إني قد بلغت مبلغاً حررت كالحاضر في حضرة واجب
الوجود ، ولكن لا أزيد على قول ، هو ، ليكون إقراراً بأنه
هو المدوح لذاته ، ويكون إقراراً بأن حضرته أعلى وأجل
من أن ينادي حضور المخلوقات ، فهذه الكلمة الواحدة تنبه على
هذه الأسرار في مقامات التعلق والمكاثفات ، فلا حرم كان هنا

الذكر أشرف الأذكار ، لكن بشرط التلبية لهذه الأسرار .

الحي القيوم

هو الحي القيوم بالنسبة إلى الموجودات ، فالمتفقون بذلك
 المقصود بكل ماءده في عايهته وجوده . ولما كان واجب الوجود
 لذاته كان هو القيوم الحق بالنسبة إلى الكل ، ثم إنه لما كان المؤثر
 في الغير ، إما أن يكون مؤثراً بالطيبة والإيجاب . وإما أن يكون
 مؤثراً على سلسلة الفعل والاختبار ، لا جرم أزال رهم كونه مؤثراً
 بالطيبة والإيجاب بقوله «الحي القيوم» ، فإن «الحي» هو المدرء إلى
 الفعال . في قوله «الحي» دل على كونه عالماً قادرًا . ويقوله
 «القيوم» دل على كونه قائمًا بذاته ، ومقدوماً بكل ماءده ، ومن
 هذين الأصلين تشعب جميع مسائل علم التوحيد .

فأولاً : واجب الوجود واحد ، يعني أن عايهته غير مركبة
 من الأجزاء .

ثانياً : أنه لما كان قيوماً كان قائماً بذاته ، وكونه قائماً
 بذاته يستلزم :

(أ) لا يكون عرضاً في موضوع ، ولا صورة في مادة ،
 ولا حال في محل أصله .

(ب) كونه قائماً بذاته لا يغيره ، معناه أن خلقة حاضرة
 عند ذاته ، وإذا كان لامعنى للعلم إلا لهذا الحضور ، وجب أن

تكون حقيقته معلومة لذاته ، فما ذاته معلومة لذاته ، وكل ما عداه فإنه إنما يحصل بتأثيره .

ثالثاً : لما كان قيوماً لكل متساوية ، كان كل متساوية محدثاً ، لأن تأثيره في تقويم ذلك الغير . يجتمع أن يكون حال بقاء ذلك الغير ، لأن تحويل المتسائل محال . فهو إنما حال عصمه ، وإنما حال حدوثه . وعلى التقديرتين وجوب أن يكون الكل محدثاً .

رابعاً : أنه لما كان قيوماً لكل المكبات استندت كل المكبات إليه ، إنما بواسطة أو بغير واسطة . وعلى التقديرتين كان القول بالقضاء والقدر حذاً .

خامساً : قوله تعالى : « شهد الله أنه لا إله إلا هو » فيه بيان التوحيد يعني تقي الصد والتد ، وقوله : « إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض » . فيه بيان الربوبية .

وأما قوله : « الحى القيوم » ، فإنه يدل على الكل ، لأن كونه قيوماً يقتضي أن يكون ذاتاً ذاته ، وأن يكون مقوماً لغيره ، وكونه ذاتاً ذاته يقتضي الوحدة يعني تقي الكرة في حقيقته . وذلك يقتضي الوحدة يعني تقي الصد والتد ، ويقتضي تقي التحيز والمحنة . وأيضاً كونه قيوماً يعني كونه مقوماً لغيره ، يقتضي حدوث كل متساوية . جها كان أو روحًا . عقلاً كان أو نفراً . ويقتضي إسادة الكل إليه ، وناته جلة الآيات والمعيات إليه . وذلك يوجب القول بالقضاء والقدر . فنظير أن هذين المتصفين كالمجيئين بجمع

ما حث العلم الإلهي ، فلا حرج بلقت هذه الآية في الشرف إلى المقصد الأقصى ، وانتوجب أن يكون هو الاسم الأعظم من أسماء الله تعالى ، وعن علي رضي الله عنه أنه قال : لما كان يوم بدر قاتلت ثم جنت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . أنظر ماذا يصنع ، قال جنت وهو ساجد يقول : يا حي يا قيوم . لا يزيد على ذلك ، ثم رجعت إلى القتال . ثم جئت وهو يقول ذلك . فلا أزال أذهب وأرجع وأنظر إليه . وكان لا يزيد على ذلك إلى أن قطع الله له .

فضائل الذكر

يعلم أن الذكر والعلم يتعان المذكور والمعلوم ، فكلا كان المذكور والمعلوم أشرف كان الذكر والعلم أشرف ، وأنشرف المذكورات والمعلومات هو الله سبحانه وتعالى ، بل هو متعال عن أن يقال إنه أشرف من غيره . لأن ذلك يقتضي نوع بحثة ومشكلة ، وهو مقدس عن بحثة ما سواه .

فلهذا السبب ، كل كلام اشتعل على نعوت جلاله وصفاته كبر بأنه كان ذلك الكلام في نهاية الجلال والشرف .

قال عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله تعالى : « إذا ذكرني عبدى في نفسه ذكرته في قصري ، وإذا ذكرتني في ملائكة غيري من منه ، وإذا ثبت هذا فقول :

أفضل الأذكار ذكر الله بالثواب الحالى عن الزوال .

قال عليه الصلاة والسلام حكایة عن ربه تعالى : ، من شغله ذكرى عن منتلى أحبه أفضل ما أعطي السائلين ، ، إذا عرف هذه المقدمة فنقول :

العبد فقير محتاج ، والفقير المحتاج إذا نادى مولاه بخطاب بباب الطلب والزوال كان ذلك عمولاً على الزوال ، فإذا قال الفقير للغنى ، يا كريم ، كان معناه أكرم ، وإذا قال له « يا فاع » كان معناه طلب الفعم ، وإذا قال ، يارحمن ، كان معناه ، ارحم ، ، وكانت هذه الأذكار جارية مجرى الزوال . وقد يبنا أن المذكر إنما يعظم شرطه إذا كان حالياً عن الزوال والطلب ، أما إذا قال (باهر) مثلاً كان معناه حالياً عن الإشارة بالزوال والطلب . خوجب أن يكون غولًا بالأساس ، التي لا تشعر بالزوال ، أعظم الأذكار .

والعقل لا ينكحه الاشتغال بشىء . حالة الاستغراب في العلم بشىء آخر ، فإذا وجد فكره إلى شيء يقع معزولاً عن غيره . فكأن العبد يقول : كلما استحضرت في ذهني العلم بشىء ، فاتنى في ذلك الوقت العلم بغيره ، فإذا كان هذا لازماً فالآولى أن أجعل قلبي وفكري مشغولاً بمعرفة أشرف المعلومات ، وأجعل لاني مشغولاً بذكر أشرف المذكورات .

ثم إن الذكر يعيد الشوق إلى الله تعالى ، وذلك أعظم المقامات ، ذلك لأن الشوق يبعد حصول آلام ولذات متواطمة معاقبة ، لأن بقدر ما يصل يلتف ، وبقدر ما يتمتع ومحوله إليه يتألم ، والشعور باللذة حال زوال الألم بوجب مزيد الاعتزاز والابتهاج والسرور ، وذلك يدل على أن مقام الشوق إلى الله سبحانه وتعالى أعظم المقامات ، وثبت أن المواظبة على الذكر نورت الشوق إلى الله تعالى ، وثبت أن الشوق أعظم المقامات ، وأكثرها بحجة وسعادة ، فهو أعلى المقامات ، وأعلى الدرجات .

نعم أسمع قول شيخنا رضي الله عنه :

«الحضره بيت القلوب المطهرة من أدران الأعراض، وأعراض الأعراض، وأودnar الأعراض التي صفت من الأكدار، وخلت من الأغمار، وتخلت عن سورائب الأكدار، فتحت وانت، وتواجدت وتخلصت من فيروس العادات . وتحلت بحلي العادات، صرت في معارج مدارج الإرشادات ، ورفقت إلى معاني دفائق المعروبات ، فأشرفت أرضها بور ربه ، وسجدت قلوبها وخجاها وقوادها وظلالها وسوادها . آمنت به فاعلمت ، وأحبته فهمت وانت ، وانتاقت إليه فبكـت ورنت . فنظرتها ولقتها طلأ لرعاها حيبها حارقة فيه ، وفي نور تحبله ، سكت إليه عنـها ، وسرت إليه كلـتها ، فهى في مقعد صدق عند ملك مقدر»

أَنْزَى نُوراً بَعْدَ هَذَا النُّورِ ، وَسَرَاً بَعْدَ مَا فِي هَذِهِ الظُّلُمَرِ ، إِنَّهَا
النُّعَمَاتُ الْعَطَرَبَاتُ ، وَالنَّفَحَاتُ الْمَاءَوَبَاتُ ، وَالكَنُوسُ الرَّاوَبَاتُ .

ثُمَّ اسْمَعْ قَوْلَهُ رَحْمَنُ اللَّهُ عَنْهُ فِي فَائِدَةِ الذِّكْرِ وَأَفَاعِيهِ :

فَائِدَةُ الذِّكْرِ : الْأَنْسُ بِالْحَقِّ وَالْوُحْشَةُ مِنَ الْخَلَقِ . الذِّكْرُ
تَرْدَادُ اسْمِ الْمَذْكُورِ بِالْقَلْبِ أَوِ اللِّسَانِ .

أَفَامُ الذِّكْرِ : الذِّكْرُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَفَامٍ : ذِكْرُ لِسَانٍ ، وَذِكْرُ
قَلْبٍ ، وَذِكْرُ رُوحٍ . ذِكْرُ اللِّسَانِ ذِكْرُ الْفَتْرِ ، وَذِكْرُ الْقَلْبِ
ذِكْرُ الْلَّبِ ، وَذِكْرُ الرُّوحِ ذِكْرُ الدَّهْنِ .

الْأُولُى عِلْمٌ يَقِينٌ ، وَالثَّانِي عِيْنٌ يَقِينٌ ، وَالثَّالِثُ حَقٌّ يَقِينٌ .

إِنَّ فِي الْجَنَّةِ فَلَيْاً ، وَإِنَّ فِي الْقَلْبِ رُوحًا ، وَإِنَّ فِي الرُّوحِ سُرًا ،
وَإِنَّ فِي السَّرِّ نُورًا . وَإِنَّ فِي النُّورِ آنًا . أَنْسٌ بِحِبَّاتِهِ الْقَدُوسِ الْأَلا
يُدْخِلُ حَضْرَنَهُ أَرْبَابُ النُّفُوسِ :

أَيْمَانُ الْمَعْرِضِ عَنَا إِنْ إِغْرِيْقَكَ مَا
لَوْ أَرْدَنَاكَ جَعْلَنَا كُلُّ مَا فِيكَ يَرِدَنَا

لَوْلَا شَهُودُ جَاهَلْكَمْ فِي ذَاقِ مَا كَتَبَ أَرْضَنِي سَاعَةً بِحِبَّاتِ
مَالِيَّةِ الْقَدْرِ الْمُعْظَمِ شَأْنَهَا إِلَّا إِذْ عَرَتْ بِكَمْ أُوقَافَ
إِنَّ الْحُبَّ إِذَا تَمَكَّنَ فِي الْهَوَى قَالْحَبْ لَمْ يَجْنِجْ إِلَى سِقَاتِ

سَهْرُ الْعَيْوَنِ لِغَيْرِ وِجْهِكَ بِالْأَعْلَى وَبِكَافَّهِنْ لِغَيْرِ قَطْلَعِكَ صَانِعٌ
لَنْ كَانَ هَذَا الدَّمْعُ يَحْرِي حَيَاةَ عَلَى غَيْرِ لَبَلِي فَهُوَ دَمْعُ شَانِعٍ

فاطح لى واصلت أيام غفة فا واصل العذال إلا مقاطع

من يشغى هنـك الفؤاد المعنـب
ونـجم التـربـا من وـصـالـكـ أـقـربـ
غـرامـ وـوـجـدـ وـاشـبـاقـ وـلـوـعـةـ
وـهـمـ وـتـعـذـبـ بـهـ الـعـرـبـ هـبـ
هـلـاـ الـأـوـحـاـ بـحـيـنـ وـلـاـ الـمـعـرـ قـاتـلـ

أَنَّ الْمَوْتَ يَأْتِيُنَا وَلَا أَنْتَ تَقْرَبُ
وَلَا الْمَوْتُ بِأَتِينِي وَلَا أَنْتَ تَقْرَبُ

فعدوت في شرك الموى انقل

و ما لي ملاذ غير أنك سبدي

إذا أنت في تردد دع الناس نفسك

ما سبق عللت من أخبار حضرة نبخارهى التفعى ، أسماء
الذكر القدية في الحضرات ، ولا عجب فهو طيب القلوب
ويعرف مكان العلة منها ، فهو إن اختار هذه الأسماء بالذات فإما
اختارها لحكمة وبعكتة ، اختارها لأنها أرجح سبيل للالكين ،
وأسرع مطابقاً الواصلين ، ثم كونه جاء بها على ترتيب آية الكرسي
فلغاية مقصودة ، وقد عللت بما يلى شرحه على آية الكرسي من
أسرار وأنوار ، وما فيها من فوائد وفوائد .

هذا نهى، والثى، الآخر أنه رضى الله عنه قد رسم لكل اسم خطوطه وخطوطه، يجعل مثلاً جملة (لا إله إلا الله) ذكرًا من جلوس وذلك لينمكن الشخص من أداء حركات المتابعة حين عمل

إلى العين نافياً ماضي الله ، وحين يميل إلى اليسار حاعداً مثناً الله
في قلبه ، وقد علت من قوله رضي الله عنه أن جلة (لَا إِلَهَ إِلَّا الله)
نفي ملائكت ، وتحتاج في تشخيص هذين المعينين إلى تحريك الرأس
يميناً وبراراً مع تحكيم الصفة الأدنى من الأرض . وهذا لا يستقيم
إذا كان ذكر الخلقة من وقوف .

ثم عللت من لفظ الجملة لطائف وطرائف تبيهك أن المقصود
منها الذات . فهو اسم وضع على لذات الله القدية . يشعرك
بأنك تاجي ربك . وتدعوه باسمه الكريم . كما قفت معانى باقى
الأسماء القدية ، وما فيها من أسرار وأنوار :

يا صاح ليس على النجف ملامه إن لاح في أفق الوصال ملاح
لاذب للعشاق إن غلب الموى كتمهم فما الغرام وباحروا
سحروا لأنفسهم وما بخلوا بها لما رأوا أن اللام رياح
ركبوا على سفن الدجى وذموعهم

بحر وشدة خوفهم ملاح

وآفة ما طلبوا الوقوف ببابه حتى دعوا وأنائم الفتاح
لا يطربون لغير ذكر حبيب أبداً فكل زمامهم أفراج
حضرها وقد غابت شواهد ذاتهم

فتهكروا لما رأوه وصاحروا

عنبروا إن لم تكونوا مثلهم إن الشه بالكرام فلاج

المتشدّون

لشدّ الصّافّة بالفتح ينشدّها بالضمّ شدّة . وشدّانًا يكسر النّون
ويسكون الشّين فيما أتى طلبًا ، وأشدّها عرّفها ، وأشدّه شعرًا
فأشدّه إيماء ، والتّشيد الشعر المتشاد بين القوم . إذا فالمتشد على
ضربين : إما أن يكون المعرف المبين لوصف الغائب ، أو المقطع
للشعر على نعم خاص ، والمتشد في اصطلاح الصوفيين يشمل
هذين المعينين :

فالمتشد : هو المقطع الشعر على نعم مقبول بوضوح ضال المعنى
في أذهان الساعدين بضمّ يهزّ المشاعر ويوقف الآحاسين . والنّعم
أو اللعن : هو إبراز خواطر النفس ، وهو بهذه الصفة أصحّ من
الخطق ، وأسرع إلى القلب ، وأملك للعقل وبجامعة الأفتدة .

وي بيان ذلك أن الخطق على ثلاثة درجات : أفالها التّر ،
وأوسطها الشعر ، وأعلاها الإثاد أو النّعم . طوّ أن حجا عليه
الهوى ، وبرح به الجوى ، وأراد أن يوقفك على ما في نفسه فقال :
« لو لا رسول الله صلي الله عليه وسلم ونلذذى بالصلة عليه
ما نعمت بالحياة ، فقد أبلغك شيئاً ما يحتاج في نفسه ، وأثر فيك
نائماً قبل لا أو كثيراً بعقار قرة هذا الإبلاغ أو ضعفه ، ولو
أشدّك قول الشاعر :

لولاك يا زينة الوجود ماطاب عيشي ولا وجودي

فَهَذِهِ سُكُونٌ مُطْرَبًا أَوْضَعُ وَأَرْتَقَعُ بِكَ خِيالًا أَوْسَعُ ، وَأَنْزَلَ
فِيكَ تَأْنِيرًا أَكْثَرَ ، بِقُدْرَةِ مَا يَحْنَمِلُهُ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ قُوَّةِ الْمَعْنَى ،
وَحْسَنَ الْبَيْكَ .

فَلَوْ أَنَّهُ كَانَ يَجْبَدُ التَّوْقِيقَ وَيَحْسُنُ التَّسْعِيمَ ، وَأَنْشَدَهُ هَذَا الْبَيْتُ
نَفْسَهُ ، وَأَبْرَزَ لَكَ فِي أَوْضَعِ صُورَةٍ مَا يَلْفِيَهُ مِنْ أَوْصَابِ وَأَوْجَاعِ ،
لَا تَرَبِّكَ تَأْنِيرًا أَرْبَعَ حَلَكَ عَلَى الْكَاءَ .

وَكَانَ الْأَيَّاتُ قِبْوَدُ الْمَعْنَى — كَمَا يَقُولُونَ — كَذَلِكَ الْأَلْحَانُ
قِبْوَدُ الْأَيَّاتِ . فَلَمَّا زَالَ الْمَعْنَى حَالًا تَائِبًا فِي مُنْتَرَاتِ الْإِلْفَاظِ وَتَجَمعَ
الْكَلِمَاتُ حَتَّى يَسْتَفِرُ قَرَارُهُ فِي بَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ ، فَبَادِرًا أَنْشَدَ هَذَا الْبَيْتَ
بِتَوْقِيقٍ حَسِنٍ وَتَسْعِيمٍ مُقْبِلٍ تَحْرِكَتُ الْمَعْنَى مِنْ مَكَانِهَا وَبَرَزَتْ نَسْخَةٌ
لَا يَخْذُلُ أَمَاكِنَهَا فِي عَرْصَةِ الْقُلُوبِ . وَجُواهِرُ الْأَحَادِيسِ ، فَتَعْلَمُ
عَلَيْهَا ، وَنَعْرُكُ أَرْهَا . وَلَعَلَكَ تَأْثِيرَتْ فَبِلَا أَوْ كَثِيرًا بِسَيَاعِكَ
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْ قَارِئٍ يَحْسُنُ التَّطْبِيبَ أَكْثَرَ مَا لَوْ فَرَأَهُ عَلَيْكَ
تَلْلَوْةً . وَرَفِعَهُ إِلَى سَعْكَ قَصَّاصًا وَأَخْبَارًا .

إِنْ كَنْتَ فَهِيتَ هَذَا فَهَذَا فَهِيتَ مَا أَرْمَى إِلَيْهِ مِنْ مَكَانِ الْمُشَدِّدِ
بَيْنَ صَفَوفِ الْذَاكِرِينَ ؟ فَإِنَّهُ إِلَّا حَادِيَلْبَرِ حَاسِ الْذَاكِرِينَ
وَيَوْقَظُ وَهِبَّهُ إِلَى مَعْنَى وَحْشَهَا التَّسْعِيمَ ، وَرَفِعَهَا شُعُورًا وَإِحْسَانًا
جَاءَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مَا لَا يَنْتَطِعُ مَعَهُ الْإِلْتَهَاتُ إِلَى غَيْرِهِ فِي حَضْرَةِ الذِّكْرِ
مَكَانُهُمْ أَجَازَوْهُ لِكَوْنِ حَاجِزًا بَيْنَ الذَاكِرِ ، وَمَا عَنِيَ أَنْ يَعْزِيزِهِ

من خواطر تغله إلى خارج ما هو فيه .

وإن لك في حداة الإبل لمعنى ، فالمحادي في القافية يدرك ماعليه الإبل من نعف . فما هو إلا أن يرمع عقيرته بصوت عذاف ، فإذا الإبل المهوكة المنداءبة تنشط في السير ، وتدفع في طريقها اندفاعاً كأنها على مرأى من كلابه وبل ، ولا تزال على شاطئها واندفاتها ما زال الحادى يحشو لها ولو أصوات الكلابة . وأنضاها المعن ، فتفقدت في الطريق .

على ذلك كان لا بد لكل حضرة من ملائكة أو ملائدين .
ولقد روى تبخرا رضى الله عنه للحضرات ملائدين يشغون الآذان ويجمعون القبور على أنه بصورتهم الإخاذ الجيل .

فما أن يأخذ الإخوان في ذكر الاسم حتى يروح في معنى سام ، يرقة ترققاً ويعطى به نظريه ثم يرفعه إلى الآذان التي أكرن فتلقنه لتغله إلى الوجود والقلب والحس ، لتلميس العيون بالعبارات ووربما اتهد بالإشادة أحياناً ، وفي معظم الإشادات يعلوه بطاقة من المثلدين خصت للإشادة ، ول غير الذكر تزده الإخوان مدافن الفصاليد يعني مطالعها في ثواب حسان .

ومن عاداته رضى الله عنه عند ما يحمد في الإخوان شيئاً من ملائلاً البحث في المجلس . أن يشير إلى الملائدة ليقل هنلا .

المتهاكين على أنفسهم إلى حور دوحي وألوان متقطعة تعبد المهم
إلى جذتها، وترجع الوعي إلى حدته، وتنق الروح نوراً،
وتحيز الشعور حساً، ونضرم في القلب مشكاة من نور ووجودان.

القلب فرحان بحبه وربنا نسم فرحه
ونوال من الآنس نصبه أما حفاء شئ طال شرحه
أصل العفا وأصل الأرواح حبوب وبحبه الأرواح
ماهائش غنى لحظة عنك النظره فيك توى الدنيا
وبنظره هلك نجبي قلوب إحسان في نور حيث نجها وربنا يهي الحبوب

المواكب

المواكب في حقيقها تجمعات دينية شائعة بين أهل الطرق.
ومقصود منها لفت أنظار الناس إلى شيء من معلم الدين لا وهو
الذكر، حضوراً في هذا الزمن الذي زاد به التكالب على
الدنيا، والإقبال على ما في الحياة من ملاه وملاذات،
وأنضل ما يكون الذكر عند اشتغال القلب بغير الله، وجنوبيه
إلى مغارات الشهوات، ولذلك كانت المسادة في الأسواق
بذكر الله مطلوبة لإيقاظ الوعي الذي صرف في البيع والشراء،
وأيضاً لذكر الكبير البائعين باقه، فيذكرون بذلك وجوب التحرى
في أوجه الكسب فلا يطفقون ولا ينقصون في كيل أو ميزان.

و هذه الظاهرة عمل جليل لاصحاب الطرق للعنى الذى وضحته ،
ولها أصل في الشرع .

فإن المسلمين في صالح عبد الأضحى يخرجون إلى نافذة العبد
في المساجد ، أو الميادين العامة ، أو ميدانات الأرض الفريدة ،
في جماعات يكبرون الله ، ويعدونه ويبخرونه ، ويحملونه بأصوات
عاليات ، وذلك للإشعار ب يوم عبد الأضحى ، وللإعلان عن فورة
الإسلام و امتداده و عظته و انتصاره على الهرى و الفس ، حتى أن
الصحابية رضى الله عنهم كانوا إذا أكثروا معركة أكثروا من الحمد
والشكير ، وقلعوا إلى المدينة في صحيح من النسب و التهليل ،
 بما آتاهم الله من فتح مبين ، ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم
مكة فاتحاً ، دخلها في ظاهرة عظيمة ، حتى أن بعض المسلمين
أخذوا يتضامنون بالفاظ الفخر ، وبعبارات كان يتضاعفها أهل
المجاهيلية عنوان المبالغة والإهتمام ، فهذا النبي صلى الله عليه وسلم
ولقفهم ما يقررون فقال : قولوا :

أَفَأَكْبَرُ أَنْفَهُ أَكْبَرُ أَنْفَهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَفَأَكْبَرُ أَنْفَهُ أَكْبَرُ
وَهُنَّ الْمُحْمَدُونَ كَبِيرًا وَالْمَحْمُودُونَ كَبِيرًا ، وَسَبَانَ أَنْفُهُ الْعَظِيمُ
وَتَعَالَى بَكْرَةً وَأَصْلَاهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ ، صَدَقَ وَحْدَهُ ،
وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَأَعْزَزَ جَنَدهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ،
وَلَا نَبْدِ إِلَّا إِيَاهُ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ .

فرددها المسلمون في الأفاق ، ودووا بها في الأرجاء ، واهتزت
لها أفلات السماء ، وتصاحروا بها تحت أعلام إسلامية ، وربابات
محمدية ، في أزهر يوم . وأكبر فتح ، وقد اتخذها المسلمون عادة
بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، فما أكبر
القاتحون تحت قيادة خالد بن الوليد في فتح فارس ، وما أكثر
ماكثروا في فتح الشام ، وما أكثر ماكثروا وهلوا تحت قيادة
عمر بن العاص في فتح مصر ... وهكذا في كل موقعة كان لهم
الفتح والظفر ، وما كان تكير لهم وتهليلهم رضوان الله عليهم راجعاً
إلى التصارفهم وبسالتهم . وواسع حيلتهم في الحروب ؟ هل كان منهم
ذلك إشارة لانتصار الدين نفسه ، ورفع لوانه في ربوع البلاد .
وحياتهم ، بعد أن سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد سأله
سائل يقوله : يا رسول الله ما من يقاتل حيّة وما من يقاتل شجاعة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قاتل ليظهر شجاعته ،
وقتل كان في النار ، ومن قاتل لنكون كلّه الله هي العليا في الجنة .
أو كما قال عليه السلام .

فوأكب أهل الطريق ترزاً إلى هذا المعنى ، وهو الإشارة
بقوة الدين ، ورفع لوانه بين الناس ، وتذكير الغافلين بأيامه الغر .
وتاريخه الحيد . وفيه حت أيضاً للتقاعددين عن تصرة الدين وترك
بلاد المسلمين طعمة للمغاصبين ، ورضوخهم إلى الهون ، بهذا المظاهر
الجليل الذي يذكرهم بجهاد الرغل الأول ، والصحابة المباهين .

وإذا علمت أن هذه الطرق مبنية على محاربة النفس وبخايتها وفراها على الخير ، وتقيد شهواتها وزعاتها بغير الفضيلة والاستفالة والبر والمعروف ، وعلمت أن المسلمين كانوا يتهاقون في مظاهره صاحبة انتصارهم على أعدائهم ، وعلمت أن أصحاب الطريق أيضاً يخرجون بهذا الوضع رهزاً على انتصارهم على النفس ، وتطهير قلوبهم من الملاكلات المردية ، والغائبات الحاجة ، والانتصار على النفس أصحاب بكثير من الانتصار على العدو ، ولذلك سماه النبي صلى الله عليه وسلم بالجهاد الأكبر .

ثم إن خروج المواكب على صورتها الحالية لا تفرق أصلًا عن خروج جماعات المسلمين حين يختلفون إلى المساجد جماعات أصلاء العبد . فهو لا ينكر وتخميد وتبسيح وتهليل ، وأولئك أيضاً يرون في هذا الشوب وفي تلك البررة وهذا الذكر . فإن كان الشرع الشريف بعث على غثيان المساجد يوم العيد جماعات بهذا الذكر فلا يمنع أبداً طوائف الصوفيين من أن يسروا على تلك الشدة . ويهدوا بهذا الهدى . ولا قائل بالفرق .

ولو علمت أن الناس الآن في دنيا مقلوبة ، وجاهة معكورة ، وشهوات طاغية ، وإلحاد يعم وينتشر وأن العالم راج في حيوانات حارقة وفي هاديبة حياء . علمت ما في هذه المظاهر من فائدته وجوبي وما يمكن علاج بعض المدبرين عن الدين والملقطين في زمرة المتعطشين .

فإذا كان المرء في حمأة الملوية ، والمتوسع بأعمال الرذائل ،
والغافل عن الموت بطول أمله في الحياة وانخداعه بزهرة الدنيا ،
علاجه زيارة القبور ليذكر بأن كل حي إلى موت ، وأن كل بقاء
إلى فناء :

وكل ابن أثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباه محول
لسارعت إلى بهذه المظاهر الدبلية وناديت بها في الأسواق .

على أن الأمر لا يحتاج إلى هذا التضليل والتغيل ، ولا إلى
هذا العرض والإيهاب ، فكل ما في الموضوع أن أهل الطريق
يخرجون في مناسبات ذيقتها في جماعات يذكرون اسم الله في جهود
واعلان . تحت أعلام مخصوصة في طريق عام ، وذلك فيه ما فيه
من فوائد جليلة ، وإشارات ملحوظة .

فإن كنت من أهل السعادة فأقبل عليهم ، وانخرط في صغرهم
وافتح قلبك إلى آدابهم ، تشعر بذلك انتقالك من عالم الطوى والزيف
إلى عالم الحدى والاستقامة ، ومن ذيما فارعة إلى أخرى عاهرة .
بل تشعر بأنك أقرب عن نفسك حلا من أكدرار الذنوب والمعاصي
وجئت خجلاً تحظى بكثير من التقي والإيمان ، في صفوه من القلب
وظل من الانشراح .

ولئن إذ أتقدم إليك بهذا القول فإنما ذلك من باب النصيحة
للعزمين وإلا فأنت وما زيد ، يقول رسول أقم حسلي الله عليه وسلم

، إنما النصيحة نه ولرسوله وللمؤمنين . .

ألا ياخانصاً بحر الأماني
أضفت العمر عصباً وجهلاً
مضى عمر الشاب وأنت عاشر
وخرفك لا يرى إلا طموحاً
وقلك لا يغيب من العاصي
بحر الإمام لأنصاف لواحظ
وقلبك هائم في كل وادٍ
على تحليل دينك الدين
وجهل المرء في الدنيا شديد
وكيف ينال في الأخرى مرامة
وفقاً لفقه وإياك إلى مأفعاه صلاح الأحوال .

موكب الشيخ

المظاهر كلها في نظر شيخنا رضي الله عنه لافية طاوولاً جدوياً
من ورائها ، ولكن مظهراً واحداً كان بعض عليه يتواجده ،
ويحرص عليه بكلمه ، ويعتبره في المزيلة الأولى ، والوجه
الأفضل ، وحر مظهر الطريق . فكان موكم يهد أمتاً ، وساراته
تنتظم مئات ، تأخذ الطريق فتعلّق القلب والبصر ، وتهز مشاعر

المحبور من المفترجين ، والزغاريد من أفواه المفترجين ، والهناف من كل متاهد وواقف ، فما من منابة يختفي فيها الشعب احتفالاً دينياً إلا وكان اليوم يوم الشیعه ، والموقف موقف الإخوان حتى أن الأهالى ما كانت لتعتجم إلا لرؤية هذا الملك الغريب ، والصرح المشيد ، وكما يكون المظاهر في المراكب يكون في المساجد حيث يملأ الإخوان ساحة المسجد ، ويملئون أطراوه . ولقد مر بذلك الفارىء الكرام ما كان لظهور الإخوان في ميدان المولد النبوى الكريم ، أما ماعدا ذلك من المظاهر فالشيخ يتجلى منه .

فقد عاش رضى الله عنه حياته كلها لم يتقرب إلى ذى سلطان ، ولم يتعرف على حكام ، ولم يناصر حزماً أو يترافق إلى حانفة .

وكم كان يتعذر زعماء الأحزاب أن يحرزوا الشيخ إلى صفوفهم ، وأن يتقووا بمحاجته . فما كان رضى الله عنه يحب تغيبهم ، أو يشع رغبتهم ، بل كان يصح تلاميذه بعدم التورط في الباقة ، أو الير في ركب نائب أو شيخ ، أو أمير ، فلتهم بهذا مانع الزلل ، وعصمهم من الغرارات .

تنظيم المراكب

طريقة شجنا رضى الله عنه غيبة رجالها . كثيرة بعدها ، عديدة بجموعاتها ، امتد شأنها شرقاً وغرباً ، وذاع صيتها خالداً

ووجهها ، هو كل فرقة أو مدينة أو خاصة مدبرة أو سدر ، مرکز
جماعة ، وكل جماعة لها خلية ، ونقا ، ومشدون وعلم الطريق ،
ويشرف على بعض جماعات متغيرة تاب يسى ناف كذا ، فإذا
كانت هناك مابة ديبة كالاحتفال بموته النبي صل الله عليه وسلم ،
اجمع جماعة الإقليم تحت إشراف تاب الإقليم . وقطعوا أضبهم
في موك يبع حتى يبلغ مكان الاحتفال فيجتمعون داخل سرادق
أقاموه ، ثم يأخذون في إحياء النبي بتلاوة القرآن ، وإقامة الأذكار ،
وبإثارة الفضائل ، وكما يكون ذلك في ليل موته النبي صل الله
عليه وسلم يكون كذلك في ليلي موته الأولياء الصالحين .

جماعة الموك

بنضم الموك إلى جماعات ، وكل جماعة معها خليةها ومشدوها .
وعلم من نوع قى مقدمةهم ، مكتوب فيه اسم الطريق وأسم الجهة التي
تها تلك الجماعة ومطرز بعض أسماء الله الحسن ، تتفق كل جماعة
في صفين متقابلين مثابكة أيدي رجال كل منها ، ويحيط برأس كل
واحد حرقه بضم الهمزة على حلة ، الطريقة الخامدة السادسة ،
وحرقة أخرى تأخذ كتفه وتهدى تحت إبطيه وعلبة نفس الجلة .
ووقف الخليفة في صدر تلك الزيارة ، فإذا انتظمت الجماعات ،
وقف بعضها بعضاً . في طول الطريق ، وقف الشيخ رضوان الله
عليه في آخر جماعة أو آخر زيارة ، ثم باذن للمروك في أن يسير .

فإذا سار أخذت كل جماعة من الجماعات تشد ثيابها الخاصة .
بطريقها الخاصة ، تحت إشراف رئيس مشيخها ، إلا بارفالشيخ ،
فإن جماعتها تذكر الله بأية صيغة ، والشيخ سائر معهم ، أو راكب
في النادر من الأحوال فرساً في ظل رابع مرتفع عن يمين
ويسار ، ويسير الموكب على هذا النظام ساعة أو ساعات على حسب
طول الطريق ونضرها ، فإذا أشكت أول جماعة على الاقتراب
إلى مكان الاحتفال كان في استقبالها نائب عن الشيخ رضي الله عنه ،
أو الشيخ نفسه في بعض الأحيان . فصر البيانات بين يديه ،
ولاتجاوزه إلا بعد قراءة صيغة الاستقبال ، وهي :

قراءة الفاتحة بصوت جهوري في اتحاد مشترك ، وبعد قراءة
الفاتحة يقول سائرهم هذه الصيغة . إن الله وملائكته يصلون على
نبيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما . اللهم صل وسلم
وبارك على مبدنا مخدو على آله وصحبه وسلم ، الصلوة والسلام عليك
يا رسول الله ، مع وضع اليدين على الصدر ، الصلوة والسلام
عليك يا حبيب الله ، مع وضع اليدين على الصدر أيضاً ، ألف
صلوة ، وألف سلام ، عليك يا أول خلق الله وحاتم الرسل الله ،
مع وضع اليدين على الرأس ، فإذا انتهت الصيغة صافح الجميع
حضر الشيخ ووقف بجماعته في مكان معين ، وهكذا كل جماعة
تمر بين يدي الشيخ رضوان الله عليه ، تأخذ وضع ساعتها إلى أن
تم سائر الجماعات ، وهذا يجتمعون في المرادق وينشدون الآيات

والأذكار طول الليل ، أو صدرا منه : وكم كان يلاق رضي الله عنه من شاق وجهد في هذا اليوم ، بقطع الطريق بطوله سائرًا مع السائرين ، ويستقبل ما لا يقل عن مائة جماعة كل جماعة تردد الأنثى
الصوفية والفقائيد النبوية في صبح مختلفة ، ثم يشارك الإخوان بعد ذلك فيما يكونون فيه ، وقد كنت في هذا التاريخ عتنا ثاباً وفورة .
فما أن أصل إلى نهاية الشوط حتى أزنيع إلى السقوط غارقاً في بحر
من العرق ، وشيخت رضي الله عنه على تقدم سنـه . أشد الناس
حركة ، وأكثرهم ثباتاً ، مع هذا المجهود العظيم ، مما جعلنا نعتقد
أن قوة الجسم من قوة الروح ، وأن الفرج باقه يفتح القوة ، ويغلب
المجد ، ويأتي بالمعجزات .

ومن الغريب أنـا بعد أنـذلـ هنا التعبـ المعنـي ، ونفرـغـ
من هذا الشوط الطويل الحاد ، وتنفسـي هذه الليلة بما يـقـ من زـمـانـ
في قـوتـنا ، يـلـجـأـ كلـ إـلـيـ بيـتـهـ عـنـ اـكـتـاحـ النـورـ دـيـحـورـ الـظـلامـ منـ
فـيـ هـذـاـ الـبـوـمـ النـالـيـ ، فـتـحـلـ عـلـيـهـ أـوـجـاعـ الـهـرـ وـالـتـعبـ ، وـمـاـلـاـقـاهـ
مـنـ لـعـبـ وـنـصـبـ ، فـلـاـ يـكـادـ يـفـارـقـ مـخـدـعـهـ إـعـيـاءـ ، وـلـكـذـ لـوـذـهـتـ
إـلـيـ الـبـيـتـ الـكـرـيمـ فـصـبـ ذـلـكـ الـبـوـمـ الـذـيـ اـتـخـذـتـهـ اـسـتـجـاهـاـ مـأـرـاحـهـ ،
لـرـأـيـتـ الشـيـعـ رـحـتوـانـ اللهـ عـلـيـهـ فـيـ لـفـاطـ الشـيـابـ ، وـفـتوـةـ الـجـمـ،
جـالـاـ مـتـحدـاـ ، مـذـاكـرـاـ ، مـصـالـحاـ ، كـانـهـ لـمـ يـكـنـ بـالـأـمـسـ ذـلـكـ

الـرـجـلـ التـعبـ ؟؟؟

إنـ الـرـوـحـ الـعـالـيـ ، وـالـنـفـسـ الصـافـيـ ، وـالـقـلـبـ الـكـرـيمـ ، أـبـدـ

من أن يتحكم فيه الجسم ، وبقيده بوجهه وضفافه ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أثنتي الناس جثاناً ، وأسبقهم إقداماً ، وأنذهم احتفالاً . وأرتقهم بالله ، حتى بعد أن تصدع عنهم المسلمون ، ولم يبق في صفة إلا فتنة قلبية من المخارقين . ولقد كبرت رباعته . وشجت رأسه الشربة . وأخذته الحروج ، ومع ذلك كان في قوته قوية ، ووعيته ماضية ، وصبره كريم ، أخذوه المدرون مثلاً ، فجمعوا أحواله ، وقاتلوا دونه . ورفعوا رأي المسلمين بعد انكسارها ، فرأت لهم الدولة بعد هذا الامتحان المرير .

مولى الرسول الكريم

أكعب عابري به شيخنا رضي الله عنه المناقب الدينية ، وأفهم ما يشعه بها مولاه الذي صلى الله عليه وسلم ، فاتكاد تشرق أيامه الكربلية ، ولياليه الحسان حتى يسعد له ، ويداً كر الإخوان فيه ، ولو تصادف وكان في هجرة شمال الوادي أو جنوبه ، رجع إلى القاهرة فور قرب شهر ربيع الأول ، فبدأ من يوم وصوله في عمل الترتيب الكافي للإحتفال به ، فيوكلي إلى إخوانه مهام العمل له ، فترى بعضهم خصصاً لمعاية مكان السرادق ، واختباره بين حقول السرادقات الأخرى ، وبعضهم في مهام التور ، وبعضاً ثالثاً في تنظيم نفحة الطعام التي تقدم في مائة الليلة الخامسة للمربي وحاشية القادعين من جهات ، وآخر رابعاً في توفير أبواب الراحة للشتركون في الموكب .

وهكذا بأحد كل من وكل إليه أمر في تقبيله على أدق وجه .
وأحسن صورة ، فإذا كانت الأيام الأولى من ربيع الأول رأس
حمراء الشيخ ، ورسوان آلة عليه ، إخوان الجهات في وجوب
الحضور والاشتراك في لبالي المولى العبدة ، فمن تعود منهم
أن يحتفل بالمولى في مدinetه . أخبر الشيخ بهذا فأذن له . ومن لم
يتعود بادر إلى الاشتراك مع إخوانه في القاهرة .

وكان فرح الإخوان بالفتوح إلى القاهرة في هذه المائة فرحاً
مزدوجاً ، فرحاً لاشراكهم في الاحتفال ، وفرحاً لما في العنة وجه
الشيخ الكريم ، وربما يكون بعضهم قد حرموا رفقة من مدة
مديدة ، فلذلك فرحة العبد ، ليحظى بالمحبوب ، والوقت المبد .
فا أن يشرق اليوم الحادي عشر من ربيع الأول حتى تفاضل
الوفود أياميل ، تزحف بهم الفطارات من صعيد الوادى وشماله في
لحقة وانتباقي كأنهم حجيج إلى الحرم بسر عنون ، وما لهم لا يقدرون
في أنفسهم أنهم ذاهبون إلى بيت أبي حامد حاجين إذا قاتلوا الحظ ،
ونسبت عليهم الأيام عن أن يأتوا بغيرهم بعذاب حبيهم الأكبر ،
ورسوthem الأعظم . وتشبعهم المرجي صوات آلة وسلامة عليه .
ولعلهم يتغاملون بجهوتهم تلك الصغيرة ، ليكتب آلة لهم حسنة
معروفة ، وزمرة كبرى لغير رسوله الكريم ، وإنك لو رأيتم في
الموكب بين أهل زعيم الصرفية ، ولنعمائهم الإنشادية ، وإشرافاتهم

الوراثة ، لرأيت ملائكة يشون في الأرض مطهتين ، كف لا
ويذنهم شبحهم في حلة الريانة ، وشحاتي حلعته البية ، يعدم بمدده
ويتفحص بسره ، وبلازمهم بشخصه ، إنها السعادة كل العادة ،
والرفادة كل الرفادة . والخير المعجل ، والتواب المؤمل ، وهل أقرب
إلى الله وسيلة ، وأسرع إله عمل من حب لرسونه ، وتعظيم لصفاته
وخليله ؟

فما أن يدور الحول ويقل أسبوع عزوفه النبي الكريم صلوان
الله وسلامه عليه ، إلا رأيت في ساحة المولد القبة ، وميدانه
المرامي ، سرادقات الوزارات ، ومحبيات مثابة الطرق ، ورأيت
بين هذه المعبدات جميعاً سرادقاً علا ارتفاعاً ، وانبع جناباً ،
وزرافي أطراها ، تأخذه الملاحة ، وتهي الطراقة ، وينتزع
النظر ، ويهفو إليه القلب ، تربته مصابيح يجاوئج نورها ، وسطور
كهربيه متطلة أضواوها ، وأرائك منهية ندور مع السرادق في
الاتجاهات متقدة ، وأوضاع ملائكة ، ثم رأيت هذا الفضاء الغربي
والمكان الفسيح ، معموراً بكل بشرية ، وإخوان حامدية ، مختلفون
الشكل والهندام والدرجات ، فغري قروباً تحت فلنستونه ، وشيخاً
تحت عمانته ، وأندها آنذا تحت طربونه ، وشاهدت بينهم الفقيه
والقاضى ، والطبيب والمهدى ، والخاطط والمدرس ، وما لا يحصى
من أصحاب الرتب والمقامات ، جالسين وواقفين ، وملاحظين
ومشرفين ، وسمعت من هذه الجموع الجامدة ، والمحافل الخالفة ،

دواً كموى الحل ، وأصواتاً كحدين العود ، بعضهم في أناشيد صوفية ، والآخر في مدانع نبوة ، وبعض ثالث في مناقات عليه حتى إذا حللت العنا ، الآخرة ، توسط الشيخ رضي الله عنه تلك الخلفيات المتداخلات ، والصفوف المداريات ، ثم راح بهم في ذكر تجاوب أصداؤه في السماء ، وينتشر نوره في الفضاء ، وألوف النظارة واقصور وقد أختتم لشوة ، وسرت في عروقهم جاذية ، حتى إذا انتهت الحضرة أطعمن الإخوان ، ثم شغلوها بما كانوا فيه من سمات وحالات حتى ينبع حمود الفخر . فلا غرو أن كان سراديق شيخنا رضي الله عنه عروس المبالي ، والقر الساري ، والكوكب العالى ، مما دعا البد الكرى إن زل به طائفة من أصحاب السلطان أن يصلهم إلى سراديق الشيخ بمحى به مكانه . وسرت به حاجه ، وهل كان شيخنا إلا دفناً للمقرر ، وجبرة للذكر .

موالد بعض الأولياء

على أن أشاط الشيخ رضوان الله عليه لم يقتصر على إحياء مولده التي حل الله عليه وسلم . بل تعداه إلى جهات مختلفة في مناسبات دقيقة متعددة ، فهناك فيطنطا سراديق يأخذ من سرادقات الطرق موضع الصدارة ، وشرف المكانة ، تعلوه جلاله ومهابة ، وتحيط جوانبه هالة ، وترتفق فيه نسخة أبي حامد المخوب ،

ولرأبت مثل هذا في الإسكندرية والمصورة ، وكل بلد فيه ضرب
ولي من أولياء الله الصالحين .

لقد كان شيخنا رضوان الله عليه جابر أخاطر الأولياء ، مكر ما
فهم ، متيناً عليهم ، وكان بدوره عذراً عنهم شيئاً . ولله مكر معن .

كم أقام للآولياء هو المد ، وشب لهم مساجد ، ومسجد لهم صانع
مشهورة ، وجدد لهم ذكرأ جيلاً .

عز عليه أن يرى مسجد سيدى سليم منهداً ، فرفع أثقاله .
وجدد دارسه ، وأجرى مياهه ، وأضاء أجوائه . وكم افند من
مسجده مكاناً ، ورفع له بين الحين شاناً .

ولم يزد قرية فيها ضريح ل الكبير أو صغير إلا وتركت عليه ،
وذكر ماتره ، وأحسن المقالة فيه . ولا مشاحة في ذلك فهم إخوانه
ورحمه ، أحجم الله طب قيم عباد الله .

فه رجال قد صروا وبعد هم سبق القدر
قاموا به بأمر الله ولو لا الله لما فدوا
كسروا بالذل خرسهمو جروا واهـ وما كروا
بمحديهمو وبذكرهمو الملك بضوح وبنفسـ

رمضان

كان شيخنا رضي الله عنه يستقبل المذاهب الدينية استقبلاً
كثيراً وبعدها أيام التمحات والبركات . . . فإذا دار الحول وأقبل

شهر رمضان في وشبه الدبع وثوبه الجديـد ، أدب شيخـار رحـى الله عنه مـا ذـيـة حـافـلة لـلإخـوان فـي مـاه أـول يـوم مـنه بـين أنـوار كـهـرـبـانـة وـأـسـلاـكـ نـورـانـة تـمـتـ دـاخـلـ الـبـيـت وـعـلـى وـاجـهـهـ . وـيـقـيـلـ الإـخـوانـ فـي زـحـةـ زـاحـةـ ، وـأـفـوـاجـ مـتـلـاحـقـةـ ، وـمـنـ ذـاـ الـذـى لاـ يـحـرـصـ عـلـى اـسـتـغـاثـهـ بـأـوـلـ وـجـةـ فـي صـورـهـ فـي بـيـتـ شـيـخـهـ الـحـبـوبـ وـمـاـ يـدـرـيكـ لـعـلـ فـيـهاـ الشـفـاءـ وـالـصـحـةـ ، وـلـعـلـ فـيـهاـ التـفـحـةـ وـالـبـرـكـةـ ، وـلـعـلـاـ تـدـورـ فـيـ الـجـسـمـ قـطـعـيـ القـلـبـ تـورـاـ وـالـعـقـلـ هـدـاـيـةـ وـالـأـعـتـاءـ قـوـةـ وـالـأـعـصـابـ مـتـانـةـ وـرـبـماـ قـصـدـ إـلـيـهاـ الـمـضـعـوفـ الـمـعـتـلـ لـيـتـاـولـ مـعـ تـلـكـ التـفـحـةـ الرـاضـيـةـ الشـفـاءـ وـالـدـوـاءـ وـالـصـحـةـ وـالـعـافـيـةـ ، وـقـدـ يـحـظـىـ بـهـ جـيـعاـ . وـمـاـ لـهـ لـاـ يـحـظـىـ وـالـاعـتـقادـ نـفـسـ سـلـمـ الـجـاهـ ، وـاعـتـقادـ الإـخـوانـ فـيـ الشـيـخـ رـحـىـ اـنـهـ عـنـهـ اـعـتـقادـ جـازـمـ حـازـمـ ، كـاعـتـقادـ الـمـرـءـ بـأـنـ عـبـيـهـ تـعـطـيـ الـبـصـرـ وـلـائـهـ يـعـطـيـ الـطـقـ وـعـقـلـهـ يـعـطـيـ التـفـكـيرـ وـأـنـ إـلـاـنـ حـىـ لـهـ شـعـورـ وـقـيـهـ قـدـرـةـ وـلـدـيـهـ إـدـراكـ .

نعم أليس الشـيـخـ رـحـىـ أـنـهـ عـنـهـ يـعـضـمـ عـلـىـ تـحـريـ الـطـبـ مـنـ الرـزـقـ وـالـحـلـالـ مـنـ الـمـطـعـمـ وـالـخـالـصـ مـنـ الـمـشـرـبـ وـأـنـ يـقـرـأـ اـنـهـ فـيـ أـجـامـبـ فـلـاـ يـدـخـلـاـ الـجـبـثـ وـلـاـ يـحـرـىـ فـيـهاـ حـرـامـ وـمـنـ أـنـقـ منـ شـيـخـمـ طـعـمـ وـأـعـظـمـ مـهـ وـرـعـاـ وـأـدقـ مـهـ فـيـ تـحـريـ الـطـبـاتـ ؟ إذاً فـهـذـهـ الـوـجـةـ فـيـ أـوـلـ يـومـ مـنـ شـرـمـ رـمـانـ تـعـينـ عـلـىـ لـأـداـ الـصـرـمـ وـمـشـقـةـ الـجـمـوعـ وـلـقـحـةـ العـطـشـ ، تـكـهـاـ طـبـيـةـ وـخـلـوـفـهاـ مـكـ وـتـعـاطـيـهاـ قـرـبـ وـسـرـيـانـهاـ شـفـاءـ .

إن مائدة شيخنا رضي الله عنه مسروقة في كل يوم ، يتناولها الإخوان الغرباء المتجعون من أطراف اللاد يتناولون منها صبحين ويتناولون منها عصرين ، أما إخوان القاهرة فلم يجيء لهم قرب ما كثيرون شرف هذا التاول . ولكن الشيخ رضي الله عنه يغضبهم بهذه التفحة المنغوبة فـ أكرم شهر وأذهر يوم . فلا يغتر إن أقبلوا عليها متساقفين ، وفتحوا أصابعهم طاغعين . ولكن الإخوان لهم عاداتهم أيضاً فقد قصرنا أيام الشهر بينهم وحضرنا الكل واحد منهم يوماً ينزل به الشيخ رضي الله عنه كريماً – وكان يجبرهم إلى طلبهم ويسعد رعيتهم : أليس كل وقه لهم ؟ وحياتهم من حباة وجودهم من وجوده . ولم لا يضر عائلات الإخوان مأواهه وبعدهم بركانه وينحهم حانياً من وقه السعد ؟

فإذا نزل باحتمهم زل بها الغيث وعمها الريح ، وحطاف بها السرور ؟ قال بيت الذي به تهادى على واجهه النائم وترف إليها الأعلام ويعمرها النور ؟

وبقبل الإخوان ويقتعد منهم رضوان الله عليه مقدماً ، فما يزالون بين ملح منظره ومتاهل شعراً وأحاديث عامرة ، حتى يطلق مدحع الحور ، فيق من الإخوان من يبق ، وينصرف منهم من ينصرف .

الوقت طاف والنور زايد نور على السكك

من نور جمالك يا يو حايد ما هو أنت الأصل
وكل من جمالك قادر يرجع فرحان

ثم لا يزال رحوان الله عليه ، يستقل من بيت إلى بيت ، كتنقل
الشمس في أبراجها ، والبلور في مداراته ، والعطر في زهراته والنسم
في أجوانه حتى يتصرم عمر الشهر .

أيام العيد

فإذا كان آخر يوم في شعبان رجع إلى بيته العاشر ، فاستقبله
ملائكة الأحسان وضمه إلى صدره الرحيم وقلب المثناة .
فإذا اتساع صبح يوم العيد وتناهض الشمس من مشرقها تهدي
للكون فحة مخدية وعنة قدية ، ويوماً أزهر وصباحاً أخضر ،
تضطرب أفواج الإخوان من كل فج وآتت الفطارات والسيارات
بأنفاس حامدية ، من طول البلاد وعرضها تُصْبِّغ بهم السرادقات
وزدحم منهم الطرقات ، في أناشيد ديلية ، وتوقيعات ملائكية ،
وأصوات موسيقية ، وهناقات صوفية ، تهز الوجود ، وتوقفت
الملاعير ، والشبع بين هزلا . في ابتسامة مرحة ، وإشراق هنور
ووجه صاف الأديم يسمع لهذا نصيدة شعرية : وهذا معایدة زجلية
ولآخر أشودة تحطب وده ، وتأرك يومه .

وليس للإخوان في هذا اليوم مزار ولا حار ، يعادلونه تهاني

العبد ، وماركة الصوم ، إلا بعد أن يعذوا على يد الشبح رضي الله عنه فلة العابدة والتهنة بهذا اليوم العبد .

فأتمم بعد أن يخرجوا من ثاقبة الصلة في ضحرة اليوم ، يولون وجههم شطر بيته الكريم . وهل لهم غير شعور من بر جوله . أم لهم سواه بعودونه ؟ إنه صاحب المشرق ، وأطمئن الواهنا ، وعبدهم العبد ، ويومه الجديد ، إنه كل شيء . فيه السعادة والهداية والذهب والحياة . ومن الذي يغوت على نفسه حطبا وحياتها وها هنا زادها في قطع بقاف الأيام .

أى رجل هذا الذى تمكن من أن ينول بين أشنان ، ويجمع بين قلوب ويربط القاضى والداعى ، يحمل الوفاء ، ويدرك فى تلك القلوب الرحمة والرحمة والخان ؟ إنه أكثر من رجل إنه أمة كاملة . تعمقت فى هذا الجسم الذى هزه الجهاد وأبرأه الكفاح ، وأبعده حلول السرى فى طريق الله .

هذا الشبح العظيم والوالد الرحيم والأستاذ الخير الذى وقف وقفه وصحته وراحته فى سهل أن يجمع للدين كتبة إملة ، وصفوة خبرة وجماعات موحدة ، لجدىر بأن يخلد فى كل قلب وينبع فى كل حس وينتشر فى سويداء الضمير . وما فى تقاطر الناس عليه . وانجذبهم إليه شيء من الإرادة ، ولا مكان من الاختيار . بل هو اندفاع لا شعرى ، وانجذاب لا إرادى ، لا يملك الشخص

معه حرية ولا تفكرا .

لقد ربطت المحنة بينهم وبين هذا الشبح العظيم ، والمحنة لاقانون
لما لا دستور ، فهي تخرق الحواجز وتهلك الآثار وتدمي الحصون .

ملو أنك تعحدث مصارحة حبيب لفت عندك شهوة القرب منه
كلما أردت بعده عنه . ذلك لأنك مربوط مع المحبوب بعقدة
واحدة في روح واحدة فيما اختلفت الأجسام وتباعدت الأعراض
فمركزاها واحد وهي منه في محيط متصل .

وربما امتحن الشيخ رضي الله عنه بعضاً من تلاميذه . فاختبره
له جفوة أو غض إيه بصرأ ولا يغطى المكين إلى سبه فيختنى
أن تكون القطيعة أو التذير بفتحية ، فإذا هو واقف بين ذفراه
ودعوه يطلب إيه ويرجو منه ولا يستطيع غير ذلك ولو طرحة
الشيخ وراء الباب ؟ فلا غرابة إذا إذا باكر أحبابه إلى استباق إيه
في يوم العيد قبل أن يطوفوا بأمرهم ويسموا أطفالهم .

لقد كان رمضان خيراً أكله ويوم العيد خيراً أكله في هذا الجوار
الكرم .

هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرنا وسامع الكل فيها قد مضى وجري
وقد أدار على العشاق خروته خروفاً بكاد منها يخطف البصر
يا سعد كسر لذا ذكر الحبيب لقد شئت أسماعنا يا مطرب الفقرا
و مجلس الآنس بالمحبوب يجمعهم والكأس قد دار فيها بينهم سحر

الشيخ في بيت الإخوان

ما كان رضي الله عنه إذا دعى إلى زبارة بيت من بيوت الإخوان نحر أمامه البقر والثاء، وتمد الموائد، وعلها أصناف من الطعام، وفون من الألوان، ومحلى من المطعم والمشرب حتى إذا تحول عن البيت تحول إليه العوز، وركه الدين، وحافت به ميزانية الأسرة، لا والله ما كان شيخنا رضي الله عنه كذلك، ولكنه يدخل البيت فيقل أحلف الله قطعاً فضة، ثم لا يكفي صاحب البيت أكثر من طعامه العادي يقدم إليه، ويندم إلى زواره، فلا يشعر المزار بثقل الزوار، ولا يحس بأنه زاد شيئاً عن مأله، ولا أخفى كثيراً يضاربه، وما للشيخ رضي الله عنه وكفة الطعون، وتحمة الأحداث، وهل رسانه في الناس أن يلأ أجوفهم بالقديد، ويشم أمعائهم بالشواء، كلا، وإنما جاء إلى القلوب ليظهرها، وإلى التغوس ليهدىها، وإلى العقول ليهدىها الصراط المستقيم — دخل مرة بيته من بيت لآباب متور الحالة فاجتاز طريقاً لحظ في متعطفه زحمة من القدور تتحقق بألوان الأكل، واتسم ما احتويه من رائحة اللحوم، فتأثر في نفسه تأثيراً شديداً، فلما كان ميعاد وجبه، طلب إلى صاحب البيت أن يوافي برغيف وقبل من الملوخة، ثبت وعرف من هذه الإشارة الصادرة، والفتحة الثانية، أنه أتف أمرأ إذا، بها زال ينبعطف

الشيخ و يستر عليه ، و ينوب إلى الله من هذه المخالفة التي لا تمنى
 معه الإخوان و عاداتهم . حتى عنده رضي الله عنه . و لهذا
 استدعاء إلى زيارة العقبة المعدم قبل الفرج المسكن ، وماذا يعم
 الرقيق الحال من دعوة شبحا . وهو إن واقعه . و وفاته خفيف
 المذلة ~~كثير~~ النفحات والبركات — وكان من رحمته يا حسنه
 أنه إذا زل بمحنة من المحنات . أو فربة من القرى ، سأله عن
 سالك الطرق إليها . حتى لا يتعجب الإخوان القادمين من الجهات
 فوعناه الأرض وخطط الطريق . فإذا انتقل منها إلى قرية أخرى
 سأله عن وسيلة الانتقال لم يرجع ملائمه . وكثيراً ما تتبع الأماكن
 القصبة عن القاهرة ليعطي إخوانها بعض حظهم ويعفيهم في الوقت
 نفسه مشقة النزوح إليه في أوقات متقاربات . وربما كان فيها تغوبت
 لمصلحة . أو مباع لفائدة . كل ذلك على حساب أصحابه . وعمل
 حساب شيخوخته . وعلى حساب بناته الصغيرات ، وأبنائه الأطفال
 الذين كان يغادرهم الشبر والثبرين والشهر . سائحاً متقللاً في
 خود الأرض وروادها ، حتى ينتهي هم إلى ملائمه والإلحاح عليه
 في عودته بعيدهم بعد لأى . فإذا ما عاد لم بلث طويلاً حتى يعود
 إلى سيرته الأولى ، وجهاه المرير . حفأً فإن من أحب مولايه
 أزوت عنه الدباب كلها حتى أبااؤه وفلاذات كده المحبوبون . وصدق
 الله العظيم : (قل إن كان آبااؤكم وأبااؤكم وإخوانكم وأزواحكم
 وعشرين لكم وأموال افترضوها وتجارة نخشون كادها وما كن

ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجihad في سبيله فـ بـ صـ رـ اـ حـ خـ يـ بـ أـ قـ اللهـ بـ اـ مـ رـ هـ)

وقد كان الإخوان يتراحمون على يد الشيخ رضي الله عنه ليشرقو به في يومهم ، وكانوا يتذمرون عليهم أكثر حظاً . وأوفى
سعادة في سبق إخوانه إليه . وكان الشيخ رضي الله عنه يغوص
الإخوان في حسم التزاع ، حتى لا يكسر قلب أحد منهم إن مال إلى
غيره وأجاب دعوه قبل سواه ، فيعمل الإخوان جدهم في التوفيق
بين هؤلا . المتأذعين ، فإذا شرف الشيخ بيت أحدهم أصبح الشيخ
صاحب البيت ، أهلاً للبيت فهم خدم يسعون بين يديه ، يأترون
بأمره ، ويزلون عن رأيه ، ولا يعلوون عملاً صغيراً أو كبيراً
إلا يارشاده ، وهذا كان صاحب البيت لا يهتك حرية الاخبار
في أن يتغالي فيما يقدمه للإخوان من ماكولات أو مشروبات ، وما يتمنى
أن يقدمه إلى شيخه من طيب الطعام ، فكان يتلقى من الشيخ رضي الله
عنه أن يقدم للإخوان مما في البيت فعلاً ويدون زيادة ، وقد لا يكون
في البيت إلا الخبز وبسيط الإدام ، وكانت الوجة على يساحتها ،
ورقة حاشيتها ، أطعم في أذواق الآكلين ، وأشهى في نفوسهم ، من
عاتدة تتحقق بالشوا ، والقديد ، لأنهم يعتبرونها نفعحة الشيخ نفسه ،
ونفعحة الشيخ شيء ، تضرب عليه آباط الإبل . ويمكث رضي الله عنه
في البيت مائة ، الله أن يمكن فلا يحس ساجهه بغير ماهو مالوف ،
إذا أراد أن يحوله منه آخر إلى بيته امتن في هذه الحالة عن

إجابة وغته إلا يأذن من صاحب البيت . مهما كانت دواعي النقلة وشدة لزومها . ولو إلى بيت الشيخ نفسه ، وهناك قوم بعض الإخوان يعلمونه هذا المفروض إليه ومداورته حتى يرضى ، فإن رضى وأعلن رضاه صافح الشيخ أهل البيت وغادرهم بين دموعهم وأشجانهم .

وكان البعض الإخوان أيام خاصة يزورهم فيها الشيخ من كل سنة ، فإذا طلب إليه إخوان آخرون تشريف يومهم فيها أبي إلا أن يستأذنوا من أصحاب هذه الأيام ، فقد كان رضى الله عنه ملكاً لإخوانه في هذه الناحية ، وإن كان بذلك منهم بعد ذلك روحهم وقلوبهم وكل عزيز كريم .

وكان للشيخ عادة كريمة في اختيار بيوت مربيه ، فإن دعوه أحبابه في المروبة مثلاً راعى أن يكون في وسط الإقليم حتى لا يتعب القادمين إليه من أمراءه ، وكان لا يعنيه الطقس ، فربما كان بين إخوان الإسكندرية في فصل الشتاء ، وبين إخوان الميا أو أبوط في وفة الصيف ، كما أنه يقصد رضى الله عنه أن يشارك أحباباً تأثرت معهم في باسم الحياة وحضراتها ، وإذا حالت الظروف عند انتقاله من قرية إلى أخرى فلا بأس أن يركب حاراً أو يمتنى على قدميه ، وهو لا يغتر قدميه في سبيل الله ، وهو الذي وقف حياته كلها على مرحنتاه .

مِيله إلى الْرِّياضَةِ الْبَدَنِيَّةِ

وقد يكون رضي الله عنه في فرية من القرى ، أو في منزل من منازل المدن . يصطحب الإخوان إلى جولات رياضية في الحقول . أو المتنزهات الغير مطروقة . وكثيراً ما جلس بمحوار ساقية ، أو على حفاف نهر ، أو في مزرعة من مزارع القرية . أو في خلٍّ تخلات . فإن كان في القاهرة شخص لنفسه بين الآن والأخر زرفة طيبة على شاطئ النيل . أو في منزله على شواطئه . أو ركب عربة تضي به شيئاً ما في الهواء ، الطلق في بعض المنواحي .

وأذكر أنه في فعل صفت اختار رضوان الله عليه أن تصب له خبة على صحراء أهرام الجيزه . طوى فيها آباماً في هذا الجو الطلق ، ولكن الإخوان لم تتركه حتى يأخذ فطاً كافياً من راحته في عزلة بعيدة مريحة . وكيف تطبع صبراً وهو فرق العين وسريداء القلب . وتحب الحياة وروحها . يل كأوايا سكرونه وبحالونه في مجلس يتدلى إلى مصحف الليل . والشيخ رضي الله عنه سعيد بهم . وإن كان بوئنه في بعض الحالات ما يلاحظه على كبار السن من نصب وتعب . في قطع دمال الصحراء . وتلاميذه في غدوهم ورواحهم . ومن التطرف أن نذكر أن شيخاً رضوان الله عليه كان أحقر الناس على مجالس الإخوان . فكان يجلس إليهم صدر النهار كله . إلى الساعة الثانية من بعد الظهر . ثم يغتسل

لأن يصل العصر ويتألف الجلة بعد ذلك إلى الساعة الثانية عشرة حيث يختتم المجلس، وينقض الإخوان، فإذا كان له حاجة من الحاجات، أو ميل إلى زهرة في إحدى الجهات، لا تستطع نفسه الخبرة أن يقفها على حساب مجلس أحباه، بل يتحرى وقت خلوته هو بين الساعة الثانية ظهراً إلى صلاة العصر، ويركب عربة وروح بها في زهرة خلورية على شاطئ البيل، أو في أحد المترعات الفريدة، ويفقع له ذلك كثيراً في أيام الجمعة حيث ينأب الإخوان إلى صلاتها، فيكون له من الوقت متسع يذهب به بعد الفريضة إلى بعض الرياض، كأنه يرى أن المجلس حق لأهله، وهو من يقدس حقوق الغير، فلن الإجحاف أن يغوت عليهم منه شيئاً، يائلاً، ومن فرحة عليه؟ فرحة عليه ببله إلى الخبر، وفرحة على الإفادة ابتغا، مرضاة الله.

دنيا الشيخ

شيخنا رضي الله عنه عرجت روحه إلى السماء، وما يجلّك من حطام الدنيا إلا بیناً متواضعًا وقفه على بعض أولاده، وإنما معاشاً شهرياً محدوداً، وقد كان له في وقت ما هداهين في أرض البحيرة يقصها الحصب ويعوزها الماء، ولم يجد من وقه منعاً للالتحتها وإدارتها، فباعها ودفع ثمنها في المطلوب منه حين ثبت في داخل هيئة الموظفين — وكان رانبه كلّه موجوداً لحساب البيت،

وسم هذا قد كان ينفع زوار الجهات ، والمتوجهين إليه ، وما
أكثروهم — بوجة غداه وعشاء لا ينقطع لها مدد على مدار السنة
وند يصادف أن يكون في بيت أحد إخوان القاهرة وبلاحظ
في رقة الحال ، بتحول زوار الجهات إلى بيته هو ليصيروا مطعمًا
وسيطًا ؟ وكان يتقرى الفقير المحتاج فبصي إلى بئرها ، ويرفرف بها
وصلت إليه يده ، أما قرابته الفريدة في أخواته فكان يعطيها من
كمه وإن قل مالا ، وينجحها من قلبه الكبير حناناً . فعاش من
عاشر من أهل في درج مرعولة ، ودبوا مكفرولة . على هذا عاش
شيخنا رضي الله عنه في جاهة ودبعة فقيرة الدخل ، ولو أراد أن
يسقط يده لأحرز الدنيا بعذابها ، فإن مر يده على استعداد في أن
ينحره أرواحهم قبل أموالهم ، ووجودهم قبل موجودهم ، ولكن
أني لهم هذا ، وتبخthem بفضل الله وعونه أمير الناس جله ،
وأنواعهم تحملها ، وأشدتهم بما في خلوة العيش وتکاليف الحياة ،
وما له لا يكون كذلك ، أليس جده الكريم على الله عليه وسلم
هو الذي علم الناس أن الفقر عافية ، وتحمل العسر جهاد ، والتخلص
من الدنيا نجاة ، ولم لا ينتبه بمحده عليه السلام الذي شد بضمته ،
وطوى على أحشائه حجرًا من شدة الضر ، وعاش على الخشن
من الملابس ، والغليظ من المأكل ، وهو لو شاء عليه السلام
لانقلت له الدنيا جة ، والجمال ذها .

وراودته الحال الشم من ذهب عن نفسه فرأها أيام شتم

وأكملت زهرة فيها غروره إن الضرورة لا تدع على العرش
 يفعل ذلك كله ، ويتصل ذلك كله ، وهو بضم أن وراءه ذريه
 ضعيفة ليس لها بعده من عائل يعصمها من نكبات الأيام وأعاصير
 الزمان ، ولكنها نفس المطمئنة الراسية المرحمة ، تأبى إلا أن
 تخرب على ستها ، وتخرج طبعتها . ولقد عاش عمر بن عبد العزير
 الخليفة الأموي الرائد ملكاً وبين بيته مفاتيح الأرض ، ومات
 ولم يترك لأبنائه ما ينفقوه به يوماً واحداً ، وقال إني ترككم الله .
 ولقد علينا رضي الله عنه بأن الكلب على الدنيا ، والكلف بها ،
 ثغوت مصالح الآخرة ، وكلما اقترب الإنسان من إحداها بعد
 عن الأخرى . نعم ، إنه كان يحثنا على العمل ، وأكره شرطه عليه
 المتواكل العاطل ، الذي لا يسع في طلب رزقه ، وبعيش حالة
 على الناس ، وإن الأخذ بأباب الدنيا ليعيش غير الذي يأخذ
 بأباب الدنيا ليجعل ما يصل إليه أكبر منه ، ومرى أمره ، وما
 خلقت الدنيا إلا لغير عليها الإنسان خفيفاً ، فإن أثقل على نفسه
 لفته الأيام ، وأقعدته الأيام عن اللحاق بالسابقين إلى دار النعيم .
 ولقد شهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح قنطرة فقال (أعبروها)
 وما أهل عبر القنطرة على الخفف العجلان . من هذا كان
 الشبح رضي الله عنه لا يأخذ منها إلا الحانب السهل الذي لا يشغل
 بالا ، ولا يتعب فكيراً ، لأنها ليست مقصودة لذاتها ، ولا
 مرجوة لذاتها ، بل هي طريق إلى جنة أو طريق إلى نار ، والعاقل

من ترك الدنيا ولو كانت من ذهب ، ووجه إلى الآخرة ولو كانت من خزف ، فما بالك والدنيا من خزف ، والآخرة من ذهب ، والدنيا موقوتة بزمان ، والآخرة دائمة على الدوام . ولقد كان الشيخ رضوان الله عليه يضرب الأمثلة لتفاهة الدنيا حتى يأكله ، فكان يعزم عن الطبع من المطعم ، وببركة الإخوانه . ويضع بالليل البسط الذي لا يرحم أمعاء ، ولا يكدر بطونا ، بل وربما طوى اليوم والليلة على وجه واحدة لازيد ، وكما كان يكره الكلف بالدنيا ، كان يكره أيضاً على التزويج ، وله جمل جلاله يقول : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعياده والطيات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيمة) . وإنني لبحضور قصة درستها للتلاميذ في بعض بلادبني سويف ، ملائتني إكباراً لقاتلا ، وإنجلالا لهذا الرأى الديد ، والقول الرشيد . دخل بيدها على رضوان الله عنه داراً فسيحة لرجل من رجال المسلمين فقال يا هدا ؟ ما تصنع بهذه الدار ، أما لها في الآخرة كنت أخرج وبيلى إن شئت أو عملت الآخرة : تقرى فيها الضيف ، وتنظم المكين ، وتخرج الحقوق إلى أصحابها ، فقال بأمير المؤمنين أنكوا إليك أخي ، عاصما ، إنه ليس عبادته وتخلي عن الدنيا ، فقال كرم الله وجهه على به ، فلما جاءه قال له : يا عدو قمك ، أترى أن الله قد أحل لك الطيات وهو يكره أن تأخذ منها ، أنت أهون على الله

من ذلك . فقال عاصم : هذا أنت يا أمير المؤمنين . في خلوة ملوك ، وعلیظ ما كلك . فقال له على کرم الله وجهه : وبذلك لستكانت . إن الله قد أخذ على أنه العدل أن يضعوا أفهم مع عصمة الناس ، حتى لا يرجع بالفقيه فقره .

فانظر بـ حلك الله . أترى أن شيخنا رضي الله عنه تخلى هذه الحدود في رسم الطريق إلى أبناءه ؟ أم اتفق أثر جده أبي الحسين رضي الله عنهم جسماً في رسم خطوط الحياة ، وهي تتلاعث في كلین اثنین ؟ لا تعدد الدنيا ولا تنهلها ، بل خذ منها ما يصلح حالك ودع الباقي لمن يريد .

ما أحسن ما كان يضرب رضي الله عنه لتلاميذه من أمثال ، بضربيها فعله لا يقوله . وكذلك كانت خطه ، فكان يعمل ويأمر بالعمل ليكون عمله نموذجاً فعلاً ومنالاً حياً لمزيدية ، والحمد لله لقد أثمرت تعليمه نعمتها ، وأوى الزرع حصاده ، فإن أحاجي قلته وحاكته في كل شيء . حتى في حركاته وسكناته . وأقواله وأفعاله ، وطريقة تفكيره . أليس هو المثال الكامل ، والقدوة الصالحة ، وإنما العين ، وبيت القعيد ؟

أتم سلاني وشقي	أتم حدني وشغلي
وفلت في سلاني	إذا وفت أهلي
حالكم نصب عيني	إليه ووجهت كلی
والقلب طور التجلی	وحككم في ضميري



د. في الشيوخ

حكم الوارثة

عروفاناً تقدم أن تخنا رضي الله عنه محدور من سلالة هاشمية
وذريعة نبوية، إذ ينتهي جده الأعلى ببيت الحسين بن علي رضي الله
عنهما، ومعنى ذلك أن دماء العترة المحمدية تسللت في أصلاب
آبائه وجدوته حتى وصلت إليه، واستلزم ذلك أن يكون القبر
التوراني قد خالط تلك الدماء المتقدمة من بطن إلى بطين في هذه
السلة الطويلة حاداً قوياً، أو ضعيفاً واهناً، حب استعدادها
في حفظ هذا التراث القييم.

فما ثبّر رضي الله عنه ذريعة المرحوم الشيخ حسن سلامه الراضي
وقد علّم أن هذا الوالد النعماني كان يصلّي في كل ليلة مائة ركعة
تحجاًة، فلو أضفت إلى هذا أنه حجّ راجلاً لتنى لك من تلك
قوّة الصلاح في نفسه، وحده الدين في قلبه، فإن حجّه راجلاً
في وقفة العصيف، أو لسعة الشتا، وقطعه العرارى والقفار وما فيها
من وحشة ونعر من المخاطر، لا تكون إلا في اثنين.

إما التغفر، وإما التذر، وكلّا هما مدفوّعان يباعث قوى من حب
الله تعالى وحب رسوله الكريم عليه السلام، فإن كانت الأولى
ذلك تلك الحالة بصورة أوضع على مدى ما كان ينتفع به من
صلاح وعمر فإن بربه.

وحبه أن أنسط عن نفسي في بعنة ما كانت تلزم للفقره . والتفقير
لا حجج عليه ، لأن الحجة لمن استطاع إليها سبيلاً بحكم القرآن الكريم ،
إذاً كان الداعم إليها تغلغل الإيمان في قلبه ، وذكر مجده ورسوله
في وجداته ، وتربت تعظيم الشرع الخيف في روحه ، وعاشر
ذلك المنهى لا تغواه صعب ، ولا تلوى به أوصاف ، بل هو مدفون
أندفاعةً فرقه خفية لا يعرها إلا من خالط قلبه الصلاح ، وملأ
حمه الحب ، وأضاءه بعد عن محبوه الكرم .

والحب حتى على أحسن صوره . وتقاشه موضوعه . قد يرى
صاحب في المالك ، ويطرحه في مقازات الملاك . ويعرضه إلى كل
ذئب وظفر من ساق العذاب . وأظلن سمعت بعنة (بشر)
وكان صعلوكاً من عمالك العرب برج به الغرام ، وانتد به الحبام ،
وأضاء الحوى على ابنه عمه تلك التي خلم عليها مزرتش النباب ،
ومطرز الوشى . في شعر بليل وطأ ، وبغيض وجداً وغراها .
فأراد والدها أن يخلص من هذا الذي جر عليه ألسنة الناس .
فاطلقوا فيه ما يعيّب من سر القول وجهره . فأمرها عليه بألف
ناقة من نياق فيلة يعزّ لها عن مع كسر . وأفعوان سام . فلم يبع
بشر إلا أن يحب . وهو يعلم أنها المخاطرة بعيتها . فاخترط به
وليس لامته ومار . فعرض له هذان الحيوانان . هتلها وساق
السوق . فإذا كان هنا في ح تافه . وعرض زائل ، ينتهي لامعالة

مع الأيام ، فما يملك بحب الله ورسوله ، من يعرف ما هو حب
الله ورسوله .

لقد استطاعه بذاته (ياسر وزوجته) قتلاً فيه . وكم أولاً
قبيلين في الإسلام . واستطاعه بلال فعن ، واستطاعه الملون
الأولون فأخرجوه من ديارهم وأبنائهم إلى أرض نائية وراء البحر
أو في أطراف الصحراء .

إذا فهره والله الشیخ رضي الله عنهما كانت لشيء عظيم .
وجب أن تكون المشقة عظيمة .

وإذا كانت الثانية : وهي غدره أن يرجع إلى الله راجلاً . ذلك
أيضاً على حدة قوية من الدين والوفاء في نفسه ، فالوفاء رأس
الصلاح . ينطوي تحته الوفاء لله في كل ما يأمر به وينهى عنه .
قال تعالى : وليوفروا نذورهم .

ووفاء النذر على الصورة التي رسها والله الشیخ رضي الله عنه
أمر لا يستطعه إلا من كان على غراره من الأوصياء المحظوظين .
على . إذا ما جئت للي بارضها زيارة بيت الله رجلان حانيا
وكتبها كان الأمر . فإن أي حالاته تدل على ما كانت تسمع به
تلك الأسرة الكريمة من تقوى وصلاح ومحبة الله ورسوله .
فإذا أضفنا إلى هنا أن عمه أيضاً . كان في ترعة أخيه الدينية
بين لنا وجهاً الطريق .

ولقد فررت الأطلاع، بأن الولد يأخذ من أبيه أكثر صفات
الخبيثة والخلقة، وهذا حق لا ثمة فيه، وما دام ذلك كذلك
فيخارضي الله عنه، ورث من أبيه تلك الخصائص محننات.
ورثها حقيقة محدودة، فازال يسبها ويغزبها بمحبه وقلبه إلى أن
صارت في قامة العمالقة وأمتد ظلها امتداداً.

ولا غرابة في أن يرث الابن عن أبيه روحه وميله وشواره
كما يرث منه لحمه وعظامه، وربما كانت الأخيرة أصعب الاثنين.
لقد كان عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم، فيه تلك
الزعنة القوية الحقيقة التي اخترته أن يهم بنجاح ابنه عبد الله لندرة
ندرة، لو لا أن جاءت الأقداح على الإبل الماء، والتي فعلت فعلها
حين استردعه الله الحرم ولاد يأهله إلى الشعاب خوفاً من أصحاب
الفيل، فأهلك الله الفيل وأصحاب الفيل بطيير أيام زمامهم بمحاجرة
من جبل بلعلهم كعصف ما كول.

ولقد ورث عبد الله عن أبيه هذا السر العظيم، والدفعية
التورانية الكريمة، فاحتضر بها أميناً، وسار بها كبرى ما، حتى لقد
هامت به، فاعطته الختبة، بنت سيد قرمه، ورصدت له الطلامع
وبنت عليه العيون لاظفر بأملح وجهه برع في سلا، فريش، ولم
يتأس من أن تناول إرثها حتى بعد أن تزوج من آمنة، وانتفع
جبل رجاتها فيه، فهدى يوم مرجعيه من ندرة أبيه فقادته هي
وصحواتها إلى داخل البيت، وأدخل لها المكان، ودفعتها الفتنة

في إل أن نهم به ، ولكنك لم يهم بها وقال مرتخراً مبتداً متحافضاً
أعا الحرام فالمهات دوته والخل لا حل لفتبه
فكيف بالأمر الذي تورنه

وغضم الله عبد الله ، وحفظ سره في صلبه ، ليتفجر عوراً من
بطء آلة حين بشاء الله .

إذن فشيخنا رضي الله عنه سلاة طيبين من طيبين .

شأ وعده هاد من قلبه ، ونور من بصيرته ، على طريق لم يعبد
لغيره ، ولم يهد لسواء من ذاته وقرباته ، فخالف ما توافق عليه
أهله وقرابته وعرف جهته في سلوك أبنائهم في المدارس المدنية ،
وعرفت نفسه الصالحة عن أن تضع حياته في شيء لا روح
فيه ولا حياة ، وخالفه شئ غريب في عقول هؤلاء الذين يدفنون
أبنائهم في تعليم لا فائدة فيه ولا جدوى ، وراح هو تخرس عيادة الله
ورعايته إلى ذلك الجحول الرقراق : أو الشهد المثاب ، فوضع فمه
عليه ، وما زال يكروع حتى أتى عليه ، فقل لي بعثتك ، كف نفس
هذا ، طفل يوجه إلى حفظ القرآن الكريم فيحفظه في ست سنوات
ثم يوجه إلى المدارس الابتدائية فيشعر ، وبخرج على عرف
الناس ، وتقاليد البيئة ، وعلى إرادة أبيه .

أكان أهدي من أبيه قلباً ، وأكثر منه رشدًا ، حتى وهو في
تلك السن الباكرة ؟؟ ، ولم لا يكون كذلك . ولم لا يكون ذلك
القبس الذي تهجر في أصلابهم من لدن رسول الله صلى الله عليه

وسلم لا زال ينبع ويتعب في سارب أرواح أسرته المتعددة
في طيات هذه القرون الطويلة . حتى إذا وصلت إليه تجمعت نعها
جيعها في روح ذلك الإنسان الكريم ، فنظر بعين أبصر نوراً من
عيونهم . وعقل أرشد فكراً من عقولهم ، ومحضي بقلب أهدى
سبلاً من قلوبهم (قل إن الفضل بيد الله بقوته من يشاء والله
ذو الفضل العظيم) .

ولقد ابشق نور التي حلّ على الله عليه وسلم من حلب سيدنا
إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام . فما زال ينتقل في
العرب يعلو نأوقيات وأخذاها وأصلابها . إلى أن ترب إلى صلبه
عبد الله ، فنكثت عنه بطن آمنة ، فأثار المغارق والمغارب
(وأشرفت الأرض بنور ربه) .

من هذا كان شيخنا رحمه الله عنه مجمع الأنوار وكعبة الأسرار .
والسر الأظهر والنور الأبهى ، وناصر شريعة جده الأكبر ، صلى
له عليه وسلم .

نعم من هذا كان ، وسنكون ذريته من بعده ، وإن لنا
في أبهي الكرم ، وخليقته العظيم السيد إبراهيم سلامه الراضى
الأمل المرجى إن شاء الله تعالى .

بقيت لي كلة : وهي أن البينة قد توفرت وأهلها قطوفهم بلوتها
وتصيغهم بصمتها ، ولكن هناك من يشترى عصا الطاعة . وينفرد
على هذه القواليق ، إذا كان معاناً يسر المهى . ومحفوظاً بروح قدسي .

وله من فطرة البدلة ، ومراجعه المتقيم ، تفكير غير تفكير الناس ، وطبيعة غير طبيعتهم ، فلم تؤثر في شيخنا رضي الله عنه تلك البيئة التي نشأ فيها . خل من يأخذ بله الصبيان ، ولم ينك طريقهم في عبث ومجون ، بل جالس الكبار فأخذ من عقولهم ، والفضلاء . فأخذ من هؤلئة ، والعلاء . فانصرف من علمهم ، وما زال في جد الحياة واستقامتها صغيراً ثابتاً فرحاً . لم يدخل قلبه ما يثنى ، ولم يتوخَّ عليه ما يعب ، حتى تمض بواجهه وتصدر يومه ، وأدى رسالته على أكمل وجه وأنتم تعيشه .

لم تؤثر البيئة وإن تعددت ألوانها ودببت عقاربها على المزود بعافية الله ، ولكنها تؤثر التأثير كله إن كانت جائحة في أبنائها وأهليها . ذلك لأن الاستقامة والصلاح وما إليها فطرة النفس التي فطر الله الناس عليها . فإن لم يكن هناك من يسود صفحتها ، ويلطخ عرتها وينغير جلتها ، امتد بها الأجل على صفاتها الفطرى ، وخلقتها الطبيعية ، ورعنها الأميل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة . فأبواه يهوداته ، أو ينصرانه ، أو يمجانه ، أو كما قال عليه السلام .

ومن يطبع الرسول بنال عزماً
ويحول بالمرة والأماق
شفع المذنبين رسول مدق
ومن قد خص بالمعذاب

خفاء وظهور

عرفنا أن شيخنا رضي الله عنه كان إذا أمه قايد ، أو جاءه راغب يود أن يعقد على يديه ميثاق الطريق طالعه أياماً وشهوراً ، وربما تعلت على هذا المرشد المدة وأمه طول الانتظار فانصرف ، وانصرف عنه الشيخ دون أن يعقب عليه سائلاً ، أو يتغدق فيه غالباً ، أو بيتوحش منه غالباً . ومكث رضوان الله عليه مدة مدینة على هذا الوضع . بين قلة من الإخوان معدودة . اصطفاه اصطفاه ، واختارهم اختياراً ، فقطع بهم الطريق خفاها .

ولكن نظورت حالة الشيخ رضي الله عنه نظوراً ملحوظاً ، فقد أن كان لا يطفر بعاقفته مرشد إلا بشق الأنفس وصاجة الخط ، أصبح يدعو إلى الطريق ، ويرغب فيه ، ويبدعو الناس إليه . فإذا أقام حسنة ذاكرة في مسجد من المساجد . أو ناجية من التراحمي ، بسط يده الكريمة لمن يهاه أن يتخذه شيخاً وأخاً في الله ، فنفاثة على الناس والنفث حوله الجاهير . تتلى تلك البذ التي كانت مفتوحة عليهم منذ أمد بعيد . وكان الشيخ رضي الله عنه لا ينتسب نفسه في التحرى عن مربيه قبل أن يغضي معه ، بل يكون أن يحضر المتلذ ويطلب إلى الشيخ معاهدته وإذا بالشيخ لل بدء إالله وياخذ بيته .

وهذه الظاهرة جديرة بالبحث ، حرية بالتفكير ، لأنها تفصل

يعن عصر بن ، وتنبئ حالي ، ورأي الخاص في هذه الحالة
لا يهدو أمر بن .

الامر الأول : أن الشيء رحمي الله عنه كان يميل إلى التبر ،
لأن فيه سعادة بالمحبوب ، وانقطاعاً إليه ، وتفريغاً له ، وهي ميزة
عليها بعض أصحاب المقامات ولا يزدون بغيرها بدلاً ، وتصور
مثلاً إنساناً في روضة من الرياض ، زاهية حضرتها ، منفتحة
أزهارها ، جارية أحصارها ، عليه نسمة يعقب منها أرج فياح ،
ويخلو فيها جنى شهي ، وتعزف على أيكتها أصوات أحاذة جذابة
تعل في الأرواح مالا تعلمه الراوح ، وترق بالوجودان إلى جمال
حلو من جمال وكمال . فإذا تقل في أرضها مالت عليه الإنعام
بظلهما القليل . وإذا نشم أجواءها هب عليه عرف الطيب ، وإذا
اجتلى أشجارها لاحت لعيشه ألوان الأزهار ، ووشي الألوان ،
يعن غصون مياء ، وفروع هفافة ، ماذا يكون من أمر هذا
النعم بالطبيات ، لو سرخ مخاطره إلى مثبة في الأسواق والمارقات
والآزقة ، بين فرش بحق ، ونفن برك ، وجور تقبل ضعفه كاو
حدنه في وفة الشمس أولادعة السرير ، فإذا رأى رأى حشرات
زاحفة ، وأجنحة متكونة على قدر ، وما في أفعال ، وإذا سمع
جمع لغوا ، وصوتاً يأخذ من الخمر تيقها ، ومن ابر ، نعها ، ومن
الدباب عوادها في عالم استجوار منه أبو العلا . المعرى في قوله :

عنى الذنب فاستأنت للذنب إذ عوى
وصرت إلى فككت اطير

فانا يختار من الحالتين ، وماذا يرث في الناجتين .

فالولي الاكشن يقلبه في حضرة الله ، المقطع بكلبه إلى وجهه الكريم ، هو صاحب هذا الروض البديع الذي لم يجد مثلا أعلى منه يقربنا إلى حادق التشيه غير هذه الشجيرات والزهور التي لا تساوى فلامة ظفر بخوار ما ينبع به الوائل إلى حضرة القدس؟

لو انتقل هذا الولى إلى عالم الآساتذة ، انتقل إلى تلك الدروب والمسالقات ، وكل خانقة في الأرض ، وهابطة من السماء . وهذه الهبوم العزيرة التي وحقتها ، والتي لم أجد مثلا أقع منها في وجه المترهل من سمااته إلى تلك الأرض الوبية ، الأرض التي فرمها سيدى أبو اليزيد البسطامي إلى الأحران والغابات ، ليتجوّج محبوه من الشواغل الدنيا . أراد شيخنا رضى الله عنه أن يكون من أصحاب الخلوة ، وأرباب الخلوة ، ومسار المحبوب ، حتى إذا أطلعه الله على مقام يقربه إليه زليق ، وبدنه منه درجات فوق درجات ، كشف له حجب الآساتذة لعزل إلى هذه الدنيا ، ويتخرّط في صفوّ الناس بعلج غناياتهم ، ويشقّ أمر ارضهم ، ويقوم عوجهم . وبأخذ ما يكتبهم إلى سماه السكال ؟ ؟ ؟ ولم لا يكون ذلك كذلك ؟ ؟ ؟ ففي الغرس بالشدائد قربان ، والسمى بين الناس بالصلاح حبة ، وميل الكاهل تحت أثقال الجهاد أسرع طريق إلى الله ، إنها وظيفة الرسل . ومن أعلى من الرسل مقاماً وأرفع جناحاً ، فلمن كان بعده وتعالى اختار هذا الأمر لوله ، واصطفاهم له ، فهو تكريم أكرم

أقه به أحسن خلقه ، وأقرب عباده إليه ، أفلأ يضع ولد الله في
وظيفة الرسول ، والدرجة بينها واسعة ، والدائرة فسيحة ؟
إذاً فقد كرم الله شيخنا رضي الله عنه بهذه المنزلة الرفيعة والدرجة
العالية ، فخصه للناس ، وماله لا يكون قار العين ، هنرخ الفواد ،
مفوظ المكانة . وهذا شيخه أبو الحسن الشافعي رضي الله عنه .
كان يركب (برذونه) ويأمر من ينادي في الناس « من أراد القطب ،
الغوث ، الفرد ، الجامع فعليه بيدي أبي الحسن الشافعي » .
والشافعي رضي الله عنه يبلغ من منزلته ، وقرب مكانته أن قال : « قد يرى
هذه على جهة كل ولد الله تعالى ، فانحنى لقواته تلمسه ومن الأولاد » .
إذاً قد انجاب شيخنا رضي الله عنه إلى هوائف قلبه ؟ وتووجه
ربه ، ونزل إلى الناس يدعوهم إلى الله . ويضمهم إلى طاعته ، حتى
كثر من حوله ونافت بهم الياقات . وامتدت لأجلهم السرادقات .
وسال بهم الوازي سلا . فأخذوا بين الناس مكانة مرموقة ، ومنازلا
كريماً ، وصارت الحادمية الشاذية مبة للمعبد وخلوة المبح ،
وصومعة العابد . وقبة القاصد . وأمل المؤمل . حلا صوتها فاسمع
الخافقين ، وتبس نورها فطوى البيرين .

أما الأمر الثاني في نظري ، فهو أن الشيخ رضي الله عنه . كان
يعرف أنه أهل لهذه المكانة . كفه هذه الرزامة . ولكنه لم يثأر أن
يجهضه . طريقه أنه إلى من ليس من أهله ، ولم يستطع أن يحرر
على عرقها ويصر على لأداتها فقضى بذلك عن لا ينوسه فيه الأهلية

وَاكْنَى بِخَلَاصَةٍ يَتَطَبَّعُ أَنْ يَسْكُنْ بِهَا الطَّرِيقُ ، وَلَوْ حَفَظَ
بِالْمَكَارِهِ ، وَخَلَظَ بِالْأَشْوَاكِ ، إِقْاهُ عَلَى أَسْرَارِ أَنَّهُ مِنْ أَنْ تَعْنِي
يَنِ الدَّهَاءَ ، فَيُشُوَّهُ وَجْهَهَا ، أَوْ تَوْخِذُ عَلَى غَيْرِ مَا يَرَادُ بِهَا ، وَالطَّرِيقُ
كَالْعَرْوَسِ وَمَهْرَهَا قَاتِلُ النَّفَوسِ ، كَمَا يَغُولُ شَيْخُنا رَحْمَنْ أَنَّهُ عَنْهُ ،
وَمِنْ يَطْلَبُ الْحَسَانَةَ لِمَ يَغْلِظَ الْمَهْرَ كَمَا يَقُولُونَ ، وَالْمَهْرُ لِيُسَّ هُوَ الْذَّهَبُ
الْبَرَاقُ ، وَإِنَّا هُوَ أَغْلَى قِيمَةً ، وَأَعْزَى مَطْلَقاً ، فَهُوَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ :

مَحْبُ أَنَّهُ فِي الدِّينِ عَلِيلٌ نَطَالَ مَقْدِهِ قَدْرَاهُ دَاهٌ
كَذَا مِنْ كَانَ لِلْبَارِي حَمَّا بِهِمْ يَذَكَّرُهُ حَتَّى يَرَاهُ
وَيَرْزَهُ فِي تَصْوِيرٍ مَعْ نَعِيمٍ وَفِي الدِّينِ وَيَنْفَعُ عَنْ هُوَاهُ
وَلَوْ قَالَ الْعَنْوَلُ بِهِ جَنُونٌ لَقَالَ فَإِنْ جَنَتْ فَنَّ هُوَاهُ

إِذَا فَرِبَّا كَانَ هَذَا هُوَ الَّذِي أَرَادَ الشَّيْخُ نَفْسَهُ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ
أَنَّهُ أَرْحَمَ بِعِيَادَهُ ، وَأَحْنَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يَغْرِكُوا مَهْلَا ، وَبِرْ وَحْوا
بِدَدا ، وَيَضْرِبُوا فِي مَنَاهَاتِ الضَّلَالِ ، مِنْ خَيْرِ أَنْ يَسْخُرُ لَهُمُ الرَّاعِي
الْوَحِيمُ ، وَالْمَنْقُذُ الْعَظِيمُ ، فَهُنَّ قَلْبُ الشَّيْخِ إِلَى أُولَئِكَ التَّخَافِينِ ،
ذَهَبَ إِلَيْهِمْ حَنَّا ، وَدَعَاهُمْ رَفِيَّا ، وَمَازَالَ يَشْرُقُ بِهِمْ وَيَغْرِبُ ،
حَتَّى لَا يَنْتَ قَانِمُ ، وَدَخْلُوا فِي طَاغِيَةِ أَنَّهُ مَرْعِينُ .

بِحَامِلِ رَبِّ إِنَّا الصَّدَقَاتُ لِلْفَقَرَاءِ وَالْمَاكِينِ ، وَلَيْسَ أَحَجَّ
إِلَى الصَّدَقَةِ مِنَ الْعَصَاهُ وَالْمَذَاهِينِ ، زَرِي لَوْلَمْ يَقْبِضَ أَنَّهُ لِلنَّاسِ هَذَا
الْوَلِيُّ الْكَاملُ ، وَالْقَطْبُ الْجَامِعُ ، وَالشَّيْخُ الْوَاحِلُ أَهْلًا كَانُوا

لابرالون تحت أنفال المذوب ، وبين نشرة المعصية ، ثم من كان يرفع المساجد ويصرها ، وبين الزوابا ويسكتها ، ويرفع أعلام الطريق وبشرها ؟ ؟ ؟ ومن كان بذلك الناس باقه في الشوارع والمحوارى في جماعات يقفوا بعضها إثر بعض ، تحت رابات مخصوصة ، وأعلام مشورة ، وسمات ملائكية ، يفيض عليها نور من إيمان قلوبهم ، وتعلوها تقدرة من صفات أرواحهم ، أو تلك على حدى من دينهم ، وأولئك هم المفلحون .

الصوفية هي الدين الخالص

جا . الإسلام عظوراً للناس من رجس الونيفية ، وطهارة القلب من أقدار الأوزار ورواسخ الأكدار . وافتراض على المسلمين فرائض سهلة ميسورة توصل العبد إلى ربها ، ووصول العبد إلى ربها ليس وصولاً مكتابياً . فاته جل جلاله لا يوصف بمكان ولا زمان ، ولكن الوصول هو فربه من رضوانه ، وتوال جزاء إحسانه ، ولا يستطيع إنسان أن يصل إلى هذه المرتبة إلا إذا كان ثقباً من خانت قلبه ، فقام بوذه إلى متاجدة ربها في حضرته القدسية . فاته طيب لا يحب إلا الطيب .

وعلى ذلك فنار الأمر جبعاً برجمع إلى طهارة القلب ، وعزل النفس عن مخالطة المعصية ، وتخليص الروح من شهوات الجسم .

فإن أذت هذه العادات المفروضة هذه النتيجة كانت عادة خالصة مقولة شكلًا و موضوعاً : وإن لم تؤد إليها فلآخر فيها ، لأنها لا تعود أن تكون رسماً و نقوشاً و زخارف خادعة إن تخدع بها الإنسان نفسه فلا يستطيع أن يخدع بها ربه ، والخداع زيف ولا خير في عبادة لم تؤد إلى الغرض المنشود . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رب مصلليس له من صلاته إلا النعيم رب صائم ليس له من حosome إلا الجوع .. »

عرفت الصوفية تلك الحقيقة . فعلت همها حفظ القلب من عرواشي الفتن ، ومحاربة النفس بصلاح الفضائل ، وكبح جماح الجسم عن الغزوات الملهكة ، ووضعت لذلك كلّه فوائد ورسماً ، وألزمت بها من تتقدّ عليها لنجو من شر نفسه ، فكان عملها هذا طريقاً مأموناً للسلوك يعودى إلى غايتها المرجوة ، وأمله المنشود .

والحقيقة التي لا مراد فيها أن العادة إذا كانت خالية من روح التخشع والتذرد وإعمال القلب ، لا تؤدي إلى شيء . أبداً ، ولو فطع صاحبها اللبل قاتماً والدهر ساعياً ، وعندئلي أن من أدى الفرائض فقط على وجهها خيراً من يشر على التجدد طراله لبله وقلبه خوش ، ووعيه سايع في آفاق بعيدة . وأزيد على ذلك أن من دخل على مولاه ، وقلبه معرض عنه فهو سيء الأدب ، ولم لا أنه يطوي صلاته تلك ويضرب بها وجهه ، ظهر اسأذن

حکوم على حاكم فاذن له ، فدخل عليه وتركه ، وأخذ بتفقد
ما في القرفة من أثاث ، لكان جديراً بالطرد والعقاب . وبالا
يعاود زيارته مرة أخرى ما دام على هذا السفه ، فإذا كان هذا
الامر بين حکوم ما قد يكون في خفاقة حاكمه وهو فوق ذلك
إنسان مثله ، فكيف يكون الوضع مع احکم الحاكمين .

لذلك كانت العبادة الملبنة بالإخلاص وإن قلت خير من العبادة
الفارغة وإن كفرت ، فرب مصدق بدرهم واحد ينتفع به وجه
ربه خير بما لا يقاس من مصدق بالألاف رثاء الناس ؟

ومن هنا لا يغول الصوفيون على هذه المظاهر ، ولا يغضون
لها أهمية ، إنما تغويتهم على مدى تأثر الشخص بما هو آخذ فيه
من عادة ، وعلى حدة من تلك العبادة ، فإن هي جردها تحريراً
ونفعته فعما من غبار الأوساخ ، وصل إلى ربها راهباً مرحباً ،
وإن هو مازال مطموراً تحت أنفاس بشريته ، فهو بعد عن
نور الإيمان الوضاء .

كان النبي صل الله عليه وسلم جالساً بين أصحابه يوماً فقال عليه
اللام : سطّل علىكم رجل من أهل الخلة . تلفت أصحابه حتى
رفع لهم سواد فإذا هو أعرابي أقبل قلم وجلس . فلما انصرف
لحقه واحد من سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته فيه
وقتله له بعض العطل ليزلمه شيئاً في بيته بعثة أن يعرف قتال

أَنَّهُ عَلَيْهِ فَكَثُرَ عَنْهُ تِلْلَاتٌ لَمْ يَرِفْهَا إِلَّا مَا هُوَ مُعْتَادُ، فَالرَّجُلُ
بِنَامٍ بَعْدَ الْعَتَاهُ، وَيَسْتَقْطُعُ فِي الظُّرُورِ بِمُزَدَّى الْفَرْضِ، ثُمَّ يَأْخُذُ
فِي أَسَابِرِ رِزْقِهِ يَاضِيَّ بِوْمَهُ وَلَا أَكْثَرُ، فَقَالَ لِهِ الضَّيْفُ إِنِّي سَمِعْتُ
مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَتَعَلَّتْ عَلَيْكُنَّ
لَا نَزَلَ فِي بَيْتِكَ وَأَرَاكَ مِنْ قَرْبِهِ فَهَارَ أَبْيَتْ شَيْئًا غَرْبَيَاً؟ فَقَالَ لَهُ
الْأَمْرُ كَمَا رَأَيْتَ، هَذَا أَسَادِنِي مِنْهُ وَانْطَلَقَ نَادِيَهُ صَاحِبُ الْبَيْتِ أَنْ
قَفَ، فَوَقَفَ الرَّجُلُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ بِغَوْلٍ: إِنِّي لَمْ أَخْدُ عَلَى
أَحَدٍ وَلَمْ أَخْدُ إِنْسَانًا عَلَى نِعْمَةِ أَنْصَابِهِ أَنَّهُ عَلَيْهِ، قَالَ لِهِ الضَّيْفُ
مِنْ هَنَا جَئْتُ.

أَنْهُمْ مِنْ هَنَا جَاءُ إِلَيْهِ فَتَشَرَّهُ نَبِيُّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِالْجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمُ فِي الْعِادَةِ جَاهِدًا، أَوْ يَوْغُلُ فِيهَا مَكْرَأً،
وَإِنَّمَا افْتَصَرَ عَلَى الْفَرِبَةِ فَأَدَاهَا كَمَا يَوْدِيَهَا الْمُؤْمِنُ مِنَ الْعَارِفِ، وَالْمُلْمَلُ
الْخَالِصُ، فَنَفَتْ قَلْبُهُ، وَأَهْنَاهُتْ بَصِيرَتُهُ، فَجَاءَ مِنَ الْمَقْدَدِ وَالْمَدَدِ
وَأَمْرَاضِ الْقَلْبِ الْمَرْدِيَّةِ، وَهَذَا هُوَ سُلُوكُ الصُّرُوفِ، أَوْ جَهَادُ
الصُّرُوفِ قَبْلَهُ، بَقْتَلَ أَنْبَاتَهُ مَلَازِمُهُ إِلَّا مَزْوِيَّاً، وَبِحَاطِهِ مِنْ كُبُرِيَّاتِهِ
مَلَأَ تَلْحِظَهُ إِلَّا مُتَوَاصِيًّا، وَبِتَشْتِرِهِ عَلَى قَبْلِهِ مَلَأَ تَشَاهِدَهُ مَرَانِيًّا
بِعِادَةِ، أَوْ مَكْرَأً فِي نَافِقَةِ، فَإِذَا دَعَا دَاعِيَ الْوَطَنِ أَوْ الدِّينِ فَوْ
الْمُقْتَدِيَ بِنَفْسِهِ، الْمُضْحِي فِي سَبِيلِ دِينِهِ وَمُولَاهُ، وَهُلَيْ بَطَّلَ الدِّينُ
مِنَ الْعَبْدِ إِلَّا هَذَا، وَهَذَا هُوَ الدِّينُ الْخَالِصُ الَّذِي لَا شَبَهَ فِيهِ وَلَا
رِبَاهُ، وَهُوَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الصُّرُوفُونَ.

مالذة العيش إلا صحة القراء
 هم اللاطين والآدات والأمرا
 فاصبها وتأف في مجالهم
 ودخل حظك مما قدموك ورا
 وخط رأسك واستغفر بلا سبب
 وغم على قدم الإتصاق معنرا
 وإن بدا ذلك عجب فاعرف وأقلم
 وجه اعتذارك بما فيك منه جرا
 فوم كرام الجمایا جنبا جلسوا
 برى المكار على آثارهم عطرا
 يدو التحروف من أخلاقهم طرفا
 حن التألف منهم رافق نظرا

عزلة شيخ الطريق

شيخ الطريق هو الأب الروحي لكل من تعاقد معه على
 الوصول إلى الله ، وليس تلاميذه كلاميذه المدارس أو المعاهد ،
 زريتهم بمدرسيهم مراد المدرس وسقف الفصل ، حتى إذا ما انتهت
 حصة المراجعة مضى كل منهم في سيره دون أن يلوى على صاحبه ،
 ودون أن يعني بشئونه الخاصة أو العامة ، هادم بؤدي واجبه
 الدراسي على أي وجه ، وقد تمضي عطلة تعطيل المدارس بدون

أن يراه ، أو يمع عنده شيئاً ، أو ينقطع صدراً من أخباره وأحواله ، قال أبا طة بينما رأيته مدرسة على ، فإذا أتم دروسه وارتقي بدراسته إلى معد أعلى انقطعت العلة به إلى الأبد ، إلا إذا رأاه حدث في طريقه أو الحال عامة .

ومثل هذه الحالة لا تصلح بين شيخ ومربيه ، فالمريض في طريقه إذا ضرب بيده شيخه أصبح علوكاً لشيخه ملكاً تماماً ، لا يصدر إلا عن رأيه . ولا يعمل عملاً كبيراً أو صغيراً إلا يارشاده ، ولا يغادر مجده إلا إلى سعيه في حلب الرزق . ول الشيخ الحق في أن يتعرى خصائص حالته ودقائقها . ويعرف ما يحمله بمخاطره من أفكار ، وما يذكر في قرارة نفسه من اتجاه ، حتى إذا أسلمه قياده سار به شيخه على طريق مستقيم ، يطه نفسه ، ويوجه قوله ، ويكمل نفسه ، ويملاً روحه بالخير والانتقامه والصلاح ، وليس كل شيخ يصلح لهذه الوظيفة : أو يحمل تلك الأمانة ، أو يؤدي هذه الرسالة على وجه نافع ، وويلة مرضاة ، إذا ملأ بذاته أن توفر في الشيخ شروط لابد منها لمن يتصدر لهذا المركز الخالق .

الشروط التي تتحقق فيه

فأول شروط تتحقق فيه أن يكون تقياً بمعنى الله ، فالفاشن لا يغوص ، بل هو في حاجة إلى من يغوص به هذا الاعوجاج . وناقص الكمال لا يعطيه .

ثانياً : أن يكون ذا أخلاق ، والخلق ملاك الصفات جمعها وما ملك النبي صلى الله عليه وسلم فهو أصحابه لأنهم كانوا أعلمهم ، أو أشرفهم ، أو أضخمهم ، أو أعلامهم ، أو أرشدتهم عقولاً ، أو أبغضهم إلى المعرفة فدعا . بل أسر قومهم لأنهم كانوا أعلم حلقاً وأذقهم كلاماً . وبذلك الأخلاق وحدها ووحدها فقط . ألم يعن القلوب المتأففة ، والعيوب النازرة والقبائل المتأذرة ، والقلوب المغفرة وضمهم إليه وأواعهم في حرزه ، وصدقانه العظيم في قوله : (ولو كثر طأ غلط القلب لاغضوا من حولك) ، وقد امتد حبه بنت جمع له به فضائل ما تفرق في عوالم الأولين والآخرين حيث قال جل شأنه : (وإنك لعلى خلق عظيم) .

ثالثاً : أن يكون ذا علم ودورة ، لأن الجاهل لا يدرك وجه المصلحة لنفسه بله الآخرين .

على أن علوم الأشياء تختلف اختلافاً كلياً عن تلك العلوم التي تخجزها الكتب بين أغلفتها وربما لا تتبعها العقول فتعجب بها وتلتفظ بها فقط . بل هي علوم لا تدون في كتاب ولا تخط بقلم ، لأنها علوم تندو بها الروح ، وتسري بها العواطف ، ونهفو إليها القلوب ، ونحي إليها الأفهام .

علوم الشريعة عدم : معلم وضمنها الدين لصلاح الدنيا والأخرة ، فماي شعيرة من شعائر الدين إنما تهدف إلى صلاح القلب

ونزع رين الصدور ، فإن أدت إلى هنا استقام الحكم في نظرهم .
وإلا فلا وجه غير ذلك .

فالصوم مثلا له ثلاث درجات ، أو على ثلاثة مراتب :
صوم العامة : وهو الإمساك عن شهوة الفرج ، وشهوة البطن
من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وهذا الصوم إن افترى عليه
الصائم ، وأرسل نفسه الأمارة على جسمها في مجاهيل المعيشة ومتاهات
الشدة فليس فيه جدوى ، وإن حام الدهر كله — « رب صائم
ليس له من حبامه إلا الحوجع » .

صوم الأبرار : وهو الإمساك عن شهوة اللسان ووسوسات
الصور ، قيدوا بين الناس عص اللسان ، غاضب البصر ، سليم القلب ،
صحي الروح ، متاعباً كريماً ، لا يحصل لأحد ضئيلة ، ولا يذكره لغير
حبراً ولا بحر على أحد ضمها ، ولا يرد على شائم قوله ، فإن هزته
نفه إلى ما يفسد شيئاً من صومه هذا زجرها وعفها يقوله :
« إن صائم ، إن صائم » .

صوم المقربين : وهذا لا يطليه إلا الولي الواصل ، والعارف
الكامل . لأنه أكثر متونة ، وأكبر طاقة من أن يتحله كواهل
الالكيين ، وإلا فمن يتطلع أن يكون كبيدي أبي الحسن الشاذلي
الذى يقول : لو غاب ربي عن قلبي لحظة واحدة ، ما عادت نفسى
بين المسلمين . هذا هو صوم المقربين ، وعادة المشاهدين ، وعزلة

الواصلين ، لا ينالها إلا أولى العزم من الرجال ، واصحاب الفتوة
من القحول ، وقل في سائر العبادات ماقتها في الصوم . فالشرعية
عند هم مطابقاً نوحلاً إلى الله ، لارسوم وخطوط تمايل بها الأجسام
وتفقيب عنها القلوب ، فالركوع في الصلاة ليس معناه عندهم وضع
اليدين على الركبتين . وموازنة الرأس بالجسم ، ولكن معناه عندهم
ما يرمز إليه انينا . الجسم وكوجه على الأرض . والإغراق
في الناء على الله . هذا هو الوجه الذي يكتشرون به للامبيذهم .
ويقيدون به . أما العبادة الحالية من روح الشرع فهي عدم قصور
يخدع بها الإنسان نفسه ، ويرأني بما قبله ، ولبس من العبادة
ولا الطاعة في هي .

أما علوم الحقيقة : فهي أسمى ما يتعززون به ، ويعملون له ،
فالشيخ الكامل في عرفهم ، هو الملم بأطراف الشرعية والحقيقة
، فشرعية بلا حقيقة تفتق . وحقيقة بلا شرعية تزندق . وشرعية
وحقيقة كمال . ، وعلم الحقيقة لا بد منه للشيخ المتصل . لأنه يطب
القلوب ، ومن طب شيئاً عرف ذاته ، وإنما كان دجالاً والشيخ
في حقيقته لا بد أن يعرف أسرار القلوب . وخلجعات التغوس في
أشخاص مریديه .

ولقد شرحت هذا السر في باب من أبواب هذا الكتاب
هلا داعي للإفادة فيه إلا بقدر ما نفع من هذه المادة . فعائد

المربى مع شيخه بزورى إلى المزارج وحيثما ، وإذا امترجت الأرواح
شعرت بشعور واحد وإحساس واحد ، فيعرف الشيخ ما يطرأ على
قلب تلميذه من قلبه هو ، فقلبه مرآة تلميذه تعكس عليهما مribat
ضميره بأجل صورة وأدق بيان ، فيعرف من أين أخذ ، ومن أى
باب دخل عليه وقد الشباعيين في جلوهم إجلاء ، ويطرد هم طرداً قبل
أن يضر بواقة من الرؤى تناوح فيها أعاشر الشرور ، إذا الشيج
هو الدبدبان الاهر ، والحارس القظ ، والواب الأمين
على قلوب مرباته .

رابعاً : أن يكون ذات خيبة : لأن المربى إن لم يكن محب
الطلعة ، ملحوظ المكانة ، انتفخ به تلاميذه ، وتهافتوا في بعض
أو كل ما يحب المربى من نقد ، وإن وصل إلى هذا لم يجد بين
يده تلميذاً يعن له أو يدفع إلى ما ووجه إليه . وما هكذا تكون
الأشباح بين المربيين .

شخصية الشيج ومهياته وكيانه في قلوب تلاميذه ، كافيةات
جلب وعيهم ، ولإغاظة حهم ، والارتفاع إلى إرشاداته ، وانقطاع
تعابده في أذهاهم وقوتهم .

وأما كدرس ثالث من أخلاق التلاميذ في تجاريبي الطوبية
ما أقتنى بأن المعلم ينبع من المعلم الخازن المربى ، وإن كان قليلاً
المعرفة من واسع المحصل أكثر مما يقتضيه من علم مطبع شخصه ،

نازلة كرامته ، واهتة هبته ، ولو حاز علوم الأولين والآخرين .
ولقد مر بـك كيف أن الله تعالى جعل مقام نبوة محمد صلى الله
عليه سلم بالطيبة حتى أنه رأها تهز فرائص أصحابه . خاول أن يرفعه
عنهم فيقول : إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد .
فاما : أن يكون له طرفة في التهذيب ، فيضع البه في
موقع البه ، والتى في موقع البه ، والتغوس ليس من
طبيعة واحدة ، أو طبيعة واحدة ، فرب إشارة تعنى عن عارفة ،
ورب سوط يلهم جسمه ولا يقوم نفأ .

ولقد كان شيخا رضي الله عنه له علبة المثل في هذا الباب
فربما حل شخصاً على هذه مكانته بين معارفه أو أهل علمه ، إن
رأى في قلبه صلفاً واستعلاً ، أو ربما كلف آخر بأن يقطع له
فاما ، أو شيرأ صانعاً إن رأه منحضاً لهذا العلاج ، أو يكتفى بقصة
بعضها بين الإخوان يعرضها تعرضاً ، ويشير بها إشارة تكون
لصاحبها شفاء وغناه . وهكذا لا يزال يروي وحش التغوس على ما يحمد
جذونها ، ويطلع ، شعلتها حتى تستقيم ، فإن أبت فآخر الدوا ، الكى
ولا أنسد بالكى طرده أو حر راهنه من مكانته . فالشيخ رضي الله
عنه لا يلتجأ إلى قطعية مرشد أبداً ، وإنما الكى عنده إشارة بالالم
إشعاراً يورق جفنه ، وينصب غناه نفسه .

سادساً : زهده في زخارف الدنيا : فإن الشيخ الزاهد في الدنيا ،
المنظوى عن بوارجها ومجوبياتها مثل حى للامينه في عدم الكتاب

عليها والاحتفاء بها ، وليس معنى الكتاب عليها أن يسرّح طليباتها ،
ويعرف عن خيراتها ، بل معناه اعتماده بها وجعلها كل شيء في
خطوّطه ، وما خلقت الدنيا إلا مطلبة الآخرة ، وما أتني الإنسان
ربه فيها إلا وكانت له أحسن موصل إليه .

وقد كان شيخنا رضي الله عنه يدخل بيت الفرجي وبيت الفقير ،
وما هيئ بيهما في شيء ، أبداً إلا بقوة إيمان أحدهما ونقواه .
ولقد تعرّخت لرأي شيخنا رضي الله عنه في هذا الموضوع
في باب من أبواب هذا الكتاب للتو جمع إليه من شارع .

هذا وأهم ما يحب أن يتوافر في الشيخ ليكون مريضاً نافعاً وشيخاً
كاماً ، فإن وصل إلى هذا الحدّ كان له الحق في أن يشغلى المرشد ،
ويتصرف فيه تصرف السيد في القن ، وعلى المرشد أن يبيع نفسه
إليه بيعاً ، وإن يسلم قلبه إليه تليها ، وأن يتخلص من حوله وقوته
وارادته ، إلى حول الشيخ وقوته وإرادته ، فإن أفاده ما كله بهذه العجائب ،
وجمع له هذه الصفات : إلا وهو يعلم جمل علمه ، أنه خير من جلس
على أربعة العلماء ، وأفضل من حل وظيفة الأنبياء .

ولا إخالك إلا قرأت قصة سيدى عبد السلام بن بشير رضي الله عنه مع تلبته أبي الحسن الشاذلي لما جاءه الأخير معاقداً ، وكان
بيهـما حوار لطيف . فقد كلف سيدى ابن بشير تلبته هذا بأن
يتظاهر قبل أن يعاوه ، فذهب إلى ما أراه على جسمه ثم رجع
إليه ، فقال له ثانيةً أرجع فنطر ، فظن التلبية أنه يفقد شدة العناية

بالتطهير فما معن فيه . فلما راجع لم يكن نصيبي من الثانية بأسعد من
نصيبي من الأولى ، إذ أمره الشيخ للمرة الثالثة بأن ينطره فذهب
وتحرج أحوال التطهير والظهور جميعاً ، ولما راجع إليه وغض عنه
قال يا سيدي ما زكرت شيئاً إلا وظهر له ، فقال أقصد تطهير جحثك ،
ولما أخذت تطهير قلبك ، إزاع من قلبك عملك وعملك وأنتي .
هذه قصة الشيخين الكبارين رضي الله عنهم حصلت لتعرف
أن تعلم المرشد قبله شيخه أمر أولى لازم فيه . لأن عمله وعمله
لم يفده شيئاً ، وإنما احتاج إلى مرشد ، ولربما كان ضرر العلم إن
لم يوجد في طرائقه أستاذ أكثر من ضرار الجهل ، ولربما كان العمل
حالياً من روح الفحشة ، فلا يؤدي إلى عافية ، ولا يحمل على سكلاً .
ولأن سعاده صالح ولو مخدوعاً فيه وراها على محمده المائة ،
ودعائمه المذاومة .

حاجة الناس إلى

شيخ الطريقة هو الوصلة بين الشخص وبين ربه ، وما أكظ
مسجد بالصلوة . ولا يصح حجيج بدعاه ، إلا وشيخ الطريقة هو
الداعم إلى هذا .

أرأيت إلى المسر كيف يتضيرون المهووس وقطع الطريق
والمحربين ، بين الأزقة والدروب . وعلى المقاهي والحانات . وفي
مكانتهم وأجوارهم . إن هؤلاء المسر هم متابعون لطرق
بين الطائفتين . لأن الأولى يجمعون هؤلاء المحبين ليقتلوهم

نحت قبة القانون ، وأما مثابع الطرق في جمعون هؤلا . ليقرون
بين يدي الله ؟

إن عمل شيخ الطريق لا يكون في المساجد . ولا يكون في قاعات
الوعظ والإرشاد . إنما عمله في شوارع المدن وعلى منبرة القرى
والمساكن والعزب . يجمع هؤلا . المعرفين على الطاعة . الصالحين
على وجوههم . المؤذنون خلق الله . فيعافدوهم على الطاعة والاستقامة
والخير والمعروف . ولو أنت تشتت شقى لتدخله المسجد فربما لم
تجده منه كثير مقاومة . ولم المقاومة . إن هي إلا ركعات يطبع بها
الأرض ثم يخرج إلى مكانته سعيدة . ووكل حربته . لم تجده
ركعات رکعها عن أن يتعصّب فيها هو فيه الغيّار . أما لو تشتت
به يأخذ عهداً أمام الله على يد شيخ الطريق لقاومك مقاومة .
وتحاشيك مخائلاً ، بل وفانليك إن لم تتع بفك من وجهه ونخل
له طريقاً . ومقاومته هذه لعيبة أصلية في نفسه بحسبها يوجداته
كله وشعوره كله وحوارمه جميعاً . فهو يعلم علينا أكيداً لا يشرب
إليه وهن أن معاقدته مع شيخ الطريق على لا يستطيع منه فكاكاً ولا عزّلاته
من حللاً . لأنّه عهد بيده وبين أنه إلا يغار في ذنب ، أو يعصي ربّاً ،
وإنه لو نقض هذا العهد وقع في الكوارث . ونحت عليه آثاره التجاه
وأصب في بدنه أو ولده . أو في أي شيء عزيز عليه . وأنّ هذا
العهد . يحسم الموقف بين حالتين : حالة ولت واتّهت اشترورها
وآلامها ، وحالة جامت بغيرها وهبها . والتحول عن المألوف

دفعه واحدة ، في نعماته على النفس ، وشق على الطبع ، فهو لا يرضي له إلا شق النفس وسلطان قاهر . فإن علمت أن أمثال هؤلاء هم المصادرون من أكدار الرذائل - إثبات الشيخ ، والمقيدون إليه بمحاباته ، عرفت أقدار مثابغ الطرق وخطورهم ، وما يقتضونه للأفراد والجماعات والشعوب من خدمات .

أما الأفراد : فإن الشيخ لا يزال يجذب الجاذف ، ويعبد العازف حتى يختفيه . فإن أحسته لم يستطع منه فتكاها .

وأما الجماعات : فهم الواحد الدائر ، والفرد المكرر ، فإذا صاحت أفرادها صاح سائرها .

وأما الأمة : ففي مجموعة هذه الجماعات ، استقامت فقامت بما يتطلبه الوطن وتندفع إليه الحكومات .

حاجة الأمة إليه

لذلك فالآمة في حاجة إلى مثل هذا الشيخ الذي له سلطان من روحه ، وهدى من قلبه ، ونور من بصيرته . يستطيع أن يطب بها القلوب فيشفها ، والعقول فيهديها ، والمرىء المرذى فيدفعه ، والمعوج من الخلق فيقويه ، ولا تستطيع الأفراد أن فهم إلا لغته ولا تتفق إلا بتفافه . ولا تدين إلا لسلطان روحه .

ومن العرب في طبائع البشر ، أن الفرد قد يأتي الرذيلة ، ويحاول جاهداً أن يخفها عن أعين الناس ، وهو عالم أن الله قد

اطلع عليه ، يطبع في حلماته وسفره ، ولذلك يخاف الناس
وغيرات عبودهم . فجعل جاهداً على التستر والاحتياط ، وربما
نعرض له أحد الناس فنرايه بعض ما اشتهر به من نفسه ، أو
ما أشبع عليه من شائعة ، فيدفعها عن نفسه بالمربيده ، ويستعدى
القاومون عليه ، وتنصر بيهما خمرة حادة ربما استمرت إلى آخر
الحياة ، وربما توله عنها مضايقات تليل من ورائها دماء .

والعقيدة الثانية بين الناس ، أن مثابع الطريق قوم ملهمون
نكشفت عن بصيرتهم آثار الغروب فيه يرون سور الله ،
ويغفون على هوى القلوب من خواطر وزمادات ، فإذا أقبل عليهم
مثل ، أو اتصل بهم مرشد . لا يستطيع أن يراني الشيخ ، أو يظهر
له غير ما يطلعه ، فإذا هم بمعية كذلك التي كان يغفر لها في غفلة من
أعين الناس . وينتظر عليها نتر المرأة على عورتها ، لا يستطيع
أن يغفر لها ، أو يذكر فيها ، لأن يدرك أن شيخه مطلع عليه ، فإن
كان الله يسر على عاده رحمة ، أو استدراكاً ، فاك حاص
الصريح . والناس عبده يفالمهم كيف شاء ، وبصرهم عما يشاء .
أما الشيخ فليس إلهاً له حق المغفرة لعباد الله ، وإنما هو عبد من
العبد ، أقامه الله في هذا المقام ليدفع عن حرمانه ، ويدود عن
حسوده ، فهو لا بد أنخذ بحق الله من هذا المرشد الذي آتاه في الله
ونعاقبه على اتباع ما أمر الله به ، وأجتبا ما نهى الله عنه .
هنا يعرف المرشد أنه يعبر على الاستفادة إن لم يكن جباراً من الله

لخياء من الشیع ، وإن لم يكن خوفاً من الله خوفاً من الشیع .
 وقد فلنا إن مبایعه التلیذ الشیع ، معهاها تعلم نفه إله ،
 وما دام الشیع مکتملاً تلك النروج التي ذكرناها ، والتي توعله
 للإمامية والصدارة ، فلا يحور إذاً المرید أن ينصرف في نفس
 ملکها غيره ، فيكون تصرفاً في غير ملکه ، فقارنة الذنب جرعة
 إن وقعت من المرید ، ومصيبة تقع على رأسه . والشیع لا يغوتها له
 لأنها في مقام تعليم وتهذيب ، والتلیذ إذاً أخل بواجهه ، ولم يتوانده
 المرید بهذا الإخلال تعوده ، ومرن عليه ، وقل أن تغيم له
 حال ، أو يراقبه بسخاف .

ومن رحمة الله بمساذه ، أن يكرم بعض المرتدين الأولياء
 بخوارق ، وإن كانت لا تفهمهم هم شخصياً بنتي . فهذا نتها في الحقيقة
 تعود على الناس ، فإن كرامات الولي معهاها شهادة له بأمه حسن
 الصلة بالله . حلب المزرة عنده ، ولذلك جاءه بذلك الشهادة الفدحة ،
 فإذا ما تعارف الناس عليه ، وتعاملوا بأمره ، حجروا إليه متدينين
 ولوأوا إليه راغبين .

وظيفة شيخ الطريق

ومشائخ الطرق من أكابرهم الله بالرفعة . ومسئوليهم بالعون
 وميزتهم بمحاجال الغرب . هو جودهم بين الناس رحمة من الله وفضل ،
 وهدى وهدى .

وَمَا أَرْسَلَ اللَّهُ رَسُولًا إِلَّا وَأَبْيَدَهُ بِالْمَعْزَلَةِ الْخَارِقَةِ، وَالْكَرَامةِ
الْجَامِعَةِ، شَهَادَةُ مَنْ بَعَاهُ وَتَعَالَى بِصَدَقَ دُعَوَاهُ، وَنَعْدِيَّا
لِلْكَابِرِينَ، وَانْصَارًا لِلْمُرْسَلِينَ.

وَالرَّسُولُ صَاحِبُ دُعَوَةِ عَامَةٍ، وَرِسَالَةِ جَامِعَةٍ، وَالْوَلِيُّ سَازُ
عَلَى هُدَيْهِ، فَاتَّمَ خَدِيفَهُ، مَلَعَ رِسَالَتَهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْهِ أَمْئَنُ كَانِبَا، نَبِيُّ إِسْرَائِيلَ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا آنَّ
أَبِيَاءَ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ حَلُوا التَّورَاةَ بَعْدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّاسِ
وَنَشَرُوهَا بِيَنْهُمْ، وَرَفَعُوهُمْ عَلَى أَحْكَامِهَا حَلَاطِهَا وَحِرَامِهَا، فَإِذَا
أَتَقْلَلَ مِنْهُمْ نَبِيٌّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ نَبِيٌّ لَّآخَرُ، حَتَّى أَرْسَلَ اللَّهُ أَكْبَرُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَمْلَهُ هَذَا النَّاهُوسُ بِإِعْجَلٍ اللَّهُ الْكَرِيمُ، وَعَلَيْهِ أَمْئَنُ
الْجَيْشِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هُمْ فِي وَظِيفَةِ أَبِيَاءِ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ، عِبْرَانٌ
هُؤُلَّا، كَانُوا يُبَشِّرُونَ بِالْتَّوْرَاةِ، وَعَلَيْهِ الْإِسْلَامُ يُبَشِّرُونَ بِالْقُرْآنِ
وَلِذَلِكَ قَالُوا: (الْوَلِيُّ بَيْنَ إِخْرَانِهِ كَالْبَيْنِ بَيْنَ أَقْوَاعِهِ).

وَكُلُّهُ عَالَمٌ لَا تُطَبِّقُ عَلَى مَنْ تَعْلَمُ الْعِلُومُ وَتَبْغِيْرُ فِيهَا، وَعُرْفُ
ظَاهِرُهَا وَخَافِيْهَا، وَنُطْقُ مَعِ القَاتِلِ:

وَعَلِمْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلَ وَاحِدًا

عَنْ حَرْفٍ وَاحِدَةٍ لِكَيْ أَرْدَادَهَا

إِذَا اتَّخَذَهَا زِيَّةً (وَرَثَوْنَا)، وَمَطَابِيَا نَقْرِبُهُ إِلَى النَّاسِ، أَمَا
الْعِلْمُ بِهَذِهِ الْعِلُومِ، وَالْاِنْتِفَاعُ بِمَا فِيهَا مِنْ نُورٍ وَهُدُىٍّ فَآخِرُ مَا يَفْكِرُ

فيه . بل ربما لا يذكر به إطلاقاً ، ولا يجتمع نظر إلى الناس
ونظر إلى الله في أفق واحد فما ذلك هم «المعلمون» . بشدید اللام
وفتحها لا العطا .

أما العطا فهو العاملون بعلمهم الواافقون على حدوده ، النافعون
الناس بهديه وبما فيه من أحكام ، هؤلاء هم الذين قال الله فيهم :
(إِنَّمَا يُخْسِنُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعَطَا). .

قبل الشیخ محمد عبده رحمه الله : إن فلاناً حفظ صبح الخاری
كله عن ظهر قلب ، فقال : وما في هذا ، لقد زادت نسخة في البلد .
وحقاً ما قاله الشیخ محمد عبده ، فإن إنساناً يحفظ أحاديث الخاری
وسلم وساز ما في الكتاب ستة متناهياً إليها القرآن الكريم ،
ولا يعني ما حفظ ، وإن وعي لا يتعلّم بما يعيه فليس في شيء ، ولا
يهمك من الرجل أن تلقاه قوله فيجئك من فوره يا جائحة صحابة
وإنما الذي يهمك منه تأثره بما علم ، وظهور نوره عليه ، والعلم
أخلاق قبل كل شيء ، فلن ذهب خلقه نقص دينه ، ومن نقص
دينه فلا فائدته يعلم .

إليس أعلم أهل الأرض قاطنة وناس تلعله في البر والبحر
ولا أزيد من قولى هذا أن أقصر وخطفه الإرشاد على متابع
الطرق وحدهم ، فهناك كثير من علماء عاملين ، ووعاظ راشدين ،
انخرطوا بين الناس ، فأعادوا الناس بعلمهم وهديهم ، بل بالعكس

مكمل من كان في قيده أهلية لهذا العمل ، وتوافرت فيها الشروط التي توافر في الشيع الكامل وتقاعس عن الإرشاد والتذہب ، فإنه يكون متولاً عن ضماع ما حمل من أمانة بين يدي الله .

يقول الله تعالى في آياتين كثريتين ، أولاهما : (ولتكن مكمأة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المكر) ، وثانية : (فلولا نظر من كل فرقه منهم طائفة لينتفعوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحفزون) .

من ذلك شدد الله سبحانه على أرباب الهدایة ، وعنة الدين ، والقادرين على نفع الناس في عاجلهم وآجلهم بألا يخطوا على الناس بما فهموا الله من الدين ، ودرزتهم من المعرفة ، وكيف يكون ذلك والرسول يقول : « لئن يهدى الله بيك رجلاً واحداً خيراً من الدنيا وما فيها » ، ولقد بعث صلى الله عليه وسلم بكثرة جليلة من فقهاء الصحابة إلى أطراف الجزيرة العربية كالبيه ، ونجد ، وشوشان ، الخليج ، ليترسوا الناس ، ويشفواهم ، ويعلّموهم أصول الدين وقواعد الخلق الكريم . ولقد كان شيخنا رضوان الله عليه فيما يحتوي كله المجل في مضماره ، المخلق في آفاقه ، السابق إلى غایاته ، والفارس الذي لا يشق له شق ، فاقرأ إن شئت ما صلته عنه في أبواب الكتاب ، وأعدك بأمثلة تخرج من هذه القراءة حاسراً الرأس بمحاجيّها بهذا القطب الغريب والشیع الرشيد .

رسوخ قدره

إذا تأملت ما فصحت عليك مما يجب أن يتحقق في شيخ الطريق من شروطه . وما ينبغي على تلك الشروط من أهمية للأمة والناس ، لرأيت أن شيخ الطريق عمادة قوية في بناء الدنيا والدين ، وسد مكين لصلاح حياة الناس في عاجله وأجلهم .

وشيخنا الذي سلامه حن الراضي رضي الله عنه ، في هذا الميدان سابق المحتلي ، والنجم المباني ، والعلم المدال . فكل نواحه غيبة متبعه . فإذا أردت أن تثبت منها قصرأً لموجدت الأجر والجنس ، لترفع به عاديتها كاملة .

أما أنه ترقى بخشي الله . فخذ هذه الصفة من كلامه رضي الله عنه في بهذه جهاده ، وكيف أنه لم تأخذته سنة في ليلة قام فيها إلا في حججه عند صلبه الصالح ، ولم يطوه نهار إلا وهو طار على معدة جوفه . وكيف يشع من بصوره من السنة ثلاثة أيام يوم ، وإنه ليحمل فوق هذا الجهد المر انتقالاً من الأمراض تزف دمه زفافاً . حتى أصبح وكأنه انتقض من قبر كما يقول رضي الله عنه ، ومع ذلك فقد طالت به المدة ، وكلما حاول الرهط من أهله إرجاعه إلى المورى اندفع بكلبه في هذا الطريق الغليظ .

ولأنه يكفي الإنسان لأن يكون تقياً أن يتعد عن الآثام ، ولكنه كيف يستطيع أن يغير نفسه ، ويغلب شهوته ، إلا إذا

استمر قلبه الحزيف ، ولا ي تلك هذا إلا بالمداؤة على طاعة شافية
ووقف طويلاً على سدة مولاه ، ولقد جاهد شيخنا ورضي الله عنه
جهاداً استقله عليه حتى والده ، مع أنها في التقوى والصلاح
على عرق ودين .

وأما أنه ذو خلق فهذا طبعه وحياته ، كأنه حلق من عناصر
الفضائل والكمال . ويكتفي تدليلاً على هنا تلك الأمواج المتلاصنة
من تلاميذه ومربيه ، يقول الله سبحانه وتعالى لبيه الكريم :
ولو كنتم فطلاً غليظ القلب لانقضوا من حولك ، وهذه الكلمة
الكثيرة من الفتوح حوله ، ومترا في ركب أكبش شهادة على ما كان
يسمع به من خلق كريم ، وفضل عظيم .

وأما أنه بعلوم الحقيقة والشريعة أبصر ، وبهـما آخر ، فهذا
لا ينكره عليه قريب سمع منه . أو بعيد فرأله ، فهو البحر العسق ،
والقاموس المحيط .

لقد يكتفي الإنسان من حياته التعليمية كلها أن يلم بمعارف
مذهب واحد يبعد عليه ، أو يرشده ، ولو أعم النظر في دفائنه ،
وألاحتظ بها لكان ذلك متى أمه ، وربع نسـه . وكيف وشيخنا
رضي الله عنه ما كان بذلك عن ذاكرته شاردة من مذاهب متعددة ،
مذاهب درست وصنعت في طيات السين ، يظهر أصواتها ورسواعـب
أحكامها كأنه أخذها من قمـه وأضعـها مـشافية وـمجـاهـة ، فلقد يـمـعـجـ

حكماً من أحكام الشريعة على مذهب ما ، فيدعوه هذا إلى أن يأتي
بآراء أصحاب الآراء من الرجل الأول إلى المذاهب الأربع السائدة
مبيناً الأصول التي بنا عليها هذه الآراء .

فإذا كان علم التوحيد : كان البحر في عابه ، والشہد في مذاقه ،
والروض يعطي النظر الواناً ، والعطر أناصاً ، وكم من معضلة جنی
أمامها الفحول ، وانجحى عنها المخلعون ، فصلها تفصيلاً ، وردتها
ترتيلاً ، ورفعها إلى العقل في وشي مصقول ، وقول معقول . وإنك
لو أسلدك الطالع ، ورأيتك الحد ، خضرت عليه وسمعت منه ،
لونب إلى ذهنك قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :
«إن في أمتي ملهمين » .

تلك هي علوم الشيخ التي كانت مادة درسه ، ودراسة مدرسته ،
ودفتر اعداده ، وخطاها طبناً . وصفاتها تصفية ، ومقاصها تلاميذه
روحاً وروحًا ، وشراباً يشفى ، وأنوار بها بصائرهم ، فكانت الماءات
من الغائبات ، والمنفذات من المرذبات ، والإقالة من الكبوة ،
والنهوض من العزة . وهل أهدى من علم يرى إلى الروح في صفيفها ،
وإلى القلوب فيجلوها . وإلى العقول فيحيمها من شطط الإسراف ،
وعلويات الانحراف ، وإلى الشعور فيرقط فيه وعيًا كريعاً ،
ونظرًا سليماً ورأياً سديداً .

ما كان العلم عند شيخنا كلامًا يقال ، ولا حكماً تخفيظ ، ولا قواعد

وأصولاً ، وإنما كان العمل دراءً لمريض ، وطريقاً لمربيه ، ونوجهاً
لخلاص ، وبذلك انتفع به العلامة ، وارتوى بفتحه الصراحتي ،
ونجا به بيه الواصلون .

وأما زهذه في زخارف الدنيا ، فقد كان رضي الله عنه أمثل
الكامل في هذا الباب ، يضربه أسلامته ، في مأكله ، وملبسه ،
ومطريقة معيشته .

أما في مأكله : فقد كان يمكنه بالغير من المعلوم ، والوجود
من المأكول ، والماضر عا في البيت ، لا يقترح شيئاً . ولا يميل
إلى كفة ، ولا يسرف فيها يقدم إليه . فربما أغاثه الوجهة الواحدة
في يومه وليته ، وربما كفته كسرة مادوية بالثافع بين طبقات
الغلاحين ، أو المألف بين العمال الغفراء ، على بأنه رضي الله
عنه كان منور الحالة ، وفوق متوسطي الدخل .

والحكمة في هذا ألا يضار قبره بفقره ، ولا ينحط حدود
على حظه ، ولا يشعر محروم بفضاعة دخله ، أو تقاهة دنياه ، هذا
عن جهة . ومن جهة أخرى ، أنه بعدد إلى ذلك ليعرف الناس أن
الدنيا ليست في أكلة طيبة ، أو بذلة حسنة أو فخر متيف ، ولكن
الدنيا وجدت لشيء آخر ، هو كعب يوصله إلى نعيم الآخرة ،
حوزق بيودى به إلى رمضان الله ، وليس ثمة فارق بين الفضة

الثقبة واللقة الحفيفة إلا عقدار ماتلاه بين الماضين ، فإن
نربنا في بحارى الأمعاء تساوتا كما وكيفا ، بل ربما كان فى الحففة
الغباء ، وفي الثقبة العنا ، بما تحمله من رواب ورهاق الغدد ،
وتعنى إفرازات البطن والأمعاء . وعلى ذلك فما سمعنا بغير بشكوى
العنة ، وبمعالج الكحة . ويتعدد بأمعائه وأوجاعه على الأطافل .
يقدر ما نرى ذلك متواافقا في أصحاب الموارد العادرة . والأطافل
الخالفة يخلو الطعام وشهي التراب .

**والحكيم من اقصد ، والخبير من تخفف : فأطهول الناس
أعماراً أفلهم أمر أهلا ، وأنفهم أممأ .**

أما ملبيه ورضي الله عنه : فقد كان بعيداً عن الزاهي المنظر ،
أو الوعني المزخرف . فهو قائم من قطن عليه جهة من الصوف من
سيج قاصد . وعزل مناب . لا يتلف حالا ، ولا يأخذ عينا ،
ومالعونمة النبات ورقها : فكل مادفع من برد ، أو أظل من حر
بكفيه ، فإذا جدد ثياباً خلع ما عليه على هغيره أو محروم ، وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الترب الواحد أو الثوبين ،
فإن فسده سائل نزل عن أحدهما .

والتفاني في الرياش يدعى المروء إلى النظر إلى نفسه ، وشدة
الحرز عاقد يحمله الهوا من غبار ، فربما كان في طريقة والصلة
فانه في مسجد ، فلا يلوى عليها مخافة ما يصيب بنايه من بليل

الوضوء، وتكسرها في الركوع والسجود، فيؤخر فريضة عن وقتها إن كان في عيال حتى يرجع الماء بعده. فيرجع ملابسه العالية على مشجب، ثم يأخذ في العمل للفريضة المفروضة والخاضرة جميعاً، هذا أمر بعلم به كليل من ليس جديداً فيها، أو غالباً متوفقاً. وكما دببا تغوت دبباً فهي «المعونة»، وكل نعمة تشعل الوعي في تقديرها.

وأما طريقة معيشته رضي الله عنه، فكانت بسيطة سهلة، لا ترکب فيها ولا تعقد، فربه الشهري من عمله منقسم إلى حزتين، حزرة لصالح أسرته وجزرة هر صود لصالح إخوان الطريق المغاربة الذين يختلفون إلى بيته.

وهل كان يستطيع أن يفعل غير ذلك : إخوان من أهلاه
يعيشون وقدروا عليه واتخذوا داره سكنآً مدة إقامتهم، فهو يجب أن
يطعموا إذا آتوا إلى مخادعهم، ووجب أن يطعموا إذا بسطوا
من مسامهم، والواطفون متلاحقون، لا يتقطعن لهم مدد حمروالله،
والشيخ في كرم الحر، وشهوة الدهر، فما الفتى يعوقه عن إكرام
الضيف، وسد عوز العزييل.

هذه هي نزعة الشيخ رضي الله عنه في مصاحبة دنياه، يابطة،
وهو له، لا تجعل فيها ولا بإعداده،

وما هي الدنيا التي تلتف ووعي أصحاب الهمم، وتشعل بالـ
 أصحاب المقامات، إياها كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

• لو كانت الدنيا تزن عذ الله جناح بعوضة ماسق الكافر منها
جرعة ماء ..

أما هُرْيَفَةُ فِي التَّرْبَةِ، وَهِبَتِهُ فِي النُّفُوسِ وَمَكَانَهُ فِي الْقُلُوبِ،
نَفَدَ أَفْرَدُهَا أَبُو ابْنَ خَاتَّةٍ فِي الْكِتَابِ فَأَرْجَعَ إِلَيْهَا.

ويق أن نعرف مكانة الشيخ رضي الله عنه بين الناس ، ومدى
نأزهم بأخلاقه وصحاباته .

كان شيخنا رضي الله عنه ، القلم الأشم ، والمذكرة المعاذية ، واللغز العائم . فما يجعل محله ، أو ينزل مكاناً في قرية أو مدينة ، حتى يأخذ آفاقها طرائف كأرجال الجناد يغزو بعضها بغير بعض ، حتى تغلي القرية بالواهدين . وتنطبق ساحتها بالزائرين . وينتقل إلـهـ الطالبون . فهذا نقـلـ قد طـلـ بالـ مقـامـ بينـ المـعـاصـيـ وـ الـأـنـاءـ ، وـ غـرـبـ عنـ وجـهـ شـمـسـ المـدـاـيـةـ ، فـ هـوـ يـخـطـ فـيـ دـبـحـورـ لـامـقـدـ فـيـهـ مـنـ نـورـ ، وـ يـخـطـ فـيـ لـبـيـ سـاقـطـةـ وـ اـحـيـهـ حـسـرـيـةـ سـيـاـزـهـ ، بـيـنـ شـعـابـ مـنـ الرـذـائـلـ تـخـدـ أـنـفـاسـهـ ، وـ تـقـطـعـ بـاطـ قـلـبـهـ ، وـ هـوـ يـنـتـظـرـ جـنـآـ مـشـرـقاـ يـكـبـحـ تلكـ الحـجـبـ المـقـةـ ، وـ الرـزاـياـ المـنـاقـطـةـ مـنـ سـيـاـهـ ، وـ النـابـعـ مـنـ أـوـحالـ أـرـضـهـ . فـإـذـاـ فـغـرـهـ هـذـاـ الذـىـ يـنـتـظـرـهـ يـتـسـقـعـ مـنـ غـرـةـ ، أـبـوـ حـامـدـ ، شـيـخـنـاـ الـكـرـمـ ، فـيـأـخـذـهـ مـلـ الـاحـسـانـ ، وـ يـسـكـنـ فـيـ هـائـجاـ وـ قـدـهـ ، وـ يـسـعـ عـنـ عـيـنهـ هـنـونـ الدـمـوعـ ، وـ يـعـدـهـ بـأـنـ التـوـبـةـ تـسـعـ الـحـسـنةـ ، وـ أـنـ أـنـهـ غـفـرـ رـحـمـ ، وـ النـافـعـ مـنـ الذـىـ كـنـ لـاـذـبـ لـهـ ،

فإذا هذا المترىع في أحضان الشيطان يات وأصبح في حمى الورجن ،
إنساناً كريراً الخلق ، صاف القلب ، حلوا اللقاء .

وهذا قد تألىت عليه الحياة ، واصطدحت عليه الآواز ، فلابعد
كما أوغل في مهادن الحياة إلا بماً مسدوداً ، أو همّ مصوّباً ، فإذا
الشيخ رضى الله عنه يهون ما به ، ويصره بما يحب أن يأخذ فيه ،
فإذا هذا المرذّل في حياته ، طيب النفس فرير العين ، ولم يدرك الشيخ
بماً من أبواب الإصلاح إلا سلكه ، فقد دخل بين المرء ونفسه .
فقوم عائله وقريباته ، وظهره من الأرجاس والأديان . ودخل
بين الأسر ، فنى منها ما تتصدع ، وأقام ما تهدم ، وأصلح ما بين الزوج
وزوجه . والأبواء وأبناءه ، والأخوة وأخواته . والجوار ومن جاوره .
ودخل بين العشيره ورئيس العشيره ، فوفق بين القوب ، وأزال
ما تشيب من خلاف . وضرب على أيديهم جياعاً بعد الوفاق . ودخل
بين الرجل ووجه كنه ، فصره بالرذق الحلال ، والريح الحالص .
فقال للناجر : لا انطق كيلاً ، ولا تبغس وزناً ، ولا تخكر حتفاً
يعحتاج إليه المحتاج . ولا تدلس في سلعة ، ولا تخفي عياً في مباع .
وقال للزارع : من أرض جارك ، واعته إن تغير ، واجعل عه إن
وهي ، واقتصر في ثقافتك . واجعل لفكك مر جعاً من المال مدخراً .
وقال للصانع : عليك بالآمانة فإنها رأس النجاح ، وجودة الصنعة فإنها
رأس الفلاح ، والصنف في القول والفعل ، فإن الصدق حلبة الصانع
وميزنة العامل . وقال للعامل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لأن أحد أحكام حبله بمحظى خير له من أن يسأل الناس أخطئه أو هم عدوه . و قال للرسول : أداء الأمانة على وجهها وأقيم نهاد حبلك ، وأعلم أنت في عمل المرسلين . و وظيفة المرشددين ، فاتق الله فيمن أنت عليهم قوام . و قال للطيب كذا قال للبسوس كذا قال للحلف . حتى أحدثت نعائده رضي الله عنه مكانها المشرق . و موضعها المغار في طور الناس . لعد حارب شيطان النفس فعله ، و طاغوت الشرور فهزها ، و حال بين المرء و نفسه الأمارة بالسوء .

كم من مصطفى يأخذ في غلاب الرذيلة قد حل وناقه ، وساز في طريق العواية أخذ عليه طريقه ، وراكب من الشيطان خطفه من سرج الشيطان وبائس من رحمة الله أمه من خصب الله ، وناكس على عصبه ، وجهه إلى الصراط المستقيم .

و من طريف ما يذكر . أن شيخاً رضي الله عنه كان محبوبياً حتى من هؤلاء الشعارات قاتلها الطربون . فكان إذا زر قبرية من قرى الوجه الحمرى أو القلي . أضرب المتصور عن عالمهم ، و عطل المفتد أذوات مقاصده هادماً الشيخ مفياً في هذه الأرض .

و قد حدث أن كان الإخوان فاسدين زيارته حضرة الشيخ رضي الله عنه ياحدى القرى فنضر من لهم المتصور ، وما إن عرفوا مقصدتهم ، حتى هامت قلوبهم إلى الانضمام إليهم ، فأصبحوا إخواناً .

بالإنكار ثول بالوها لما نفسيهم ياعروها
 ونفسيهم حلقة وطيبة لما داوروها وصفوها
 سموا تغويتهم وارناحوا وسلوها مولاها
 واللي تكون نفسه حامنة يحب ويفضل وبها

طريقة الشيخ المحجة

العمل في لنظر الشيخ رضي الله عنه ليس أنيب مطلقاً فوصل إلى الله ، فقد يكون العمل للظهور ، أو للشهرة أو المالك ، ومهما كان خالصاً له فإنه لا بد أن تدخل فيه النفس ، وإذا دخلت النفس في عمل من الأعمال كان العمل حظ النفس ، ومتاع الحس ، فلا يصرفه شيء إلى المقصود المعمود ، لأن الله لا يحب إلا العمل الخالص له ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما الأعمال بالآيات وإنما المالك أمر بي مأوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهو هجرة إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا بعثتها ، أو إلى امرأة ينكحها هجرة إلى ما هاجر إليه ..

لذلك كان المالك إلى الله بأداء الفرائض والتواقيع طيب ،
 المالك في طريق محفوظة بالأخطار . لأن العمل إن لم يتعوه دافع قلبي ، وحب كلبي ، زادونفس ، وربما شعر وتحفظ منه الآخرين ،
 وربما أصبح عادة . ومني حال إلى ذلك لا يغير فيه ، ولا جدوى

وراءه ، لأن الفرائض المفروضة ماضي إلا مطابقاً توصل إلى الله . فإذا فرغت من روحها . وفترت عن حبها . لم تنتقل بصاحبها خطوة إلى الأمام . يقول الله تعالى : « إن العلاة تهى عن الفحشاء والمكر ، فإذا شاهدنا مصلباً مكث على صلاته أربعين سنة ، ولم تمه عن فاحشة ، أو تبعد عن سكر ، علينا أنه إلى الآن لم يصل . وإن أدى جسمه ، وأورم ركبته ، فالعادات تذهب وإصلاح ، لأنكال واللوان . أما الحبة فعندها استدامة الحبوب في قلب الحب ، فهو مشغول به . ساكن عمه ، مقطع عن غيره . لا ينظر إلا إليه . ولا يرى في العالم كلها من بدايه حنا وجلا ، وصفاء ومه ، حتى أنه يود لو يزوي عن الخلق فلا يكلم أحداً ، لأن له لافتة له من وحي تحسن مخاطلة المخاطب . أو نفهم عنه قليلاً أو كثيراً ، ولو شاء أن يخلص إلى غير حبوبه لما استطاع . لأن عبوبه جار في دمه . سار في روحه ، اسمع إلى محظون بني عامر في بلاده حين يخاطب قلبه بهذه الآيات :

أليس وعدتني يا قلب أني إذا هاتت عن ليلى تائب
فها أنا تائب عن حب ليلى قالك كلام ذكرت تذوب
والحب الطامن يجعل دانماً لمحبوبه . وبعذر الخنزير كله من أن
يعيب عليه الحبوب تهناً يكرهه فيه ، أو عياً يلطفه عليه ،
فيهره ويقلبه . لذلك نجد الحب دانماً مقيداً بمحبوبه نازلاً
تحت أمره ، ليناً لإشارته ، خاضعاً لقوته ، راجياً بأحكامه .

يُنْعَذُ الشَّاقُ وَيُنْطَعِمُ الْعَذَابُ إِنْ كَانَ فِي هَذَا قَرْةَ عَبَّهُ :
عَلَى إِذَا مَاجَتْ لَبْلَى بِأَرْضِهَا زِيَارَةُ بَيْتِ اللَّهِ رَجْلَانِ حَافِيَا
إِذْنَ فِي أَنَّهُ عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي رَسَّخَتْهَا عَيْنَةُ الْغَابَاتِ ، وَخَنَامُ
الْعِبَادَاتِ . وَلَا تَقْنَى أَنِّي أَحَاوُلُ أَنْ أَصْلِي الْحَجَةَ عَنِ الْعِبَادَاتِ ،
فَأَفْضُلُ الْأَوَّلَيْ وَأَتْرُكُ الثَّانِيَةَ . كَلَّا ، فَالاِنْتِنَانُ مَتْلَازُ مَنَ ، وَلَكِنْ
الْحَجَةُ أَلَّا سُرُّ الْعَلَمِ ، فَإِنْ عَرَبْتْ شَهْرَهَا أَدْرِكْتَ الْعَنَارَ .
وَهَا أَنَا ذَا أَسْرَدِ عَلَيْكَ مِنْ قَوْلِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مَا فِيهِ
الشَّفَا ، وَالْغَاءَ .

قَالَ شِيخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ، عَلَمَةُ أَهْلِ الْحَجَةِ الْهَبَامُ ، وَغَيْرُهُمْ
عَنْ رَفْوَيْةِ الْأَنَامِ . وَمِنْ أَحَبِّ وَلَمْ يَمْسِ فِي رَحْنِ الْأَحَادِيبِ ، فَإِنَّهُ
مُدْعِ كَذَابٍ . وَمِنْ أَحَسِّ بِتَقْلِيلِ الْحَجَةِ ، لَمْ يَذْقُ مِنْهَا وَلَا حَجَةً . وَمِنْ
تَأْسِفُ عَلَى غَيْرِ الْحَبِيبِ ، لَمْ يَكُنْ لَّهُ فِي الْحَجَةِ نَصِيبٌ . وَمِنْ كَانَ فِي
قَلْبِهِ حَلْلٌ لِغَيْرِ الْمَحْبُوبِ ، فَهُوَ بِذَلِكِ الْعَيْبِ مَحْبُوبٌ . وَمِنْ وَصَلَ إِلَى
حَبْقَةِ الْحَجَةِ شَاهِدًا كُلَّ ثُنُونٍ . يَقْلُبُ كُلَّيْ بِالْحَبِيبِ ، وَيَأْتِي أَنْ يَنْظُرَ إِلَى
حَالِ مَحْبُوبِهِ . فَلَوْ شَاهِدَ غَيْرَهُ سُلْبَ مَقَامِهِ ، وَإِذَا تَحْقَقَتْ بِالْحَجَةِ
زَالَ كُلُّ حَائِلٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَحْبُوبِ ، فَلَا يَرِدُ عَلَى قَلْبِكَ خَاطِرٌ ،
وَلَا هَاجِسٌ ، وَلَا شَكٌ وَلَا وَهْمٌ ، وَلَا قُلْعٌ وَلَا زَرْكٌ ، وَلَا شَيْءٌ
يُخَالِفُ أَمْرَ مَحْبُوبِكَ ، وَكُلُّ خَلَافٍ بِرَفْعِ الْاِتْلَافِ ، وَمَنْيَ وَجْدٌ
الْحَائِلُ فَلِلْحَبِيبِ زَانِي ، وَمَنْيَ وَجْدُ الْعَيْنِ . فَهُوَ حَائِلٌ بَيْنَ الْاثْنَيْنِ ،
وَإِنْ يَبْيَنِكَ عَيْنُ غَيْرِ بَنِيكَ ، وَذَلِكَ بِغَوْيَ بَشِيرِتِكَ ، وَتَنْكَافِ بِهِ

أبنتك ، فلو توحدت في المحنة ارتفعت الإنبية ، وارتفاعها يمحو
إرادتك بيارادته ، وقدرتك بقدرته ، وعلمه بعلمه ، حتى يكون
الأمر كله له ، فلا تزاع ربك فيما هو له ، وما تشمون إلا أن
يشاء الله . وفي ذلك كله لأنخرج عن محض عبوديتك برجوعك
إلىحقيقة إمكانك الثابت لها الفقر والاحتضار . والغاية لولاك ،
حقيقة محنتك لولاك خروجك عن دعواك ، واقفه يتولى هداك .

هل سمعت جرس هذا الكلام ووعيه ، إنه لم يكن كلاماً
يسمع بأذن ، ولم يكن سخواراً تقرأ بعين ، وإنما هو أنوار تشع في
القلب ، وحكم يحيطها العقل ، وعفة رباتية تسري في الروح ،
وعلوم خضرية تأثر من حياة الخاتق إلى عالم الظهور . هذا هو
الحب كما يقرره الخبر الأكبر ، والاستاذ الأجل ، والعالم الواعظ .
حثاً ، إن من أحس بتأثر الحبة لم يدق منها ولا حبة ، لأن المحنة
ليست تكتيفاً تأثيرها النفوس ، ولا توجيهاً ينفل على القلوب ، وإنما
هو شيء إذا خالط القلب كان قلياً ، وإذا مس الروح صار روحًا ،
وإذا دار في الدم كان تفاعلاً . ووجودنا وهمنا . هو ليس ثابتاً
منفصل عنك تقربه وتبعده ، ولكنه وحدة قلبك وروحك
ودمك ، تتطرق به وتشعر ، وبه تغدو وتزور ، وإذا تحققت المحنة
زال كل حامل بيتك وبين المحبوب ، فلا يرد على قلبك خاطر ولا
شاجس ، ولا شئ ولا وهم ، ولا فعل ولا ترك ، ولا شيء يخالف
أمر محبوبك ، صدقت بما هي في الجيل وبحير الأسرار .

إن كُنْت سمعت هذا الكلام وروعيه ، فاسمع آخر خبره فإن
 الخبر لا يقطع له مدة ، ولا يخو له الجح . (إذ لما اتَّقِيتَ إلَى
 الطريقة الشاذية) على أن مشرب أهلها الحبة ، إذ أنها بنت
 على ذلك لا على المواجهة الشاقة ، وتحصل أعباء التكاليف والتصميم .
 فتشتت بأهل الحب . من أهل هذه الطريقة العلية ، وكُنْت أهيم
 شوفاً إلى محبوبي ظناً ميَّاً بأن هذا هو الميام الذي يشيرون إليه ،
 ويعدوون عليه ، ولذلك لم أشعر إلا والمحبوب قد أُمطر على قلبي
 وجسمى أنواع اللاء ، فكاد قلبي أن يتقطع ، وجسمى أن
 يتعرق ، وكيدى أن ينفت ، فرضحت خدي على ثرى أبواب
 محبوبي ، وأزالت الموعظ من عيون قرنيا المالي في هوى
 عليك الحال ، وصرت أستعطف المحبوب بخلو الكلام ، وأظهر
 ذلِّي بين بيده ، وأنا خاضع لأمره ، صار لحْكه . وفي كل ذلك
 تعرادف على اللباب ، وأنا أعدها هداباً ، وأنها من المحبوب عطاباً ،
 والمحبوب لا يعبرني نظرة ، ولا يسعف بلحظة ، ولم أجده غير
 السير نافعاً في بحثه . هو حطت نفي على الصراحت ، عسى أن
 يعطف على المحبوب ، وبغرب عده إلى بابه ، ما كون لديه
 خرباً ، وصرت لا أختلف ولا أحن إلا إليه ولا أبكي إلا عليه ،
 وكل كلام يطرق سمعي أحده يدل على محبوبي ، فما هي بكل ناطفة ،
 ولا انظر إفطاراً ، لشرب الراح انتظاراً ، وما سمعته مما يدل على
 الميام في المحبوب كلام موزون ، باهله عين الحبة — والجواب

فون — فان كت ما ، فاقهم كا فها ، وان لم نكن معنا ، ولم
نفهم المعنى ، ملا علينا ودعا ، وما عليك إن تهلكنا ، فعن إن
نهلكنا على المحبوب لاملام ، وكل يوم على المحب حرام .

كلا وافه لالوم ولا ترب ، فاكروع منها راحاناها ، وامثل .
منها وردأرويا ، فقد خاطتك ليل في مجال حها . فوجئتك
المجلى في ساء المجال ، خلطتك لفها ، وأودعوك سرها .

يا فرحني سمع المحب وزارني
وبيكته بين الأحنة حسني
وصفا الوداد وطاب وقى باللقا
والحب هنار وبه أعزف
مسكت من طريق بخلو مقاليه
وفضلة الكاس المروق رشى
ناديه زد يا جبل من الصفا
فأمالى بين الدمار وغضى
محبته لله

شيخنا رضى الله عنه أكفر العارفين حاته ، وقد تكون
زمعه تلك جهة طربة ، ولدت معه ، ونشأت مع طور حياته ،
حتى ثمت وترعرعت في قلبه الكريم ؟ ألم تعرف منه عن تلك
العلوم التي كان يأخذ فيها ثانية في المدارس العامة ، ورأى أنها

لاتشع رغبته ، ولا تنسى مع مbole ، فصدق عما . وراحت
نفسه التواقة تبحث عن عذراً آخر يجد فيه حياته التي يهوى أن
يعيش فيها قار العين هادئاً الضمير . فلما وقع عليه . وعرف
مفتاح طلسه . فتح هذا الباب الذي أوصله إلى سعادة الدنيا
والآخرة .

نذكر أنه الحق بهذه المدرسة الرزابة الإلهية القدية ، وتنقى
فيها علوم الكشف والأسرار الرحمانية ، على بدأياته صروا
أنفسهم للخدمة في حضرة القدس ، وللتلقين معارفهم الدينية كل من
كان عنده استعداد لتحمل هذه الأمانة العالية ، التي لا تخوم إلا
في آفاق رجاهها ، ولا تلين صعوبتها إلا لفروق أربابها ؟
لقد شعر رضي الله عنه وهو في سق العطان عن سعادته ،
وكشف عن ساقه ، يعلم ويعمل ، ويكتس ويروح . في هذه قوية
وعزم وثاب . . .

لقد أضى جسده ، وأسرى عينيه ، وأطال ليله ، وأزعج
رأيه ، في صلاة وقيام وصوم ، ذاكراً ربه . طال أرقاده . وناهيك
باب يذكر الله في كل ليلة اثنى عشر ألف مرّة بصحة ، لا إله
إلا الله ، فإذا ارتفع النهار ارتفع على صائم طاو . يفرج من عذيم
الإبعاء . وكان الله أراد أن يتللى هذا العزم المتوف . فاق
إليه مرض البواسير ينزف من دمه ، ويهبه من حوله ، ومع ذلك
 فهو الصابر المحتسب ، والصائر المحتصل ، حتى لقد هم أبواء أن يأخذوا

عليه سبله ، وقطعها عليه طريقه . وهو ما من لا يلوى على كلة لعذول ، أو شحنة حاسدة . أو استماع إلى غير . حتى إذا طوى الأبرام وقطع النين في تلك المشقة الشاقة . والجهاد المريض . ولم يصل إلى المرغوب المطوب . لم يأس ولم يتغم . ولم ينفع نفسه لطرد ماجده . بل عدل إلى طريق آخر ينقض المهمة التي ابتدأ بها الجهاد . إنه من هطلاط الحقيقة ، والحقائق غالبة لاتصال من حوله أو جوئلتين . بل لا بد لها من عزمه تقد المجر . ونصر الخديج . وكيف يلين العالى لقوته عابرة ، أو تدعى السراء نظره خاصة ، بل هو الجد ككل الجد . والتوفيق من عند الله .

هذه الروح العالية ، والمهمة المائية ، التي ابتليت بأهوار الاجهاد وأفقال الامراض . ومن وراء كل هذا شحنة الحماد ، ونصر الأصحاب وفالة الموه . تصب عليه من جميع أقصى أرجائها . فنافعه لفأ وتنشره نشراً .

ولتكن الله سبحانه أرحم وأكرم من أن يعرض عبداً قطع إليه الفيافي الناصحة . والبواudi الشائعة : والطرق الشائكة : حتى إذا طرق بابه ردته بالحرمان .

لقد وصل شيخنا إلى ربه . ونزل في حضرته . واستقر في مكان أمه . وما بعد هذا إلا الليل القدسية . والأوسمة الورانية . والعيونات العرتبية . ودرجات القراء بين حب ومحبوب

لابرال عددي يتقرب إلى بالتوافق حتى أحبه ، فإذا أحبته
كنت بصره الذي يصر به ، وسعده الذي يسعده به ، وبيده التي
يعطى بها ، ورجله التي يعنى عليها ، صدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيها روى عن ربه سبحانه .

لقد طير قلبه من شوائبها ، ونثرت روحة من جوانبها ،
وصحفت نفسه من شواغلها ، فلم يقم بيده وبين حجوبه حائل ، ومن
كان كذلك كان أهلاً لأن يتغيل ورثراه في أفق مكان ، فكان
قلبه يبت ربه ، وأكريم يعبد جاور مولاه .

إن شيخنا رضي الله عنه أحب الله عنه ، لا يخوف من نار ،
أو طمع في جنان . وكيف يكون غير الله هدفاً لقلبه ، وهو
لو جمعت له جنات الخلدين بما فيها من حور وولدان ، وروح
وريحان . وفاكهه ونخل ورمان . ما أرقى ذلك إذا لفته عن
حجوبه لحظة من نهار .

إن الله جل نقاوه عجيب لذاته . وهو جدير بأن يحب لذاته
 فهو الذور ، والجمال ، وغريب أن يستبدل بهذه كل ماحلقه لآنس
وجان . وما فطره من حسن ولحسان .

إن القلب الذي يعيش في الحسن حالياً . والجمال رائقاً ،
والنور زاهياً . لا يستطيب أن يتخل إلى غيره لته بطن ،
أو تربىع نظر . أو اعتلاء حسن . في جنات معروشات .

إلا إذا سأله الغرب ، وشرف الراقي .

لذلك كان حب شيخنا أنه جاً خالصاً ، لا يزاحمه مراحم عن
أعراض الدنيا والأخرة . يظهر ذلك في كلامه إذا تكلم ، وسخانه
إذا سجح ، وقوته إذا قام ، ومحبوه إذا همع .

يكلم ويفهم بذلك ويرد عليك ، وهو مشغول بحبه ، مشرق
بنفسه ، غافل عنه ، في آنوار ربه . هذه مرتبة لم يستطع أن
يعرفها مثل ، ولا أن يكتبها ، ولا أن يتبينها — فإذا فلت بها
فكم عرف مكانه على حربطة تقريم البلاد . وربما أحست
الوصف ، وأسلوب المفظ ، ولكن ليس التكحل في العينين
كالكحل . في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي مررت
آنفاً حاكياً عن ربه . إن الله إذا أحب عبداً ، كان عليه وسمعه
وربده ورجله . فإذا خطأ العبد فرسوله ، وإذا نظر أو سمع أو
بعض في رسوله ، ولا تقدر عنه صادرة . أو تبرر عنه بادرة . أو
بعض له عرق . أو يختصر له خاطر . أو يهم بأمر إلا إذا كان
الله هو المحادي الموجه إلى هذا كلها ، فإذا تكلم تكلم بالله . وإذا
استعان استعان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أظلتك فهبت الآن مني فيما يقربك إلى حقيقة ماعليه هؤلاء
الأساطين من الرجال .

فالآولى به قد يفهم الله سراً ويكتشف لهم حقائق ، وبعكتهم من

خوارق العادات - ففي الحديث الشريف : «عسى أطعى
أجعلك ربانياً تقول الشيء كن فيكون ، وعنه صلاته عليه وسلم :
«رب أنشت أغير ذي طرين لا يغبه له لو أقسم على الله لآبره
الله في قسمه ». ومع هذه المبررة الجليلة ، والمنحة الكريمة ، قالوا
ينزل منها مزلاً العبد من رب . فلا يلتفت إليها : ولا يأخذ بها .
تاركاً الأمور بغيرى على أذلاها .

إن سعادتهم في الوصول إلى ربهم ، فهم في حضرة قدره ،
لا يشغلهم عنده شاغل أو يصرفهم ميل ، ويشخنا رحمى الله عنده
في القمة العالية . والكوك الرابع ، لم يتوجه قلبه إلا لصلاح
نفس ، أو تقويم معراج ، أو سلوك هريد يتحقق وجه الله .

إن جوار المحبوب ، وسعادة المقام ، تدخل في القلب الرحمة
والعطاء ، وتبعد اليد بالمعروف ، وتبعد الجانب ، وتنمى
بصاحباً في طريق المغير . ولقد كان أئذناً رحى الله عنه الرحيم
قلبه ، العاشر تواله ، اللذين جانبه ، الساعي في طريق الخير .

وأى خير أكثر ، وأى معرفة أحرى . من أن يخسر الناس
زمرة في رياض الله ، أى حكم أفعى ، ومرج أرجى ، من ظاهر
القلوب العفة ، والتغرس الأمارة ، والأرواح الشريرة ، وأودع
كل هذه النور والبر والطاعة ، وما زال يعمدها ويبتها وبعديها ،
حتى نصح عودها ، وطاب ثغرها ، وأنت بمحض دفء .

علامة المحب الصادق أن يتعذر المرء ويصعد على نوازل الأيام . ويتحمل أليم ، ويسكن على العصعص ، فإن فعل كان ذلك مهر خطيره ، وقطرة مجده ورضاه .

ويعلم الله ملاقاه شحاذ رضي الله عنه في هذا الدليل . . يمشي في لفح المحرقة . وقر الشتاوة . على غليظ الأرض ، وأشواك الطرق ، ليهدى حالاً ، أو يقع معروضاً في حماة الشرور ، يجلس الجلة الطوبية العربية في مكان واحد ، معلماً ومهدباً ومنقاً ، لا يشكوا ضرراً ، ولا تعباً ، ويهجر بيته وترك صغاره وأطفاله ثبوراً في هجرة قضى جسمه ، وتعرق عظميه ، وهو في شيخوخة متقدمة تحب أن تكون إلى الراحة والإخلاد .

ولتكن ألم الراحة وقد ثبت نفسه للناس . مصدر نعشه للهداية ، حتى ولو أبغده المرض ، وقتلت عليه أحوال الدين .

إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الحياة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعداً عليه حماق التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفي بعده من الله فانيتروا بييعكم الذي يابيعتم به . . لقد سفك المsson دماءهم وباعوا أرواحهم ، وتركوا أولادهم في سبيل إعلاء كلية الله ، ولقد حط الكفار على رسول الله على الله عليه وسلم حتى أجاعوا أحبابه ، ورآه شعب لاحركة فيه ولا نامة ، ولا ظل ولا مأوى ، ولا يقيم الأود ، ويدفع جانحة الهملاك ، حتى أن الصدّيق الكريم كان إذا أطلق بوأه في شق ملحقة

أكل الشق ، ونُصصَّتِ الْوَاهَةَ مِنْ شَدَّةِ السُّبْ ، وَلَقَدْ هُوَيَّ الْبَيْ
صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَطْهُ التَّرِيفُ تَحْتَ حَجْرٍ يَسْكُنُ بِهِ الْمَخَالِفُ
الْجَمِيعُ ، وَهَا تَرْكُوهُ حَتَّى هُوَا بَأْنَ يَقْتُلُهُ لَوْلَا عَنَيَّةُ اللَّهِ الْقَوِيَّةُ .

لَقَدْ تَأْسَرَ شَخَارِضُّ اللَّهِ عَنْهُ بَسِيرَةُ نَبِيِّنَا الْمُعْتَرَةُ ، وَبَسِيرَةُ
أَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، فَلَمْ لَا يَكُونْ لَهُ شَرْفُ الْجَهَادِ ، وَجَزَاءُ الْكَفَاحِ .

لَقَدْ جَاهَدَ فِي اللَّهِ ، وَهَا حَرَقَ فِي اللَّهِ ، وَأَحَبَّ وَأَبْغَضَ اللَّهَ . فَضَى
كُرْبَلَاءً ، وَأَحْرَزَ عَظِيمًا عَنْدَ اللَّهِ :

هَبَّنَا لِأَهْلِ الدَّبَرِ فِي حَضْرَةِ الْقَدْسِ
شَسَّ حَلْتَ أَنْوَارَهَا ظُلْمَةُ الرَّمَضَانِ

أَخْلَتْ عَنِ الْأَشْيَاءِ وَهِيَ فَرِيدَةٌ
وَلَبِسَتْ شَكَلَ فِي الْفَرْوَعِ وَفِي الْجَلَسِ

وَلَوْلَا مَتَتْ عَظِيمًا وَمِمَّا يَقْطَرُهُ
لَفَامَ يَادِنَ اللَّهَ جَاءَ مِنَ الْقَسِّ

وَلَوْلَا قَرَتْ مَهَا يَانِدِيمَيْ بِقَطْرَةٍ
لَهَتْ بَهَا عَنْ سَازِ الْجَنِّ وَالْإِنْسَانِ

هِيَ خَرَةُ الْأَفْرَاحِ لَا شَرِبَنَا
عَلَوْتُ عَلَى الْأَفْلَاكِ وَالْبَدْرِ وَالشَّمْسِ

وَوَغَبَتْ أَشْعَارًا عَلَى جَنْكِ عَوْدَهَا
وَكَأسِ الْمَوْيِيْ بِخَلْوَهُ وَقَدْ طَافَ لِلْعَرْسِيِّ

محبته لرسول الله

كان شيخنا رضي الله عنه يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً ضريراً مدفعاً إلينه بكلته، لا لأنها فرع شجرة وعقة دوحة، غريب، بل لأنها بعض من حبه وظل من شمه، ورشف من بحراه، وقبسات تحديبه، وصل بها إلى ذاته العلية، فلا يصل واصل إلا إلى حضرته المانعة، ولا يهدى حائر إلا بأنواره اللامعة، . وهل كان نينا الأكرم إلا ذلك الكوكب البرى، الذي يوقد من شجرة الله المباركة المستدبة من بحار العبرية، فمن أنواره قيس كل قلب، وارتوى كل روح، وسكن كل نفس.

عرف شيخنا رضي الله عنه نبيه صلى الله عليه وسلم معرفة كافية حقيقة، لا معرفة رسم وشكل، عرف أن قله الكريم يحيط السر الأقدس، والاسم الأعظم، فتقرب إليه تقرباً شهودياً، وانصل به اتصالاً مكانياً، وأغترف من كونه العنكبون يخلو على اللسان، ويسرى في الأبدان، فأشرقت فيه شمس الهدایة، . ونور الإيمان وعلم اليقين بل وعين اليقين.

عرف فيه أنه فضة الله الوراثة، التي أودع فيها كمال المعرفة وأسرار الوجود، فهام في مساماته وفتحاته في مكانه خلاه كشف له عن مكانه السنية، ودرجاته العلية، فأودعه نفسه

ووَهْبَ لِهِ حَمَّ، وَأَفْرَغَ لِهِ كُلَّهُ، فَطَقَ بِالْحَكْمَةِ وَنَعَلَ بِالْأَسْرَارِ،
وَنَكَشَفَ لِهِ حِواجِزَ الْغَيَّبَاتِ، وَتَقْلَصَتْ عَنْ يَصِيرَهُ الْحَجَبُ
الْعَاثِبَاتُ، وَالْأَسْتَارُ الْمَانِعَاتُ.

وَقَدْ أَخْتَصَهُ بِالْقُولِ الرَّبِيدِ، وَالْمَدْحِ الْقَرِيدِ، وَعَيْونِ الْفَصِيدِ،
فَلَا تُرَى فِي أُورَادِهِ إِلَّا مَدَائِعٌ بِصِعْدَاهَا حَتَّى تُمْكَنَ، وَقَلْبٌ فَمِيمٌ،
وَشُوقٌ دَافِقٌ، وَلَا تَقْرَأُ فِي حِجَعِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ إِلَّا هَمَّا وَمَهَّا،
وَهُنَّا دَامِعَةٌ، وَعَارَاتٌ مُرْطَبَةٌ مِنْ رُوحٍ تَفَبَّضُ.

لَا تَنْزِهُ بِهِ قَرْةٌ إِلَّا وَيَعْرِفُهَا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالْتَّلِيمِ عَلَى أَكْرَمِ
خُلُوقٍ، وَأَعْظَمِهِ مُوْجُودٍ، فَهُوَ فِي سُوَادِ عَيْنِهِ، وَرَحْبَةِ قَلْبِهِ،
وَنَحْرِي دَمِهِ، وَتَوْرِ الكَافِفِ وَالْحَبِيبِ الدَّافِقِ، وَالرُّوحِ السَّارِيِّ،
يَهْبُ بِهِ دَاعِيًّا، وَيَتَّسِلُهُ قَاعِدًا وَقَائِمًا، وَيَرَاهُ فِي بَقْطَهِ وَمَاءِهِ،
فِي هَالَةِ نُورٍ، وَدَائِرَةِ مَكَانِهِ، وَعَظِيمٌ جَمَالُهُ وَجَلَالُهُ.

لَا تَنْزِهُ مَائِيَّةٌ دِينِيَّةٌ، أَوْ ذَكْرٌ مُحْمَدِيَّةٌ، إِلَّا وَيَكُونُ تَبَاقُ
إِلَى إِبْحَاثِهِ، وَالْمَاهِيَّةُ إِلَى الْاحْتِفَالِ بِهِ، فِي فَرَحَةٍ تَعْطُفُ عَلَى
نُعْرَهُ وَنَحْرِي فِي عِيَاهُ، وَسُرُورٌ بَكَادٌ يَطْيِيرُ بِهِ مِنْ مَعْلَقَةِ الْأَرْضِ
إِلَى أَجْوَازِ الْفَتَنَاءِ، وَلَا بَدْعٌ، ظَاهِبٌ مَاءَةَ نَكْرٍ وَنَحْلَبٍ، وَتَقْبِيمٌ
وَتَقْعِيدٌ، وَمِنْ ذَاقَ عِرْفَ وَعَرْفٍ، وَاتَّسَى بِرَضَاهَا الْمَشْعُ،
وَأَرْجَهَا الْفَبَاجُ.

كَانَ شَعْنَارَضِيُّ افْهَمُهُ عَنْهُ يَرَى أَنْ حَبَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ

عله وسلم جنة يتقى بها عوارض المحن، ونوازل الفتن، فاتخذوه
حجاً ودرعاً وآية.

ومن تكن برسول الله نصرة إن تلقه الأسد في آجامها نعم
رفع رأيه ، ونشر رسالته ، ومضى في أمره مني الدواه في
الخسوم . فكم أرأى من وصي وآقال من غرة ، ورفع ساقطا .
ونسبت مخططاً على هذه المختي .

وَمَا لَا يَحْمِلُ كُلُّ قَلْبٍ وَيَدِينَ لَهُ بِكُلِّ مَا مَلَكَتْ يَدَاهُ ، أَلِّي
هُرُ الدُّنْيَا مَنْجَهُ الْخَطُورَةُ ، وَأَدْنَاهُ مِنْ أَنَّهُ زَلْقَنٌ ، وَرَفِعَهُ يَعْنَى
الْعَارِفُونَ مَكَانَةً .

انداء الصحابة بأرواحهم . وضعوا في سيله بدعائهم .
واستدفوا من أجله كل خطأ وبلاء . أليس أبو بكر رضي الله عنه
قد صح في محرنته وهو يعلم أنها المخازنة بعثها لو رأته عين أو
دشى به تمام . ولقد رقد على كرم الله وجهه في موضعه وهو متغير
آن دحد فربش يبتون لصاحب هذا الموضع ضربة قاتلة ؟

ولكه الحب يدفع إلى الإيمان . ومن غير رسول الله صلى الله عليه وسلم تفتح له القلوب ، وترخص في سبله الروح ؛
ولم لا يكون شيخنا رضي الله عنه في إثار الصحابة وطلبه
المحب ، ورسول الله منه هزلة التور في العين ، والروح في الجسد .
إنه يجده حالها جارها دائمة ، على استقرارى لا حول

له فيه ولا احتبار ، لانه حب الإرادة . وحب المخوازع ، وحب
ما شئت من شعور وإحساس .

دخلت روحه روجه ، ولا مس قلبه قله ، واندحرت عينه ،
فكللت أنوار التي على الله عليه وسلم جارية في كيانه كله . فصار
هي الحب ، ومحب أن يحب الحب ؟ فلو أبعدتك الأيام وكت
من المخطوطين ، وصحبته في حجت المبرورة ، لرأيت كيف يكون
التفاء الحسين ، واجتبايع العاشقين ؟ ورأيت كيف تفعل المخوازع
ونحرى العرات ، وتنطِّب الأوقات . عند ما يأْس الحب عيده
وبضم الميم إلى أصوله ، ولرأيت المودة والغرد كيف تنبع
الإحسان ونفع الصادقين .

إقرأ الشاعر نور لامه . رسول ، واستغاثاته به حل الله عليه
وسلم تعرف بأن هذا كلام لا يتعلق به لأن عاقل عن معناه ،
بل كلام يخرج من القلب بورا ، فيصره القلم سطورا ، فإذا فرأت
شمعت أرج الرياح ، وفتح الطيب يهب من وارق كل كلة ،
ويسرى من لعائض كل معنى . إقرأه ، ثم تذمره . ثم غسله ، يتحم
أمام عينك روح الروح ، ووعين اليقين .

كم من قصيدة وضع ، وزجل ابتدع . وهو أولي عاغبا في
حب أكرم خليل وأعظم رسول . لقد وضع رحمي الله عنه قصيدة
للبركة التي تتول في المراسم ، ففعلا في قبور إحران العريق

ما لا ينفعه الراح ، من ولد وانتراح ، وهي أكثر السير دوراناً
على الله الإخوان لا يخلو منها حفل من المحفول .

إن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوة الحزبين ،
وأنيس الحانف ، وزاد الماسف ، ونور البصر ، وطب القلوب .

ولذلك قال شيخنا رضي الله عنه وأصفه رسول الله صلى الله
عليه وسلم متهدناً عنه بهذا القول السديد :

« لا يأنى من هو أكيل ولا أرق من رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بل الكل بعجز عن الوصول إلى كمال المدرج في سعة
 هذه الدائرة المحمدية لياماً وتفجلاً . »

فإذا افترس سائر على قدميه بظهور وصف الكلالات التي
أقيمت على مقامه سره ، ومرة آتاه قلبه من حضره نفضيل ذاته
الكلالبة المحمدية التي لم يسبقها ، ولم يلحقها أحدٌ من تقدم أو تأخر
الفردية في كلامها . فذلك المفترس إنما يتكلم بلسان استغراقه ،
وغيته عن وقوته مع مقامه وذهابه في دائرة كمال أنوار هدى من
هو سائر على قدميه فهو يتكلم بلسان محمدى ومقام أحدى .

دُوَافِ وَإِنْ كَتَ ابنَ آدَمَ صُورَةً

فَلِيْ فِيْ مَعِ شَاهِدَ يَأْبُونَ

جزي الله شيخنا خير الم Raz ، ونفعه بمحبته محمد في دار الفقا .

يامن به عرامى وحنه ساقى
من خرة ساقى فزاد به هبامى

سكت في فرادي ونت في هوالك
رغبت في بهالك وباسمكم أنا داي

وجئي رحالة إن جدت بالوداد
سلتني مرادي فاحكم على هوالك

حكم الموى جبل وصعبه يهون
بحلو ل الجنون وعنه لا أبل

تهلكي حلالى وجهه جدائى
فديته بذانى بكائه ملال

أرواحنا فداء إن جاد بالوحال
أو زاد في الدلال فليس في سواه

أهيم في هواء من خرة مدامي
وجهه مرامي وبغيتى لقاء

بحوبى في عفاه في وجه نعيمى
في حانه ندبى بطوبى في شاه

مکتبہ لال الہت

وقد تَحْسَنَ عَلَيَا بَعْضُ مِنْ رَافِقَوْهُ فِي حِجَّةِ الْمَبْرُورَةِ أَحْوَالَهُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَقَامَاتُ أَجْرَتْ مِنْ عَيْلِهِ الْعَبَراتُ، وَأَرْسَلَتْ مِنْ
قَلْهُ زَفَرَاتِ الْأَشْوَاقِ، وَأَفَاضَتْ عَلَى قَلْهِ بَدِيعِ الْوَسَالَاتِ مِنْهَا :
أَنْبَتَ إِلَيْهِ حَاكِمٌ فَاقْلُونِي وَمِنْ أَهْنَالَكُمْ لَا تَخْرُونِي
فِي أَهْلِ الْمَكَارِ، وَالْعَطَايَا زَبَلٌ يَرْجُوكُمْ فَانْجَهَدُونِي
وَكُمْ نَادَيْتُكُمْ بِاَهْلِ وَذِي فَنِ إِحْسَانِكُمْ لَا تَرْكُونِي
وَظَنَّتِي فِي شَمَائِلِكُمْ جَيْلٌ بِاَهْلِ الْوَفَا لَا تَهْلُونِي
وَفِيكُمْ فَدَ هَرَتِ الْخَلْقُ عَرَّاً عَنِ احْبَابِ قَلْبِي يَوْصَلُونِي
وَجَسَّنِي فِي هَوَى الْأَحَبَابِ مَصْنَى
فَنِ حَوْ الصَّفَا لَا تَبْعَدُونِي
عَلَى هَبَابِ الْحَمْى عَنْرَتِ خَدَى فَهَلِ احْبَابِ قَلْبِي يَنْظَرُونِي

ومن هذه القرابة الفريدة ، ودنو الوشيعة من الموجة النبوية الكريمة ، التي رفعه جنباً وأنصب مقاماً . فقد كان رضي الله عنه أكثر المجاهدين جهاداً ، وأعظمهم جلداً ، وأصرهم على المذاعب ، ما آثر راحة ، ولا نزع إلى استراحة وكيف يريح نفسه من وقف نفسه على هداية الناس ؟

ولو كان حبه رضي الله عنه لآل البيت حب فرقة ودم لكتفاه شرعاً وغراً ، ولكن كان حبه لهم زابعاً من قلب عمره نورهم . وللحصة في بعضهم ، فاتفع مقاماً فوق مقام ، ودرجات فوق درجات .

إن الشيخ رحمه الله عليه كان بحب آل البيت حانياً يظهر على لسانه إذا تكلم ، وفي شعره إذا نظم ، وفي كتاباته إذا كتب ، وما كان حبه فاقصراً على آل البيت من ذريته رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط ، بل كان يشمل قرباناً جميعاً . ولم لا يشملهم ؟ أليسوا خيرة الرسول الأكرم ، وأعمامه وأبناء أعمامه ، فكان لا ينما لهم رضي الله عنه إلا بالطيب من القول . وما يدل على ذلك أنه وقعت مواقفة بين وبين الأخ الكريم الشيخ حافظ بدوى نقيب النساء ، تناولنا فيها يوم حقيقة بين ساعدة ، وتناولنا أيضاً موقف على كرم الله وجهه ، في هذا الصراع الذي كان بين المهاجرين والأنصار ، والذى نتج عنه استقرار الخلافة في غربيش ، وكنا معها على طرق تقدير ، فأخذ الشيخ رضي الله عنه موضوع الماقفة

من وجهة نظر الطرفين . وخرج منه بأن كلا الجانين على حق ،
وأن كليهما كانا يقصدان مصالح المسلمين . ثم قال : (يجب أن
تنظروا إلى مثل هذه المشكلات من جانبها المضي) ، وحذا ما قاله
رمضى الله عنه . وعلى ذلك كان يجههم جميعاً ويرد عن أبطالهم
سيرة حبيبة يجعلها في بعض الأحيان موضوع درسه . كنضجية
حزرة رضى الله عنه يوم أحد . وشجاعته في انتصاره الذي صلى الله
عليه وسلم حين تخرب عليه القرشيون في مكة . كما كان يحفظ
لبعضها أبي يكر رضى الله عنه سابقته وملازمه التي طول حياته ،
ويتني الثانية المنطاب على الانصار الذى آتوا ونصروا ، وكأنوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الدرع الواقة . والمحصن الحصين
حتى انفجر نور الإسلام تحت سرفهم . ورفعت أعلام الدين على
هذا قمع خيولهم ، وأعز الله بهم الإسلام عراؤكيرا .

وكان إذا لمح بعض الإخوان في سيرة معاوية . واعتراض
حق الماشيين في الخلاقة . لفت نظره رضى الله عنه بأن النبي
صلى الله عليه وسلم ومعاوية رضى الله عنه يلتقيان نباً عند
عبدمناف ، الجد الثالث لها ، فضلاً عن أن معاوية له سابقته في
الإسلام وهو كاتب وحي القرآن . أى أنه رضى الله عنه كان يحب
كل من التف برسول الله صلى الله عليه وسلم . نباً أو صبراً
أو ثبيتاً . جعلنا الله بهم في درجات عدق عند ملك مقيد .

أحن إليك سادق وأودكم
 وأنفنت في قلبي بداعي جمالك
 فإن جدنور بالوصل من بعض فضلكم
 وإن غاب معاكم نذكرت طينكم
 ومن لم يجد ماه نعم بالترسب
 فباقرة الأعبان باقه فانتظروا
 العبد خناء الحب والشوق أكابر
 ويا من بخرط الحب في القلب صوروا
 لكم مهني فاضروا وعذلك ظهر
 فإن شتم خل وإن شتم على

ومن صبغه رحى الله في الشرق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

، يا حبيبي يا رسول الله ، يا ساكن قلبي يا رسول الله ، يا أحلا
 الخلق يا رسول الله ، يا ساكن طيبة يا رسول الله ، يا ساكن الروحية
 يا رسول الله ، أنا هائم في جمالك ، أنا حبران في كمالك ، تورك باهر
 وسرك ظاهر ، وآنا أمامك ، وقلبي يحبك ، وقدسي أراك ،
 وأخلي بغربك ، أنا غارق في تورك ، وشدة ظهورك ، ولكن
 يعادى ، وكفرة عنادي . وظلمة قرادي ، خطت على ، عليك الصلة

وأركي السلام . رقائق سعاده . وذكرك عادة . هنرءا إلـى أنهـ
حالـكـ جـالـكـ فـ قـلـيـ . وـ حـلـكـ فـ سـرـيـ . وـ تـخـطـرـ عـلـ . فـ كـلـ سـاعـهـ

زدى بفرط الحب بك تجرا
وارحم حنا يلقي هواك نسرا
وإذا سألك أن أراك حقيقة
واسمح ولا تخفي حوالى لى ذرى
يا قل أنت وخدني في حمم
صبرا خاذر أن نسي ونضررا
إن العرام هو الحياة فـ به
صـا لفـكـ أـنـ نـورـتـ وـنـضـرـا
ولقد خلوت مع الحب وبيـا
سر أرق من السـمـ إذا سـرـيـ
وابـاحـ طـرفـ نـظـرةـ اـمـتـهاـ
غضـوـتـ مـعـروـفاـ دـكـ مـكـراـ
فـادرـ لـحـاطـكـ فـ عـاسـنـ وـجـهـ
نظـقـ جـعـ الحـرـ بـهـ صـورـاـ
لوـ أـنـ كـلـ الحـرـ يـكـلـ صـورـةـ
وزـرـاءـ كـلـ مـهـلاـ وـمـكـراـ

محنة لأولاده

الحب لا يتلوّن . والقلب إذا صفا ورق ونفت فيه بذور الحبة
وأشجرت أخضانها ، والتفت فروعها لم يكن في القلب خل إلا
خلها ، فكل من استظل بها فهو محظوظ .

والشيخ رضي الله عنه في قلبه الكبير سعة يجد فيها الصادق زيه ،
والصائب مقلبه . تفاصي على كل من آوى إليها حانياً ونعمره ألواناً
ومن ذلك كان حمه لأولاده ، ومن الذي لا يحب أولاده ، أليس هو
حبيبة قلبه . وحزنه . نعشه . وحناته دمه . كل الناس يحبون أبناءهم
وبناتهم ، ولكن حبهم هذا يختلف عن حب شيخنا لأولاده . فهو
يحبونهم على أنهم خلاهم ووارثو اسمهم . ورحمهم الماءة ، ولأن
عواطف القلب لا تنتهي إلا بالليل والحانن عليهم ، وليس غير هذا ،
ولكن شيخنا رضي الله عنه يزيد على ذلك جائماً من جلس جديداً
فأباياوه في البيت أبناء ، وفي الم مجلس إخوان ، وفي الطريق ضريلون ،
سلوا منه مع حنان الآباء كنوس المعرفة ، وتأذعوا يا دب الأبناء
والتلاميذ جمعاً ، لم يطعهم ذاته السوة فيترخص أحد منه فيما
أخذته به أبوه كأستاذ ، ولم يطعهم قرب المكان فينزلوا عن شئ .
عن شعائر المأمة لأبيهم كشيخ ، ولم تلهمهم وشيعة الرسم عن أن
يتزدواج تلاميذ الشيخ تلاميذه ، ويدفعهم عظام المكانة من
أبيهم بنافقوا عن فضائل صالح الإخوان . فكانوا أبناء وركابوا

إخوانا ، و كانوا أقرب دين في آن واحد أيام آب وأستاذ و شيخ ، لهذا كل أح恨هم والدهم حادفه إلى وضعهم بين مورق عيه ، ولعائق قلبه ، و تعاف قصه . ولو أنك فرأت تلك الرسائل العروات التي اشتعت بها شيخنا رضي الله عنه إلى ابنه السيد إبراهيم حين سافر لقطع وقناً في بلاد مديرية المروية ، لو جدت فيها كيف يكون الخ في عيشه ، والخزان في حياته ، والقلب في دعائمه ، بطول له في الرسالة تطويلاً غير معهود لحكمة دفعه إليها حدة الشوق و عظيم الوجد ، ليحمله على فراحتها في نفس طويلاً يعيش فيه أكثر وقت عما وليتمتع به في لذة من الخوار والتغاطط كأنه بين يديه وإن كان في مكان سحيق . هنا إذا كانت الرسالة في مستوى ف晦ه ، ولكن والده رضي الله عنه يغير عليه في رسالة أخرى . يصلع له ويه بعلمه نهد رأس الحكيم . و حكتها نفس حكمة الأولى ، إلا أن الأولى لم يرويها وإن طالت ثلثي باتها . فرأيتها . أما الثانية فأخذته في معالجة علتها و فك معصياتها ، وكشف غموضها أيامما تتجاذب بها أرواحهما . و تتجاذب فيها مشاعرهما . كلما أوغل فيها بحثاً و قطب عباراتها قلياً .

لقد كان الشيخ رضوان الله عليه . يحب أولاده جمعاً بين وبيات . و ينورهم بخانه ، و يبرهن بعطفه . يسأل عن خاناتهم . و يلاحظ حاضرهم ، و يتصرى حالة أولادهم . و يجعل مشاكل من قاموا في وجهه عقبات ، ولكن يلاحظ أنه دائماً كان يختص

صاحب الرسالات بمعنوية أكبر ، ورعاية أكثر . فما هو السر
يأتى ؟ أليس قد ألم به أن هنا هو المرجعى بعده ، والقائم على
تراثه الروحى . وخلفته المؤمل . ولم لا يكون كذلك . وقرب
الأولى ، منصة رها فلا يطغون عن هوى .

والحق أنا كأنا لاحظ هذه الظاهرة ولا أحد لها تعليلاً . إلا
أن يقال : إن الآباء دائمًا يحرون الأصغر من الآباء . وتلك عادة
بحسب قه كل من له كثرة من أبناء . ولكن كان للبه
إبراهيم عليه بصره سأله وهو مع ذلك متسع بسزنه الكريمة
في قلب أبيه ، فازداد الأمر تعقيداً ، إلى أن انتقل الشجاع إلى حوار
ربه وأثبت الإمامة إلى أبيه هذا المأمور فانكشف حق الأمر .
وعلمنا ما كان يرتب له في عالم الغيب ، وأن الله إذا أراد أمراً
مهد له الآيات حتى يظهر .

الماضي عن المؤدب والتبذل من الأنساد . ولقد شاهدته مررة في
خطى والده ومهه بعض من أبناء إخوته ، وكأنوا في سنه الصغيرة .
فأخذوا يجادلون بعض مخالفتهم من الإخوان محكماً ساكنان
إلا هو فكان يكتو وجهه الجلد . وبجعل جلسه الانتباه ، فعلت
في ذلك اليوم . أن لهذا الحال شأنًا ، وإن له يومًا . إن الخلقة
الكرم كاف لأن يضع صاحبه في صدر الزمان ، ونهرة الأيام .
لأنه بمحروم العصائر كلها ، ولما نعمت سبحانه وتعالى بهيه صلى الله
عليه وسلم لم يزد على قوله ، وإنك لعل حلق عظيم ، فلم ينفع له في هذه
الخلقة الصغيرة كل ما امتاز به الأولون والآخرون من عصائر .
وما احتضنوا به من مفات كبرية . وقد حفظ الله ما كان يرجوه
في هذا الشخص الكريم ، والشخصية الممتازة ، من قبل الصغار .
وذكرهم الشهادتين وشرف الصغير .

إلى هذا الحد كان ولع شعبنا رضي الله عنه عليه الكرم
الله إبراهيم . وإلى هذا الحد أيضًا كان حبه لباقي إخوته وأخواته .
ولكن أكثـرـ هذا الحـبـ لـإـسـانـهـ يـقـرـرـهـ لـأـبـانـهـ وـبـانـهـ خـصـراـ
الصغيرات ٦٦٤٤ كلاماً . فلم يستطع حبه الجارف لهم أن يأسره . فقد
كان يتركه إلى حماية الله ، ويخرج هو بعيداً عنها في سبيل الله شهوراً
عديدة تكاد تأخذ من الله كل أنتظارها . فكيف توفق بين
هذه المغامرات .

وحلَّ المُسْلِمَةُ أبْطَأً مِنْ قَوْلِكَ الْمُلْتَانَةِ أَصْفَحُ الْمَسَةِ، وَإِلَيْكَ الْيَانَ :
 ذاقَ الشَّيْخُ طَعْمَ الْحُبِّ، وَتَشَكَّلَ بِهِ، وَزَرْوَضَ عَلَيْهِ، وَلَكَهُ
 دَرْقَعَ بَيْنَ مَحْوَرَيْنَ، وَتَوْسِطَ بَيْنَ حَبَّيْنَ، حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَحُبُّ
 أَوْلَادِهِ، وَجَهَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ أَقْوَى بَيْنَ لَا يَقْاسِ مِنْ حَمْدَهُ لَا وَدَهُ .
 فَإِنَّ الْحُبَّ الْعَالَى وَتَرْحِضُ فِي الْحُبِّ الْعَادِى ، فَهُجْرَتِهِ إِلَى بَيْتِ
 اللَّهِ، وَرَكَّبَ أَبْنَاهُ فِي رَعْيَاهُ اللَّهِ، وَهَاجَرَ هُوَ حَبَّاً اللَّهِ وَرَسُولَ اللَّهِ،
 وَاقْرَأَ إِنَّ شَفَتَ . قَلَ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَآبَانُوكُمْ إِلَى قَوْلِهِ :
 «أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادِ فِي سَلَهِ فَتَرَاهُمْ حَتَّى يَأْتُ
 اللَّهُ بِأَمْرِهِ» .

أَعْرَفْتُ إِذَا أَنَّ الْمُسْلِمَةَ فِي وَخْرَحَهَا وَظَبَرَهَا لَا تَخْتَاجُ
 إِلَى اسْتَفْعَالِ .

وَكَانَ أَبْنَاؤُهُ الصَّعَارُ إِذَا هَزَّهُمُ الشَّوْرِقَ إِلَى أَيْمَانِهِمْ، وَدَفَعْتُهُمْ
 دُوَافِعُ الْبَنْوَةِ الْعَطْوَفَةِ إِلَى اسْتِحْجَلَةِ، وَجَدَ ذَلِكَ الْمُدْفَعَ بِكَلِيَّتِهِ فِي مَطْرِيقِ
 اللَّهِ، حَقُوا يَهُ، وَتَشَبَّهُوا بِعَوْدَتِهِ، وَهُوَ يَأْتِي عَلَيْهِ ذَلِكَ وَالْأَخْرَى
 بِلَحْوَيْنِ وَبِلَثْمَوْنِ مِنْ الْعَوْدَذَرِ حَمَّةَ بَهْرَلَا . الصَّعَارُ وَقَنَّاْهَا حَتَّى يَدْعُ
 وَيَسْأَدُ، وَلَكَهُ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ يَدْهَبُ مَعْمَمُ لِيَعُودُ ، وَيَعْكُتُ يَدَنْهُ
 فَلَبَلَا . لِيَهْرَمُ طَوْبَلَا . حَتَّى وَافَاهُ الْأَجْلُ الْمُخْنَومُ فِي مَرْضَهِ الْمَدْعَى
 أَمْ بِهِ فِي أَرْضِي غَيْرَ أَرْضِهِ وَيَتَ بَغْرِيَّتِهِ، وَلَمْ يَعْدْ وَقِيهِ أَمْلَى الشَّعَاءِ،
 تَلَكَ عَزِيزَةُ أُولَى الْعَزَمِ، وَفَوْةُ الْخَلَاءِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَسْرَارِ .
 وَالْمُنْعَفِينَ حَجَّةُ اللَّهِ .

كَلْ حِنْ فَدْ نَحْلِي بِوْ مِنْ حِنْ الْجَبِ
 جَهَ فِي الْقَلْبِ سَاكِنٌ لَطْفَهُ مِنْ قَرْبِ
 حَهْ يَحْلُو وَيَعْلُو عَنْ هَوَادِي لَا يَغْبُ
 هَلْعَتْ الْأَرْوَاحُ فِيهِ طَالْ شُرْقَى لِلْخَطَبِ
 جَهَ أَفْصَى مَرَامِي دَهْرَوَاهَ لِي نَصِبِ

محبته للأولياء

كما رضى الله عنه حاً للأولياء ، بحس فهم القامة ، ويطعم
 المقالة ، يعتزهم عشيرته ، وأفراد أسرته الروحية ، ولقد مدح
 الكثيرون منهم فعائد تدور في أهلناك اللغة ، فمن قوله عاد حمادي
 أحمد الدوي رضى الله عنه :

أَنَّهُ أَكْبَرَ عَنِ الْبَرَكَاتِ وَعَلَى الْمَقَامِ تَوَالَتِ النَّعَمَاتِ
 هَذَا مَقَامُ الْبَدِ الدَّوِيِ الَّذِي لِلأَوَّلِيَاءِ مَقَامُهُ عِرْفَاتٌ
 هَذَا مَقَامٌ فَدْ حَوَى كُلَّ الرُّحْنَى صَبَّ عَلَيْهِ مِنَ الْعَلَاءِ رِحَمَاتٍ
 وَمَادِحًا بَدِيَ الْخَنْقَرِ رَضِيَ أَنَّهُ عَنِ

إِنْ شَتَّتْ تَحْظِيَّ بالقِبْلَةِ وَبِالْمَدِّ

فَاقْصَدَ حِنْ الْخَنْقَرِ مُولاً تَانِدَ

وَلِهِ الْكَرَامَاتُ الْثَّيْرَةُ فِي الْوَرَى
 وَسَا عَلَى أَهْلِ الْوَلَايَةِ وَالْمَرْدَ

وما دحى بيدي ابراهيم الدسوقي رضي الله عنه :

هذا مقام البكل الوراني وحضر مع مولانا العظيم الشان
هذا أبو العينين حمود النبي وإمام أهل الفضل والعرفان

وما دحى بيدي الشعراوي رضي الله عنه :

بربنا بالمبكل الوراني

قطب الوجود إمامنا الشعراوي

بحر العلوم حقيقة وشريعة شمر المداية مظهر القرآن

وما دحى بيدي اليوسفي رضي الله عنه :

تأدب إذا ماجت في الساحة الكبرى

فهذا الحمى من جامده فاز بالشري

حمى بيدي اليوسفي غوث زمانه

قبل زرى الاعتاب إن جته عشراء

هذه نفحات عطرات ، وباقات نذيات ، بعضها شيخنا رضي الله عنه في أحسن قالب ، وأحكم أسلوب ، وبهداها وارقة النظل ،
باحة الشر ، فباحة الشر ، إلى رجال سقوه بالهداية ، لحفظ
معروفهم ، وذكر آثارهم ، وأحسن جوارهم .

ولقد بلغ من وفاته رضي الله عنه هؤلاء الواصلين ، أن كان يعبر ماجدهم بالذكر . وبمشاركة في أعياد ميلادهم مع أبنائه ،

ولا تعي ذكرى أحد مم في مجلد الكريم العاشر إلا من من أحيا لهم ، وحكى من سيرهم ما يسر القلب . وبشرح الخاطر . ومن أوفى من أول حمد حفا . وأحب منه قلبا . وأكرمه روحانا . لقد بسأله بعض الإخوان في زيارته ولي من الأولاد . فإذا ذكر لهم ذلك يقول لهم على الأثر : سلم على عليه . حملة بيعة . ولكنها بعيدة الأثر . عزيرة المدى . كبرى الإبراءات .

محبته للإخوان

أحد أوقات شيخنا رضي الله عنه هي الأوقات التي يقضيها بين الإخوان . لا يفضل عليها شيئاً . يجعل إليه طول النهار ، إلى مصف البيل . لا يغسل جسمهم ، ولا يسام عليهم . ولا يغنى أن يفارق وجههم حتى لتناول الطعام . مكان بحمل إليه الطعام فيتناوله في المجلس . وإذا أراد أن يتعطش من بعض شعراته فله أحد الحلائق في المجلس ، ويزل به المرض ويطلب إليه أن ينفك عن الإخوان يوماً أو بضعة أيام فلا يصفي إلى هذا الطلب . ويحمل نفسه المتعة . وعلمه الشديدة . ويجلس بها إلى الإخوان ، آخذآ معهم ما كان يأخذه في أي يوم عادي . وكان يلاحظ عليه الإخوان ذلك . فيقدم إليه بعضهم بأن يعزل المجلس رثما بنم له الشفاء . يأتي عليهم ذلك ، وقد ينصر به المرض أبداً طرفة ، وينتبد به استداوا عيناً . وهو يغازله ويتصدر عليه .

وأف للأرواح القوية من الأجرام الخفيفة التي تقدر الحمة وتحمد
من عزائم الرجال . ترى ماذا كان يحدث لو أن الأرواح خلقت
أحادها . لبنت تكون الروح القوية يكون الجسم القوي ،
أعلاً كما تستمع كثيراً بحال مطواهم الردي ، وأفقرت منهم الحياة
وكان تغزوى عن الأرض أشباح متغفة لا يجير فيها ولا رجاء .
سباق لو كان الأمر كذلك ما فقدنا في شيخنا الكريم وجهه الكريم ،
ولصار بيته وبين أعصر قادمة مثار الزمن ، ورجاه الأيام .

خلق رضى الله عنه يعيش بين تلاميذه . وكان تلاميذه ظله
ولا ينطبع كأنه أن يفصل عن ظله . حتى الموت نفسه حين
استأذن على روحه الطاهرة لم ينطبع أن يحول بينه وبينهم ،
ففرض في أحجارهم ، وانتقل إلى ربه الكريم بين فلوبيهم الساكنة ،
وغيوبهم الجارية ، وزفيرتهم المحرقة .

وكان رضى الله عنه أكثر الناس غيرة على تلاميذه ، وأطعمهم
حدباً وعطفاً ، يتغدى حالمهم ، ويتقى أخبارهم . وبأخذ يد
الضعف منهم . وكانت اضطرره أصالب التربية أحياناً على أن
يفسرو على البعض إن نيانة ، أو هفا هفوة ، ولكنها القوة
الرجيمة الحكيمة ، والكي الذي يعقبه الشفاء . إلا ترى الشخص
تفشو وزحم ، وتشتد وتليع ، تكوني الأجرام بونفة حرها ،
وتندفع الحياة بشدة لها ، وفي الوقت نفسه تبر الأرضا
فتبث نياناً حماً .

وكأن رضي الله عنه مربع الرحمن إذا تغير على أحد هرمديه ،
فما أن يتوب ويندم حتى يضمه إلى قلبه ، ويتحمّه حانه ويعطفه ،
فيجلس هائلاً مطمئناً ضاحك الآمارير ، هنترح الصدر . كأن لم
يكن ذلك الشخص الظلوج .

حب الإخوان إيمان

أما هذه فنون :

أرأيت النور في العين ، والسويداء في القلب ، والروح في
الحس ، وال فكرة في العقل ، إن كنت رأيت هذا فاعلم أن الشيخ
رضي الله عنه نور عيون الإخوان ، وسويداء قلوبهم . وروحهم
المستقرة بين جوانبهم ، وعقلهم المدبر .

لا أستطيع بهذا الفلم الضعيف أن أرسم لك صورة حقيقة
عن تلك الصفة الرواجة التي كانت تربط قلوب الإخوان بقلب
شيخهم العظيم : وكيف يمكن جهم إيمان في إحساسهم تجاه جعلهم
يرون صورته في وجه الشمس إذا طلعت ، ومبعد الليل إذا نزل ،
وهو بقسم إذا سرى ، وشعرون به في كل خاطر ، وفي كل
هاق ، وكل إحساس .

إنه العيت يحيى فتهز الأرض بالنبات ، والشمس تشرق
فتعطى الوجود الحياة ، والبدر يطلع في غير السبيل للدلنج السارى ،
والروح تبعث فتعطى الحس الإحساس ، ومن ما لا يحب العيت

إذا همى ، والشمس إذا أشرقت ، والدر إذا مطلع ، والروح إذا
انبعثت في الأعضاه ؟

لقد بلغ هذا الحب درجة أن مدرساً (كالأستاذ عطية المكاوى)
كان يعمل في مدينة بيروت ، وأولاده في القاهرة يختلف إلهاهم
في كل عطلة أسبوع وكان يصادف أن يكون الشيخ رحى الله عنه
في مدينة المنوفية ، صرّكب إليه الأستاذ (عطية المكاوى) ماراً
بالقاهرة ملا يختلف عن أدائه وقتاً يتألف بعده السفر إلى
المنوفية ، بل يافر رأساً إليها ، وإن أسف أولاده الحظ راتم
في الأدوية إلى مقر عمله ؟ . . .

ولقد كان بعض الإخوان يترك أحد أولاده يختصر ،
ولا يستطيع أن يترك مكانه الذي تعود الجلوس فيه في مجلس
الشيخ ، إلا إذا عرف منه ذلك بأمره بالانصراف ، وفي لو
أردت أن أسرد من هذا القصص الكبير لما دفعني مجلد ضخم
الصفحات متربع مائين الصحفين ؟ . . .

ولكي يكون مولود أحد الإخوان كريماً على أبيه ، عزيراً
عليه ، أثيراً عنده ، فإنه لابد أن يكون الشيخ « عرابه » يحصل
إليه النبأ فيختار الشيخ أسماء يطلقه عليه ، ولقد وله لي ابن ،
فاقترب إلى الشيخ رضي الله عنه في طنطا وذاكرته عنه فصار
اسمه من هذا اليوم « خالد » ، ولقد نفع يركه الشيخ فثأراً على حبه
صادقة وقل أن يخلو منه مجلس من يحالى سيدى إبراهيم .

الفرق بين الحب الصادق . والحب الكاذب يتجلّى في قوله
لمن يحب ، أين حبوبك ؟ فما قال لك : إنه في مكان كذا فاعلم أن
حبه كاذب ، أو على الأقل أن حبه لم يضج بعد . وإذا قال لك :
إن محبوبي في قلبي ، فاعلم بأن هنا هو الحب الصادق المكين .
وحب الإخوان أشدهم من هذا النوع . فإن الواحد مهم قد
يكون في أوراق بعيداً عن القاهرة بمسافات مترامية ، وهذه
يكت الأشهر دون أن يراه . ومع ذلك فلا يعب عنه وجهه
الكريم في يقطنه أو نمام ، وكيف يغيب الإنسان عن نفسه ، أو
لا يحس بمحبات قلبه ؟ .

يروي عن بعض الإخوان ، أنه زور صريح الشيخ . حتى أنه
عنه . فلا يرى فارقاً بين الشيخ مع الإخوان في المنزل حال حياته ،
وبين الشيخ في صريحة بعد الانتقال ، فإنه إن وقد عليه تمله ،
فيتحرر هذا المثال من عالم الخيال إلى عالم الواقع . فإذا الشيخ
يختاله ويسمع إليه ، حقاً إن أهواه في كل مكان عاصفة ، ولكله
في حمى بولاق نسم ، والشمس في جميع الأرجاء في الصيف ، ولكلها
في حمى الشيخ في الإشراف ، والقصر في كل الأفاق عجاج ، ولكله
في مسجد الشيخ بدر . والحياة في جمع ألوانها بالية ، ولكلها في
جواده السعيد مشرقة ، فهو واقف الأمل الداف ، والحياة الشابة .
وإنما لتصور الموت من المداق . تنديد الرزعة ، حاد الكرة .
ولذلك يقتله في أغيلنا ، وبخفة على قلوبنا ، أنه ينقلنا إلى

الأشية ، وبحمدنا على العز المباعين ، والرُّهْط السائرين :

أنا كل أيام أعياد مادمت في حس أبو حامد
 عز الرجال بـ الأجواد الـلى ما يضـلـوش قادرـ
 نفعـاهـ شـلتـا وـ حـكـرـهـ
 انهـ يـربـدهـ منـ نـعـهـ وـ يـجـعـلهـ جـسـهـ موـالـهـ
 مـيـرـهـ تـعـدـلـ بـ رـصـهـ وـ يـرـوحـ معـاهـ وـ يـرـوقـ الحالـ
 سـ اـنـتـ يـاقـليـ رـكـكـ عـلـىـ التـائـيـ دـطـولـتـ السـالـ

حـمـهـ لـلـنـاسـ جـيـعاـ

يدـنـارـ حـمـيـاـ عنـهـ كـانـ يـحبـ النـاسـ جـيـعاـ ، وـ يـرـىـ أـنـهـ عـلـوـقـونـ
 عـنـ طـبـةـ آـدـمـ ، وـ آـدـمـ رـحـمـ بـلـيـعـ النـاسـ . وـ صـلـةـ الرـحـمـ حـضـرـ عـلـيـهاـ
 الـفـرـقـانـ ، وـ رـوـقـهـ الـدـمـ ، فـكـانـ يـحبـ لـحـمـ الـخـبـرـ ، وـ الـمـدـاـيـةـ ، وـ التـوـفـيقـ
 وـ عـرـفـ ذـكـرـ عـنـهـ ، وـ تـامـعـتـ بـهـ النـاسـ . فـكـانـ بـغـصـهـ كـثـيرـ عـنـ
 وـقـعـواـ نـحـتـ كـلـاـكـلـ الـقـدـرـ . وـ يـرـىـ رـحـىـ الـأـيـامـ . يـلـمـسـونـ مـهـ نـظـرةـ
 رـحـيـةـ ، وـ دـعـوـةـ بـحـاجـةـ ، وـ كـلـ رـضـيـاـقـهـ عـنـهـ يـجـبـ كـلـ سـائلـ ، وـ يـرـفـدـ
 كـلـ طـالـبـ ، وـ يـعـينـ كـلـ عـجـاجـ ، وـ لـطـالـماـ وـفـ عـلـىـ يـاـهـ مـبـعـيـونـ ،
 أـيـ وـالـهـ مـبـحـيـونـ ، وـ قـدـمـ الـمـرـضـ . وـ أـخـتـهـمـ الـعـلـةـ ، وـ يـغـزـ أـعـامـهـ
 الـطـبـ بـطـلـيـونـ إـلـيـهـ بـقـلـوبـ كـبـيرـةـ ، وـ عـيـونـ دـاـسـعـةـ ، وـ أـعـضـاءـ هـرـبـةـ .
 أـنـ يـتـوـجـهـ إـلـيـ رـبـهـ لـدـفـعـ الـكـرـبـ عـنـهـ ، وـ دـرـعـ الـأـمـراضـ عـنـ
 أـبـداـهـمـ . فـاـ أـفـرـ بـ أـنـ يـجـبـهـ إـلـيـ طـلـيـمـ ، وـ يـدـعـوـ أـنـهـ هـمـ ، وـ مـاـ كـبـرـ

من دخل من المحبين الطريق بعد أن أعلنا إسلامهم بين بيته،
وصاروا بعد أعظم الناس إسلاماً، وأملأهم إيماناً، وأقربهم إلى
الشيخ مكاناً.

كان رضي الله عنه يرى أن الناس مخلوقات الله، وآثار قدرته،
ومن أحب الله أحب عباد الله، وآثار الله، ومخلوقات الله، ولبس
هذا بكثير على من أحب مخلقاً، وعشق هائماً، فإن مجنون للي
كان يحب في النبي نبها الذي يمر، وبيتها الذي يأوي، وآخر
قدمها حين تخطى. فإذا كان هذا الوجد والنعيم بين رجل وامرأة،
أ فلا يكون حب الحبيب الأعظم، والخالق الأوحد. أولى وأشد
كان بعض الإخوان يجار بالشköى أبا أمام الشيخ رضي الله عنه من ظلام
ظلمه، أو جار جار عليه، أو حاكم احتطده، فما يزيد على أن يقول
له حاول في أن تعلم ما يطلب وبيه، وتحمل، فإن من تحمل ظلم
ظالم، أو جور حاكم، أو إساءة معتد، كان من أصحاب العزم وإن
أقه بيته الناس بالناس، ليعلم الصابرين، وهو العليم. ثم أخذ
رضي الله عنه يقص عليه وعلنا ونحن جلوس في المجلس هذه
الحكاية قال رضي الله عنه: «كان هناك مرشد لشيخ، وكان هذا
المرشد أدولم إخوانه على خدعة الشيخ، وأقربهم بجلساته، فصره
ذلك، فلما كان في يوم، طلب منه شيخه أن يلقنه اسم الله الأعظم،
فأممه الشيخ وماطله، وهو يلح عليه ويلح في الطلب، فلما رأى
الشيخ منه كفه، أمره بأن يجلس على باب أبي الفتوح طول يومه،

ثم بفضل راجعاً بما جاء فلازم المريد الباب ، حتى غابت الشمس ،
 فرجع إلى الشبع فـأله عمارأى ، فقال : ما رأيت شيئاً ذا مال ، إلا
 أن خطاباً كان يقوه جيلاً عملاً بالخطب ، فرجم الباب ، وكان هناك
 فارس يليس شارة الأمراء ، قد خدشه خطب الجمل ، فنزل عن فرسه
 وأوجع ظهر ذلك الخطاب بسوط كاو ، حتى مزق جميعه نزيفاً ،
 والخطاب صابر محتصل ، فـأله الشبع قانلا : لو كنت مكان الخطاب
 ماذا كنت صانعاً ، قال : ما كنت أنتظر حتى يكونى الفارس
 ظهرياً بسوط واحد قبل أن أدق عنقه . وأظلم عليه . فضحك
 الشبع ثم قال : هذا الخطاب يعرف اسم الله الأعظم ، فهو أنه ثلاثة
 لقتل الفارس ، ونفق الفرس ، أقامتك على سر الله وأنت طائش
 مبتشار ، ثم أردف شيخنا رضي الله عنه يقول للأخ : انتظر صبح
 الرجال وقرة احتمالمم لعباد الله ، أفتريد أن نصار جاراً الكلمة
 نائية أسعكها ، فلعلك لو تجاوزت عنها وزركتها حبة لوجه الله
 أثر في ظالتك عفوك ، فتوب عن ظللته وتعذرمه .

وما من متابعة تمر إلا وتسكشف عن هذه الناجية الخيرة في
 شيخنا رضي الله عنه ، حتى في ساحة مولد النبي صلى الله عليه وسلم
 حين تدور نفحه الطعام على إخوان الطريق ، وبهزائم بعض
 المفرجين في ساحة المولد على أحد تصب منها ، ويحاول بعض
 الإخوان عدم عن ذلك ، فما يكاد الشيخ رضي الله عنه يلعن ذلك
 حتى بأمر الإخوان يفتح الطريق لهؤلاء الناس . فصيروا من

الطعام ما يشتهون ، فدخلوا سائرهم فرادى وجماعات على اختلاف
نحاجهم ومتابن آذانهم .

حقاً إن الروح العالية لا يتعلها الحيز العيق ، فهي تفطر
إنساعها تجعل رحمتها ونعم بركتها كل ما تحيط به من آفاق .
وقد كانت روح شيخنا رضي الله عنه من الصفاء واللائاع بحسب
تلعل الغير فتطعنه . والمكوب في عه . والعائز فهو عه . وصدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « الفقراء عباد الله
وأحلكم إلى الله أحكم لعباده » . أو كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

إذا عرفت هذا بما أتي في الله ، فاعرف ، ولا إخالك إلا
عارفاً ، بأن شيخك وصواني الله عليه كوكب الجليل ، وواحد
عطارد - حضرنا الله وإياك مع الأبرار والصالحين ، وهذا مما
وهذاك الطريق القويم ، بعاه سيد الخلق الصادق الأمين ، صلى الله
عليه وسلم وكرمه وعظم

ومن قوله رضي الله عنه في عدم احتقار أهل الدنيا :
« لا تختقر أهل الدنيا ، ولا تركن إليهم ، فإنك إن احترتهم
فيهم عبده الله ، وإن رکنت إليهم كنت رجعاً عنهم . كأن
دنياهم رحيبة عندك » :

صاحب إذا صاحت ذا أدب مهذب زان حلقة حلقة

و لا تناصب من في خلقه شرآ فإن الصناع تزلف
إرحم بي جمع الخلق كهم دراج في كل خلق حق من خلقه

إن المحب إذا أحب حبيه اللقاء يبذل فيه مالا يبذل

الكرامة

الكرامة: معناها إكرام الله بعض عباده الصالحين وهي على
مشروع كبيرة:

العالم الذي يوحى، عليه لغة الناس، فيرسلهم إلى أحكام
الدين وتوحى الشريعة، ويصر لهم بما أحله الله لعادته و بما حرمه
عليهم، ويبيّن لهم الصراط المستقيم، الذي لا يصل على سالم،
ولا يهلك به سار، يكون قد أكرمه الله بالآية حلول العلم،
ورشاح المعرفة.

والمرى الذي يهلك عاله في إقامة عمرة العاشر، وسفر جم
الناجي، وسد عوز المخائم، ويتعاون في مشروع خيري يهب
لتربيض الصحة، والمجاهيل العلم، وللبقيم المكن والمطعم، كفر نع
المضاجات، وباء الملاجئ، وإعداد معاهد التعليم، يكون الله
قد أكرمه بالثواب.

والحاكم الذي يقيم ميزان العدل بين المحكومين، ويزود عن

حركات الوطن، وينتوخ مصلحة الأفراد قبل مصلحة الشعوب
يكون أنه قد أكرمه بهذا السلطان.

و كذلك المدرس ، والطبيب ، والمهندس ، ومن إلى منزلة من
أوتاد اللاد الذين قرر همة الجماعات على كواهلهم ، إذا رأفوا
الغیر في أعمالهم ، وأدوا أمانة الله على وجهها الخالص ، يكون
الله قد أكمل مهمته بهذه الصائمة .

وقد يكون العلم والغراء، وللطعن الحكم والماهين الأخرى فـة،
إذا مال أهلها عن الجادة، وانحرفوا عن الطريق.

وهكذا لو ان آخر من الكرامات خاتمة بالالكون ، وهي ايضاً على مصروف :

مها ما يفجع الله به على قلوب العارفين من أمره ،
(اتقوا الله ويعلمكم الله) .

ومنها انعاء قلب العارف إلى شئ من الأشياء، فيتعامل ذلك الشئ حسماً يربده.

ومنها الخوارق التي تحدث على غير ناموس ولا قانون إنفرازا
للمقام الأول وإن لم يلحظها أو يدركها.

والكرامة على هذا الوجه الآخر ، أو الوجه الذي قلبه . قد تكون حضرة بعض السالكين وموطن إقامتهم .

أما الأول، الكاملون، فلا يقعن عندها، ولا يخوضونها

داراً ، فهم أبعد عن أن تقف مع هذه المزينة في مقام - وربما
سموا هذه المزينة شهوات ، فعن السالك وتعوره عن الكمال ،
 فإذا طرأت عليهم ، فإن طردهم لا يزيدهم إلا بعداً عنها ، لأنهم في
شغل بمحبوبهم الكامل سبحانه : ومما كان شأن تلك المزينة
فيها لأن عدد أفراد الرجال . فقد تكون أولى درجات الولي
الكامل وإن جفت لها البخار ، أو طارت بها الجبال .

وما تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إخوانه الرسل لأنهم
كان أكثرهم إعجازاً ، أو أفراد مزينة ، فربما كان بعضهم من
المعجزات المادية ما هو أروع مما علمناه من معجزاته صلى الله عليه
 وسلم . ولكن تقدّمهم عليه السلام يسر مكانته ، ودنو مقامه ،
 وقرب حضرته من حضرة الله .

وسبحنا اللهم سلامه الراضي رضي الله عنه ، أبعد ناراً .
 وأفع باعاً وذراعاً من أن تقدّم مكانته السامية بما يود أن يحبه
 له منها بعض حضرات الإخوان ، وجزي الله أباذاذنا الله إبراهيم
 سلامه خيراً الجزاء . فقد تقدّمت إليه بمحصول وافر وبمحظوظة
 عظير على يدي والده الكريم الحليل بين سمع الإخوان ونظرهم
 فقال ابن الأر ابن الحبر الكبير : (اضرب سفحاً عن هذا كله
 فإن قيده الرجال ليس فيها خلفوه من كرامات . ولكن قيدهم فيها
 خلفوه من أعمال ورجال ؟) . فوقفت أمام هذا التصرّف موقف

المهور الخجل ، ولكن سرى عنى أني أهان عقل كبير ، وخلق
كريم . وشل عظيم ، عودنا ألا نخفل إلا بالجليل الذى يعطى جيلاً.
والآخر الذى يغدو جيلاً وأجيالاً ، والصوت الذى يدوى في الها .
فلفت كـ اكب الأجواء . قال لهذا القول قلي ، وانصرف عن
مجموعته ذلك ذهني . فأقيتها والله حرمتا عليها ، آسفأً لعدم تمكنى
من أن أسيطر هـ سطوراً ، وأبشرها وروداً ، وأرسلها نوراً ،
تعطى لنظر فارسها لوئماً ، ولا أنهه أرجاً ، ولعله ضوءاً .

على أني مع هذا أستطيع أن أجمل لشيخنا رحمى الله عنه
ظاهرتين كثيرتين ، وعملين خطيرين ، وكم اهتم لحلها أثر بعيد ،
وقدر حميد ، لأنهما أبقى على الزمن من أن يطويهما الزمن ، وأبقى
للناس من أن يتلاهمها الناس ، لأن كل فرد من الأفراد اتصل
 بشيخنا بصلة لا يزال يتذكر من دوحتهما خلا ، ومن فروعهما ،
غيرا ، ومن جو هما نسبها بليل .

كرامات الشیخ

الكرامة الأولى :-

من المعلوم أن سيخنا رضي الله عنه لم يرث عن آبائه وأجداده
شيخة طريق ، ولم يكن حتى في أفراد أسرته الكريمة هذه الشيخة
بل تنشأ فرداً كسائر الأفراد ، فرداً عادياً ، ليس له ولا لأبويه
من حزان الأرض إلا سر الله الجليل ، فلما وقف على قدميه ،

ودخله تفكير الأطفال، أو دعوه أبوه مكتب المخى، لحفظ القرآن الكريم في مطابق السنة السديدة، وتلك ظاهرة تدل على أن استعداده يغایر استعداد لداته، وأن الله الذى منحه هذا الذكاء وتنقى القدرة على حفظ مصحف لا ينطبع طفل في مثل سنه بدرك (ما هو هذا المصحف)، أقول إن الله الذى مهد له هذا كله كان قد اذخره لدينا برقة حرواثها ويعطى خلتها ويرفع غنايتها عن ابتنى بها من عباد الله.

فما أن حفظ القرآن الكريم وأجاد الكتابة حتى أدخله والده مدرسة ابتدائية عامة يواصل فيها تعليمه شأن الغلستان من أبناء جهة، ولكن كان لطبيعته الصافية وغير زنة الحالصة سهل لا يستقيم مع هذا اللون من التعليم، فعزف نفسي عنه - ولا غرابة في ذلك. ظال يلح عليه اللام لم تنقم في نظره حرفة التجارة التي أرادت تأمه النول رضي الله عنها أن تأخذها بها، لانه كان مدحراً لغيرها - وكذلك كان شيخنا رضي الله عنه. فما أن اعتزل مدرسة المخى حتى ابداً يتذوق طعاماً جديداً، طعاماً لا يجده مدرس في قصبه، أو كتاب في مدرسة، ولكنه محروم على موائد خلصاء العارفين، خام حوله، ثم التقى منه فناناً متذوقه ظاشهام، فطعنه بشبة ملحوظة، وغازال يتصف ويشرب، حتى املاً، املاً يطعم يرى في القلوب نوراً، وفي الأرواح راحاً، وفي الوجدان

الشراحية ، ففاضت هذه الأنوار القدسية ، والأسرار العرضية ،
والملائكة الخديبة ، من باطنه إلى ظاهره ، فرأى فيه السعداء من
الناس تجليات تغطى على وجهه ، ولهمات ثب من أرداه ،
وشهادات تبل على لسانه ، وحکماً أفيض من جانبه . سعروا على
كفر يحيوا عنه طويلاً فاختلوه ، وسر كان مخصوصاً في جوانح
العقب فتفقره ، فتحرطوا به نحو ط النحل على الخلبة ، فشرعوا من
دنياه علا شيئاً .

كأنوا طليعة جمادات، فا زالت تكبر وتنكر، وتفيض
ونفيس، إلى أن أخذ عددها ما بين المغارب والمغارب، فن أقصى
البلاد إلى أقصاها، تتلاطم أمواج حامدية، وأعلام شاذية.
فاستظللت البلاد بظلام، وأشرقت الأرض بور رها.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَا يَهْدِي اللَّهُ بَشَرًا
وَاحِدًا خَيْرًا مِنَ الدِّينِ وَمَا فِيهَا) وكيف وقد رفع الله به آلاها
وآلاهاً وجماعات تقفو جماعات ، من ضلال الفتن وبراثن الشيطان ،
خلعهم من سلاح الرذيلة ، وأسكنهم إهاهاً من الفضيلة ، وأخذ
بحجزهم عن الناز .

تعلم به القريب والبعيد ، وجرى اسمه على لسان الصغير والكبير ، فرع إله شباب مسيحيون بأسمهم على الطاعة وبدان دخلوا في نور الإسلام مؤمنين .

هفل لى يائة آية خارقة وإن جلت . ومعجزة وإن بعدت ،
أرفع من تلك الخارقة قبرًا ، وأعظم منها خطرًا ٦٦٥ رجل فرن
النفت عليه أشخاص ، وتوأكبت عليه الجامع ، فأصبحوا بعون الله
إخوانا ، أبا كرم الله خاص أولاده ، وأصفياء جلائه . ونداء
كأسه ، بأكرم من هذا وأعظم من هذا ، إنما الشعس إذا طاعت
أصناف تجوم الدهاء ، وأضوا الأفوار ، ومنحت الناس العافية
والحب الكبير .

كأنك شمس والملاك كراكب إذا طلعت لم يبد مهن كوكب
فأين هزلاء الإخوان الذين ضاقت بهم الحقول ، وامتلأت
بهم الجواب بعد انتقاله رضي الله عنه ، إلهم هم هم ، لم ينقص مهم
عدد ، ولم يفتر لهم مدد ، ولم ينفت منهم أحد ، كلهم على الوفاء
صريح ، ومن بحر الشيخ يغترفون ، وعلى يابه جالرون ، ذكراته
العزيزية في قلوبهم ، وهذه المحبوب أحب عبوبهم ، ونحوها
الهزيمة طائفه بهم في كل مشرق شمس ، وطلوع قمر ٤٤٤
إنها لكرامة من الله كريمة ، وسراة زفباء ، أن يحفظ الله أباها
الشيخ من الصياغ ، ويرفهم بالحضا ، ويقيمهم على الولاء ، وتلك
مزية لم تسبق لولي ولم تتبصر لعارف قبل شيخنا رضي الله عنه .
ولو رجعنا بالزاجع إلى عصر الفشيري رضي الله عنه ، لرأينا
حياته تلك المشرفة بآثار الصوفية ، وزلا ، ساحتة من حبي حكمه

الإلهية ، وتهافت الناس على تعابجه الربانية ، تغصى يوم قضى رضي الله عنه ، فقد تفرق ماتجتمع ، وتفتق ما ترق ، وعصف الزمن بأبنائه وأرائه جبوا ، ولم يبق له من ذكر إلا رسائله التي احفظتها الكتب وغابت في أعماق التاريخ .

وهذا سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه بعد ، أن فتح البلاد ببور عليه . ونور القلوب بشكاة هدية ، وجمع الصنوف على موائد ربه . لـا أن استقل إلى جوار ربه الكريم . حتى مال علم طريقته ، وتفرق شمل إخوانه وأهله عقد جماعاته ، ولم يبق منهم بعده إلا تماراً هنا وهناك ، وذرات منطادرات ، لا مرأة لها ولا صرفة ، ولا حول ولا قوّة ، ولو لا أن قبض الله بهذه الطريقة الميمونة بيدي سلامـة حـسن الراضـى شيخـاً الـكرـيمـ بـلـجـعـ شـانـهاـ ، وبنـى قـوـادـهاـ ، ورـفـعـ ذـرـوـتـهاـ ، وـأـعـادـهاـ جـدـهـ . لـاـنـحـتـ معـ الأـيـامـ دـأـلـتـ الروـحـ لـلـرـحـمـ .

وغير هذين من مصلحين من غربت شموس معارفـهـ في خلام قبورـهـ ، وـأـنـحـتـ تعـابـجهـ بـسـاحـةـ الـقـبـارـىـ والأـيـامـ .

ولـكـنـ أـكـرمـ شـيخـاـ رـضـىـ اللهـ عـنـهـ بـكـرامـةـ كـبرـىـ ، وـمـزـلةـ عـظـىـ . لـاـنـ حـفـظـ شـخصـهـ فـيـ قـوـبـ مـرـيـدـيـهـ . وـسـرـهـ فـيـ أـرـواـحـ عـيـهـ ، وـذـكـراـهـ فـيـ جـمـوعـ عـارـقـيـهـ . وـإـنـ تعـابـجهـ لـتـسـرـىـ سـرـيـانـ الـبـرـ فـكـدـ الـهـاءـ ، وـمـيـادـهـ لـجـرـيـ فـيـ قـوـبـ الـأـصـفـيـاـ ، جـرـيـانـ الـرـوحـ

فِي الْأَعْصَاءِ، وَأَخْوَانَهُ فِي مَدِينَةِ الشَّامِ لِتَنْبَهُ إِلَى مَنْ يَمْلِأُ
الْعَدُونَ، وَلَقَدْ نَمَا عَدُودُهُ وَزَادَ، وَلَا زَالَ حَدِيبَةُ مُنْشَرًا فِي
الْبَلَادِ، وَسَبَّابُهُ وَيَسْتَرُ بِقُضَى أَفْهَ وَعُوْنَهُ، وَتَوْفِيقُهُ وَمَدْحُهُ،
مَا خَطَفَ خَاطِفٌ وَمَا رَقَ بَارِقٌ.

إِنَّ فِي الْبَاقِي سَرِّ الْمَاضِيِّ، فَبَدِئَ إِبْرَاهِيمَ تَحْلُّ الشَّيْخُ الْعَظِيمُ،
وَخَلِيفَتُهُ الْأَمِينُ. لِيُسِيرَ بِالْأَمَانَةِ عَلَى بَصِيرَةِ مِنْ قَلْهُ. وَنُورُ مِنْ
رَبِّهِ وَمَدْدُ مِنْ أَبِيهِ، وَلَقَدْ كَثُرَ فِي عَهْدِهِ نَزْلَاتُ الْطَّرِيقِ. وَزَادَ عَدُودُ
عَدُودًا، وَفَيْضُهُ مَدْدًا، مَتَعَا أَفْهَ بِعْجَانَهُ. وَأَسْعَدَ أَوْقَانَهُ.

الكرامة الثانية

عَلَّا أَنْ شَخْنَارَ حَنِي أَفْهَ عَنْهُ لَمْ يَتَنَاهُ مِنْ صُورَهُ عَلَى عِلْمَ
مَدِينَةِ، وَلَا مَاهِلَ أَزْهَرِيَّةِ، لَأَنْ هَذَا كَلْمَهُ لَمْ يَتَشَعَّبْ عَنْ غَرِبَةِ قَطْرَتِ
عَلَى اسْتَعْدَادِ حَاصِّ، وَعَلَّا أَبْعَدَا أَنْ رَضْوَانَ أَفْهَ عَلَيْهِ مَالَ بَكْلَبَهُ
لِلْعِلَمِ الْصَّوْبَيَّةِ، فَشَرَبَ مِنْ مَاهِلَهَا وَعَبَ، وَنَاهَ فِي أَسْرَارِهَا
وَقَابَ، وَطَوَى فِي أَنْوَارِهَا وَنَشَرَ، حَنِي صَفَّتْ فَهُ مِنْ الشَّوَافِبِ
وَتَطَهَّرَ قَلْبَهُ مِنَ الْعَلَاقَةِ، وَضَامَتْ رُوحَهُ بِأَنْوَارِ رَبِّهِ، فَزَلَّ أَفْهَ فِي
قلْبِهِ نَزْوَلًا رَحْمَانِيًّا، لَا يَأْبَأُ وَلَا كَيْفُ، وَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ يَتَأْفَهُ.
فَأَيْهَا مَعْرِفَةُ مَلَائِكَةِ مَا يَبْيَنْ جَانِحَتِهِ، وَأَيْهَا عِلْمُ أَخْلَقَتْ مَا يَبْيَنْ قَطْرِيَّهُ،
وَأَيْ فَيْضُ الْمَهِيْقِيِّيِّيْسِيِّ، وَسَرِّ مُحَمَّدِيِّيْ أَحْمَدِيِّ، وَقَبْسُ مِنَ السَّيَّاءِ

ملائكي ، نزل في أكرم بقعة من قلبه . وأعلملا وعاء في حمه ، وأرحب ساحة في روجه . علوم حضرية جلاها الله في شخص أكرم حمه بالرسالة ، وشرفه بالإمامية . وأنزله منزل مدق عد ملوك مفتر .

هذا هو بدي وبدك أيها الاخ الكريم . لم ينتفق في مدرستك كائن تخفف أصحاب الإجازات ، ولم ينبعن أيام مدرس في استفادة أو إجازة . ولكن اخت له هو الرؤوس ، وفتحت له القلوب . ورثت من ورده الصادى . وامتلاه من عليه الخاوي .
قصد الجلة من كبار العلماء ، والنخبة من أساطين الحكمة ، والمرذون في نواحي التعليم ، فتساووا أتقهم به فوجدوا أنفسهم واقفين على أول درجات علمه ، وبينهم وبينه مراجع مابين الأرض والسماء ، فنزلوا في محله كطلبة ، وتحققا بعذرته كلاميد .

قد يعجبك إذا مررت بقصر مشيد ألوان أنواره ، وغادي نسائمه ، وارتفاع بروجه ، وزخرف طلائه . فهو قلت نظرك من ظاهره إلى باطنه ، جلوت سر هنته . وفكرة صالحه وحال نكوبه ، لرأيت أن ما همت به ينبعاً وما قدرته فدراً إنما هو ، حال طفح من باطنه إلى ظاهره ، وكامل حال في أديمه من سر نكوبه .

إذا أدركت هذا فاعلم أن كل علم فباء ، ودرس ثقباء ،
وقضا عنده كا وقف المعجب بهذا الفصر ، الذي تب فاتمه ،
وتجابه أواوه ، وتطل شرفة خب ، وفانا البحث عن سر
هذا المجال ، وأصل هذا الكمال ، فقاتنا التي . الكبير .

إذا أدركت هذا مرة أخرى ، فاعلم أن علم شيخنا رضي الله
عنه علم الحقائق والأسرار ، لا علم الأوراق والنوار ، علم تضرب
عليه آيات الإبل ، وتمتد به الطريق ، وما يلقاها إلا الذين صبروا
وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ، صدق الله العظيم .

هكذا مطلعاته العديدة المليئة . انظر إليها وتأمل فيها تحد
نوراً ينزل ، وحكماً تدفق . وقطعة يجد العقل فيها ساله ، وإكراحاً
يجد القلب فيه إربه ، وسرأً تشكل به الأرواح بخمرة الفتاح .
لبيت علوماً كثيرة العلوم التي يخرج منها القاري . ليقول ما أحلاها
وما أبلغ عباراتها . وما أحسن صيغتها ثم لاشيء . بعد ذلك ؟؟
لا ولكتها علوم يخرج منها القلب بحظ ، والعقل بكسب ، والروح
بهدي ، هي علوم نورها في سطورها ، وعطرها في عباراتها ، وسرها
في كل معنى مطروق ومغزى يسوق .

هاتوك شيئاً رضي الله عنه مفيداً إلا وقيده ، ولا ناجية غبة
نائبة إلا وقربها ، فلم يحوج تلاميذه إلى أي ملقط يبعد عن يده .
ولا إلى أي غذاء قصى عن مائدته الحافلة بألوان المعرفة .
 وأنواع العلوم .

ولقد أفردنا في هذا الكتاب بباباً يحوي ما وقنا عليه من
مؤلفاته ، فارجع إلى تلك المؤلفات فإذنك ستجد فيها القلم الجبار ،
والمنطق الأخاذ ، والعلم المكين . والرأى السديد إن شاء الله تعالى .
هاتان هما الكراحتان الباقستان مابن الليل والنهار ، يجري نفعها
في كل قلب ويسرى نورها في كل فرد ، بل قل هما ميراث الشيخ
رحمي الله عنه الذي أورثه أحبابه ، وخلقه أبناءه ، وروبه خاصة
المسلمين وعامتهم ، وإنه واقعه للعروفة العظيمة والخير الكبير .

فأين من هاتين عين برئت بلس ، أو نلبة من أبناءه حل
عليك بقطة بعد مرتبة ، أو ، أو ، ما لا يحصى من كراماته .
بودى واقعه لم يمتلك من الدنيا نهباً ، ومن القراء حظاً ،
ومن الأرض كثراً ، لافت لهذا الشيخ الجليل ، والعالم العارف ،
والول الواعظ ، شيخ البدلة حسن الراضى رحمى الله عنه
مجدًا لامن لبات وحجر ، ورمل ودر ، بل من ذهب خالص ،
ولتوتو نادر ، وجوهر ناضر . وقل له ذلك — ولكن ماحيلني
والباع قصير ، وسيف النصر قبر ، والإله حير .

ما كل ما يتعنى المرء بدرى تأق الرياح بما لا تشتهى السفن
سلام عليك يا سيدى في الحالدين . وسلام عليك في الصالحين ،
سلام عليك إلى يوم الدين .

إذا غلب الوجه والإفحاص

لأهل المسوى والجوى لا جناح

الحج المبرور

عزم شيخاً رضي الله عنه على أداء فريضة الحج، بعد أن أعد هذه الفريضة ما اقطعه من دخله في سنوات قدره البعض يناتي جبه، ولو استطاع أن ينقل الدنيا بعذافيرها إلى جهان الرسول الكريم لفعل.

وما كاد هذا النبأ يتراءى إلى آذان أحبائه، حتى بادر من سبق له من الله الحنى، ولا حثه العناية والسعادة إلى ملازمته في هجرته تلك، فما جاءه منتصف القعدة، وحدد الشيخ رضي الله عليه يوم سفره، حتى رمت الفطارات، ومتفرقات البيل، إخواناً من كل فوج، وأحباباً من كل وجه، ازدحت بهم الفادق وضاقت بهم المازل، وقد وقف رضي الله عنه بين هذه الجموع الخائدة، والطوابق الزاحفة، والمدد المتلاحم، يصافح هذا، ويدعو لهذا، ويجمع دعوه باك، ويودع من ألوف، فإذا ركب سيارته إلى السربس زحف وراءه رتل من السيارات، عليه مئات من الأحباب وما أن أخذ مكانه من المقبة حتى غطى المودعون سقباً ويطها في رحمة حابفت كثيراً من الحجاج، وخرجت البالغة على الطائر المبعون، والطالع للبع، تقطيع أنابيع البحر وتهد جبال الأمواج، كأنها أهبت بأن على ظهرها إنساناً ليس على غرار الأنفاسى، وشيخاً لا كل الشيوخ، فاتهانت بالغير، ومضت آمنة كأنها تنتهي على قضيب من حديد.

وصلت السفينة إلى جدة ، فاستقبلت جدة حباً من ذرية
الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسطأً من سلالة على كرم الفوجيه
فأخذته على رحب راجع . وسعة عظيمة . حتى إذا نحول إلى مكة
وزار وطاف وأعتمر ، أسلم منه إلى جهاد كبير . يضى يومه طائفًا
أو زائر ، وليله في فراحة وسجود ، لم نكتحل عبه يائمه الكري
إلا ساعة بعد صلاة العصر . بقوعه وإشراقه الشهي في مبعد .
ونظر له أن يقيم الطريقة معالم في بلاد لم تر مثل هذه المقامات .
وقطر لم تسرج في سمائه رايات الذاكرين .

فأقام حضره ذاكرة مهد لها بوك كبير ، بالرغم من أن
المجازين يدعون هذه المظاهر دخيبة على معتقداتهم ، أو معايرة
لعاداتهم . في إقامة شعائر الدين ، ولكن قاتل الحضره وسار
الموكب ، ونحوت الطربقة ، ومن الغريب أن يقول : واقع
المجازيون بعد أن شرح لهم الإخوان ما هي الحضره . وما مر بها .
وما مكانتها في السير ، وما أهدافها من الدين ، فرجعوا مقرئين .
ولقد أعادها الشيخ كرمة أخرى في المدينة المنورة ، أعادها كرمة
منية حبة تنفس بالطيب وتر العيون ، وتأخذ بالقلوب .

فانا إن الشيخ رضى الله عنه مكث ماشاء الله أن يمكث في مكة
حتى أدى فريضة الحج طاري العطش ، ساهر الجفن ، معزز
المسجع ، ثبيه المقة . وتکفيه العصوة ، لم يترخص في شجرة

واحدة من شعائر الحج ، يبدو قوياً فتاً جداً ، كأنه في إعاب
شأب لم يتجاوز الثلاثين ، بخراج إلى الحرم في الطهارة ونورة
الشمس يطوف ويزور .

حقاً إن الأرواح القوية لا يعبها جسم ولا تقيدها شبحوحة ،
فهي في عرضاً واتسراً حما في عزم كبير : وويل لهم ويل للآدمي
من أصحاب العزائم والهمم .

قص على الأخ الكريم الحاج محمد سليم : بأن حضره الشيخ
رضي الله عنه راح في موسمه بكاء ، عالية ، وغبرات دافقة ، وزفرات
كاوية ، في مكائن مختلفين : الأول في الشوط الأخير على الصفا ،
والثاني حين استقبل جده الحبيب في أول زيارة له في المسجد المبارك .

قال للحاج محمد سليم : وما السر في هاتين المدعتين . في هذين
المكانين ؟ قال : قد حاولت أن أعرف سرها منه رضي الله عنه
فذهبت محاولاً في أدراج الرياح ، فائفت أن لم ينفع كشف هذا
السر العظيم . ولكن ربما كان في هذا :

إذا جاء حبي وأهدى اللام فقد نلت قصدى وتم المرام
عنولي رعاي بضم الملام ولكن فرادى يكم مسهام
ودمى علبيكم بزيد السجام ومني علبيكم دراماً سلام
فخروا وحياناً على جدنا لعل فوادي يسأل المرام

وفاته رضي الله عنه

لما انقل الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى أخضم في موته
صاحب جبلان . فهذا عمر بلوح سبفه في وجهه من يقول بوفاة
محمد حملوات الله عليه حتى خافه الناس . وهذا أبو بكر بصفد المبر
وينادى في الناس : « من كان بعد محمدًا فإن مهداً صفات ، ومن كان بعد
الله فإن الله حق لا يموت » . ويعقل كلّه عمر فيخر بين تشيح ودموع .

لام لوم على عمر ولا تزب ، إنّه هو ذاهل عن نفسه ، وغافل
عن وعيه ، فعل من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلوح عمر
ويطيش له . إنّ الطليم الذي يتصدر الدنيا . ويوضع خوانها
لخير لأنّ نجوى له المروع حزناً ، وتبيل عليه التفوس حسرات .
ولقد انتقل شيخنا الحبيب . فصرنا كيف يكون الألم في القلوب
والحزن في التفوس ، وال عبرات في الآفاق .

إن آخر سفرة له كانت إلى حلطا ، حيث خضر إخوان حلطا
وطلبوه إلى الشيخ رضي الله عنه تشريف بلدهم ، فانتقل إليه
وذكر بين ظهرانهم ماشاء الله أن يذكر . ثم أخذ ينتقل بين
آباءه وعبيه في قرى الأحباب ومضنهم سعة أشهر كاملة ، تاركاً
بيه وأبنائه في رعاية الله حتى اشتكى رضي الله عنه بحاجة الرجل ،
إثر جهده الجيد . وكدحه الشاق . تحمل إلى القاهرة ، ولكن العلة

أشدلت عليه . والمرض ألم ، ومع هذا فلسانه كان مرهقاً بذكر الله . وكان وعيه حاضراً . بكل لدبى الألح الصن الأستاذ عطية المكاوى إذ عز عليه مأفيه من مرض . وهو الذى كان فوق القدرة . وفوق الأحداث طاقة . قال : سوابق المصم لا تخرق أسرار الأقدار . وقد استند الأطهاء أفراداً وجماعات كل ماف وضعهم من غير حلائل ، ومن غير رحمة بوجودهم . كانه كان على علم بما سطوه الأقدار . ولكن الإخوان الولامة المalaة لم تنفع أن تنزل عند رغبته في عدم استدعاء الأطهاء ، وهو أليم المقصد ، وروحهم المستقرة ، وحياتهم الخبة – ولو أدركتوا إشارته رضي الله عنه في حكمته تلك التي أنذر بها . لوفروا على أنفسهم ما يرجونه من أهل ، وما يأملونه من غاية – ولكن الله يريد أن يرجع هذه النفس المطمئنة من علو السرى ، ومثاق الجهد ، ومناعب الحياة ، فرفعت روحه كريمة إلى عالم الملائكة ، ثالث يوم الأضحى عام ١٩٣٩ م ، في منتصف الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ٣١ يناير . ودفن في أول فبراير – وقد حف الإخوان إلى مواراه جثمانه الطاهر بين أشدة تبرّق ، وعيون تفاحت ، وحالة :

تصنم الأذان وتعمى العيون ويسأل من مثلها العافية
ولكن ابن يوارى في الأرض ، ومكانه لو أنيف القدر في
السماء ، تخبر الإخوان ماذا يفعلون ، ولكلهم ألموا بأن سفره

الكريم لا يمكن أن يكون في غير المسجد المجاور مسجد الشيخ سليم، فاتجه عزّهم إلى ذلك بالرغم من خالفه لowanع الحكومة ومعارضه الموكيل بإدارة المسجد وقد ذاك . . ولكن جثمان الشيخ الطاهر يدفن في المسجد ، وفي المكان الحبيب إليه الذي كان يختار الجلوس فيه وهو على الحياة ، وتفعّل مفهواها وفضاء ، لتحويل جدهم الكريم عن هذا المسجد ، وتفضي هذه المحاولات جميعاً ، ويستقر الجثمان المطهر في مكانه ثابتاً متربعاً . . ولكن الجثمان توارى على سخونة فلا بد من أن يبقى له مكان ذو مكانة ، فيحصل بعد مضي سنة يانثراج جثمانه الكرييم حتى الله عنه يبرئ مدفنه ، فيخرج طرفاً ثدياً مشرفاً كأنه ووري في صلاح يوم الوفاة لم تفوا رحمة الأرض أن ننسى حسه الظاهر ، وكيف تستطيع ذلك وهيكله الشريف ثبت في ذكر الله ، وصدق الله العظيم : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آتوا و كانوا ينتظرون ، لهم الشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة) .

إذا بحثت مكانه تنشقت شذى عرقه ، فتأرجت بطيءه ، ومنت قلبك وروحك بأكرم بقعة وأقدس مكان . ولقد قام الإخوان جرائم الله خير الجزاء بجمع ما قدروا عليه من مال ، وما وافقهم من حظ فرفعوا مسجده الجديد عالي البنان ، مشوق الآركان يشع عليه روح دريجان ، ونور وسلام .

حُبْ جاد بقرونكم سلامه وسائل ربه لكم اللام
 وبر حرو نظرة منكم إله عاه أن ينال بكم مراعمه
 فإن جدتم فاتهم أهل نظر لكم في كل ملة كرامه
 فلكيف يضامن برجو حاكم وكيف يصل من أنت أمامه
 وقد حلاك ربكم يا مسلامه بأوصاف المظلل بالغمامه
 هديت إلى صراط مستقيم قدرت الرجال الاستقامه

مسجد الشيخ

عنى النيل متهد بآبين شاطئين أحضر بين نجومها بمجاجته العذبة
 وورحيقه السليل ، حتى إذا دنا من القاهرة اختال بين صفين من
 قصور تطاول شرقاتها الشاه ، وترس قواعدها على الماء ، شرق
 بنور ينعكس عليه نارة ياقوتة حمراء ، ونارة زمردة خضراء ،
 ونارة أوزورة يعنة ، فتألف من هذه الأضواء على صفحه الماء
 زخارف تغار بها نجوم السماء . حتى إذا رأى بأمواجه الرقيقة ،
 شاهقى سير سيدى أبي العلا كان على عدوته الغريبة فصور الزمالك
 المعاشرة على أنفاس منطقه (السراء والأعلا) ، وعلى عدوته
 الترقيه بقوم الحى الشعبي والمدينة القديمة التي كانت في سالف
 عصرها ، وتلبد بعدها : (ميناء مصر الوجيد) . وقد فرق النيل
 في هذا المكان بين حرين ، حتى أبدعه هندسة القرن العشرين وهو
 حى الزمالك ، وحي لا يزال عدد عبده وهو حى بولاق ، فإن افتخر

الأول بحاله وحده ، رثا الثاني عما جده الفسحة ، وأضرحة
الآولين المباركة .

في تلك البقعة الكريمة يمتد شارع سليمان باتا الخادم ، وفي
طول امتداده يتفرع إلى شوارع جانبية عن يمين ويسار . ومن هذه
الشروع شارعان متلازمان ، أولهما شارع خط الرملة ، وينتهي
باليت الكريم ، والمترزل الرفيع ، بيت سيدى سلامة حسن الرافنى
رضى الله عنه ، ويقع أمامه مسجد الشريف ، وثانهما شارع عرم
بلك ، وينتهي بمسجد الشيخ رحمى الله عنه أيضاً . وعلى ذلك قام المسجد
يعقد بين هذين الشارعين .

أما بيت الشيخ رضى الله عنه ، فككون من طابقين ، طابق أدنى
خصوص لإخوان الطريق ، ويشمل قاعة المجلس ، ومكتب المشيخة ،
وحجرة مشغولة بمحاجات الإخوان ، ودوره للباء وفاء ، وبه
درجان ، أحدهما خاص بآل البيت والزيارات ، والأخر يوصل إلى
خلوة الشيخ ومعالنته .

وأما المسجد المبارك ، فواجهته في شارع عرم بلك ، ويبلغ
الارتفاع ما يقرب من الخمسة متر ، وله أربعة أبواب في واجهته ،
يقع الباب الكبير في الوسط تقريباً . أما الباب الأول فعلى يمين
القادم إلى المسجد ، وهو خصص للزيارات . والباب الذى يلى
الباب الكبير واقع في مواجهة المئذن . أما الباب الرابع فهو اوجه باباً

متوحّاً في شارع خط الرملة ، وكل باب منها مخصص للورقة المياء ،
ويفتح في الجانب الآخر للمسجد نوافذ مميزة .

والمسجد قائم على سطح عالي ، تتسلق بينها زربات كثيرة ومصايف
ضوئية ، تعلو الوانًا مختلفة ، وهي مدلاة من سقفه السامي .

ومبعد قائم في ناحية نواجه الضريح الشريف ، وهو مصوّع
من خشب ثمين ، وزخرفة معجنة تعطي منظراً أحياً .

وأرض المسجد ملحة بلاط فخم ، ومفروشة ببساط فاخرة .
وسقفه رفع زينة زربات بلورية وتهادج به الوان الملائكة ،
وسلامة الهندسة . وهو في المسجد مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم .
ومبادئ الدين وشئون العلوم العامة . والمدرسة خاصة لوزارة
ال التربية والتعليم ، معانة منها .

وإذا دخلت من الباب الكبير إلى مدخل المسجد وأعطيت
المير ظهرك . كنت أمام الضريحين الشريفين ، فالضريح القريب
من الباب ضريح الشيخ سليم ، وهو ثاو بين مقصورة خشبية من
عبدان غرفة في شكل برج .

أما الضريح الثاني ضريح سيدى ومولاي القطب الواسل ، والولى
الكامل ، السيد سلامة حن الراضى ، وهو مكون من مقصورة
خشبية ثانية ، بها باب صغير يفتح في المسجد ، وداخل المقصورة
تركيبة خشبية مكسورة بحرير أطلس ، ومنقوش على الكوة آيات

فراتة ، واسم الشيخ الكريم بخط جبل ، وفي حماه التركية مصايف
لونية تفضى بلون مثيل ، ونطلال التركية الجبلان الطاهر الشرف ،
إذا كت أمام الضريح ، فارفع يدك إلى السماء ، واطلب
ما تشاء ، تتل ما تشاء ، وقل .

من أملك لرغبة فيكم جبر _____ ومن تكونوا بأمر به ينتصر

ثم أطلق مشاعرك في هذا المقام ، وشم ريحان هذا المكان ،
وقل معى :

أبداً تخن إلكم الأرواح ووالكم ربها والراح
وقلوب أهل ودادكم تناقضكم وإلى لذذ لفائمكم زرائح
وارحة للعاشقين تكلفوها ستر الحية والمحوى فضائح
ولقد قام الإخوان مشكورين بجمع ثبرعات لإقامة المجد
بعد اسغافه رضي الله عنه ، وقد جعوا حصيلة كافة أو دعوه خزانة
الأخ المحترم الحاج إبراهيم عمود . فهضر مشكوراً بينما هذا المجد
الكرم والتعفة النادرة على وجه فريد . ولنق يطبع ، بخواه أنه
وإخوان الطريق خير الخزا .

الابن البار

وليس أب من سيدى إبراهيم سلامه بايه ، وكله ، بار ، بمعناها
الحقيقة ، لا تطلق إلا عليه ، ولا تعرف إلا إليه .

ولقد أودعت بعض خصائصه في أبواب سابقة، ولكن رأيت أنها لا تشفي غلة ولا تكفي متربداً. ففضلت أن أسرد بعض نواديه التي لم انعرض لها. وأينما يتواجد قلم أضعف من أن تقع قلم بأمراضها كثيراً، أو تحيط بأمراضها المتعددة في أرجاء الكمال.

وغير العظيم، لا يتعرض لها إلا غول الكتاب، ولا تناوشها إلا الأفلام القرية. وأقى لـ هذه القدرة التي أجهز بها ذلك المحرر الناجح والخضم المترامي الشواطئ..

على أن الغائص في أعماق البحار إن لم يُمْكِنْ أن يُقْدِفَ الناس
بجواهرها، فلَا أقلَّ من أن يعلن عن أماكنها، فلَذِكْرِي أنا الذي أَنْهَى،
وأَلْبَكَنَ غيري الصائد، والحياة حظوظ.

فت : إن بدی ابراهیم ولد مکفول الحياة بین والدین کریمین
ملحوظاً بین ربه ، مصنوعاً على عیه ، وذلک أنه سق ف عليه
جل شانه ، أن يكون له يوم بذر فيه عجلة الإمامة . ويزمل
بوشاح الخلاقة ، ومن كان كذلك لا ينشأ كما ينشأ الناس . ولا
يجرى على هر قدم . فكان من نعمته طفراً ومهد طفولته .
ثالاً مستقلاً ، لم يجئ إلى عبّت الأطفال إن كان في عنيهم ما يجر
اللائمة ، أو يثير غاراً . ولم ير قط في مكان تأخذ به عین متقدة ،
أو آلة متدرة ، حتى إذا انسلخ من إهاب طفولته ، وفتح من
براعم أول سنواته ، خطا إلى التعليم العام مختلفاً إليه مصححاً . ورائحة

مَهْبِبًا ، لَمْ يُشَقْ عَلَى مَدْرَسٍ فِي رِجْلِهِ ، وَلَمْ يَنْعَصِهِ فِي لَفْظَهِ ، وَلَمْ
يَجِدْهُ فِي نَفْسِهِ قَوْمًا شَاهِدَهُ بَعْنَ الْمَدْرِسِينَ فِي تَلَامِيدِنَا مِنَ الْوَانِ تَدْوَرَ
لَهَا الرَّأْسُ ، وَتَنَاهَى الْحَقِيقَةُ . حَتَّى كَانَ يَوْمُ اسْتِغْلَالِ أَيْهَ إِلَى الرَّفِيقِ
الْأَعُلُّ إِذْ حَلَّ أَمَاتَهُ تَلَكَ النَّفْيَةُ ، وَهُوَ لَا يَزَالُ فِي أَوَانِلِ الشَّابِ
وَأَوَانِرِ الصَّرِّ وَالْأَمَانَةِ ثَقْبَةً زَهْنَ كَوَافِلَ أُولَى النَّسْطَةِ مِنَ الرِّجَالِ ،
فَكَيْفَ يَنْ لَا يَزَالُ فِي عَمَرِ الزَّهُورِ ؟ ! وَاجْمَعَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَوَاحِدَةِ
دَرْوِسِهِ ، جَمْعَ بَيْنَ وَاجِبَيْنِ أَنْخَبَهَا فِي تَقْلِيلِ الْجَبَالِ ، فَضَحَى بِسَقْبَلَهِ
الْمَرَاسِي قَلَّ أَنْ يَلْفَعَ آخِرَ مَرَاحلِهِ ، بِعِرْسِ مُخْلِفَاتِ أَيْهَ وَيَحْفَظُ
عَلَى تَرَاهَهُ الْعَظِيمِ ، وَعَرَفَتْ نَفْهَ عَنْ تَعْلِيمِ لَارِوْحِ فِيهِ إِلَى تَعْلِيمِ
لَمْ يَنْلَفِفَهُ عَنْ مَدْرَسِ ، وَلَمْ يَنْخُلْهُ لَهُ أَنَادِ . عَلِمَ مَفَاضِنَ نُورِنَافِ
تَرَتَاحَ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ ، وَتَكَنَّ عَنْهُ الْخَوَاطِرُ . تَقْلِيلَ مَعَالِيدَ الْطَّرِيقَةِ
وَالْعَرَاصِفَ تَهْزِي الإِخْرَانَ هَرَأً وَتَرْجِمَهُ رَجَأً ، فَوَرَقَ فِي وِجْهِهَا
وَصَبَرَ عَلَى لَأَوَاتِهَا صَبَرَ الْكَرِيمَ الْمُخْبَبَ حَتَّى تَكَثَّفَ نَوَاعِيْهَا .
وَانْقَعَ غَارَهَا ، فَإِذَا هُوَ بِالْمَوْقِفِ وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ يَعْجِبُونَ .
كَبَ الْمَعْرِكَةَ فِي جَوَاهِرَةِ أَوْ جَوَاهِيرِ ، وَرَفَعَ عَلِمَ الْطَّرِيقِ عَالِيَاً ،
وَتَقَاطَرَ إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفُونَ مُعْتَدِلِينَ ، فَعَفَا عَنْهُمْ ، وَقَبَلَ عَنْهُمْ ،
وَضَمَّنَهُمْ لِلْقَبَلِ الْمُرْبِبِ ، وَمَا لَهُ لَا يَفْعُلُ ذَلِكَ ، وَجَدَهُ الْأَكْبَرُ
حَلَواتِ أَنَّهُ وَسَلَامَهُ عَلَيْهِ قَدْ عَفَا عَنْ جَهَارَةِ قَرِيشِ ، وَدَهَاقِنَ
الْعَرَبِ وَسَاهِمَ ، الْعَلَقَدِ ، بَعْدَ أَنْ انْجُوا إِلَى دِينِ أَنَّهُ ، وَعَنْ

نلم الطريق زاهرة ناضرة ، فار بها سيرة الرجل الحكيم .
فلم نزو فيها زهرة ، ولم نجف منها ورقة ، ولم ينتقص منها شبرة ،
وهي الآن تنفع بالطيب ، وتنفع بالآثار .

جلس في مكان أبيه - رضي الله عنهما - وقطن أن في هذا
المكان كان يجلس مرب عظيم ، وولي كبير ، وشيخ جليل . فأعطاه
حنه من التأدب بأديبه ، والتشكل بشكله ، والسير على نهجه .

رأى بين تلاميذه تلاميذ أبيه فأكرم وفادتهم ، وأعلى مكانهم
وتواصى بخلاة الذين طالعوا وجهه الكريم ، أولئك التي صل الله
عليه وسلم كان يكرم في جده ، وعمه ، وأبيه ، من أحبه جده وعمه
وأبوه . وهل البد إبراهيم إلا ذريمة من ذراري هذا الجد العظيم
صل الله عليه وسلم ، والحقيقة أبا - نحر الشيوخ - ما ثنا
صغر ، معجبين ، ثم شابه مكبرين ، حتى إذا امتهلاً وعاوه وفاض قلبه ،
جثونا بين يديه متلذتين .

والظاهر أن الله سبحانه وتعالى يستد من قدر للدعوه إليه .
ويعب على ما أخذ نفسه به ببعض غزير . وسر كريم ، وإلا فـ
هذه الحرر التي يقذف منها اللؤلؤ والجوهر ، والعلم الذي يجري
كونزا ، والنور الذي يشع في القافلة ، ويقيس في آياته .
ويطرب قلوب سامعيه .

يحب أن يحبه بالحقيقة حتى ولو خالف الإخوان فيها القويم .

من تكبير مالا يتحقق التكبير ، وتعظيم مالا يستحق التعظيم .
فقططاما رفع صوته مدويأ في مشيخة الطرق الصوفية بأن عليها أن
تكتسم من صفوتها بعض المخرفين والمجاجلة والمهرجين الذين
وسموا الطرق بكل ما يعب ، فإذا ناقشناه نحن إخوانه في أمرهم
ورأى هنايلا إليهم بهذا بأن أمثال هؤلا تكتسم على الطرق جيما ،
فإن العبد عن الطريق يحكم عليها من طريق هؤلا ، المجانين . ثم يفرد
في الكلام فاتلا : إن كل جماعة فيها أشواكه ، والشوكة الواحدة
تؤذن القدم . فإذا استخلصناها مهدنا طريق السالكين . ولقد
أعجبت أنا شخصياً بهذا الرأي وقد كنت قيلا حلا عن أفق الحقيقة
ورووجه السداد في أمر الزهرط المشعوذين ، وإنه ربما ترخص بعض
الشيء في أمر لا يترتب عليه نتيجة . ولا يكون وراءه عاقبة . أما
إذا كان هذا الأمر يمس مقدسات الطريق من قرب أو من بعد ،
فإنه لا يمكن أن يتغافل له جانب إلا إذا استراحة الأمور في
مواضعها ، واستقرت في أماكنها .

إنه ليجلس بيتاً ، فترى في وجهه ماء الشاب بتدفق ، وشاطئ
النيل ينوب ، ثم يبدأ الحديث ويطرد فيه شيئاً فشيئاً ، فإذا هذا
الشاب يتحول في أعيننا قليلاً قبلًا ، إلى أن يلبيس بزة الغلاقة
المعررين ، وسخنة الحكمة المحررین ، ثم يخجل إلينا أثار جحنا بالتأريخ
إلى عصر والده العظيم ، وإذا الحال يتجمّع في أعيننا على أوضاع

حوره ، فإذا هو والده بمحنة ودمه كان أبا شمله ، أو كانه
هو تعمص ثاب أبيه

ولا يدحثك هذا ، فإن الروحين إذا تجاوحا سريا في دقائق
اللحين بلون واحد ، وتحاصل واحدة فانفعلا بهما ، والأجسام
كما نعلم خللال الأرواح . فلا غرو إذن أن يندو في صورة واحدة
وشكل واحد ، كانوا مأميناً بما الروح معها في كف واحد
فيتشابهان في الخلقة بلون هذه الروح . من هنا أصبح اعتقادنا فيه
اعتقاداً رائحاً . ومن هنا أيضاً لما كنا نله في أبيه
رضوان الله عليه من نصرفات وأحوال تحدث بها الكثير
من إخوان الطريق . ولا أستطيع أن أذكر منها شيئاً أو بعض
شيء . ولو فعلت خاتمت أن يطلع عليها فيوسيلى لوما ، لأنه لم
يرض أن أقص على الناس شيئاً من كرامات أبيه التي يضيق
بردها كتاب كامل ، فكيف يرضى أن أقص شيئاً عنه . وهو
يعد نفسه لاثي في روضة أبيه الفرجاء .

إنك تزوره في المجلس ، فتجد فيه وقار النبوغ ، وسمات
الأولاء ، وسر الصالحين ، فحل أمام رجل اكتنعت له كل
المواهب . فإذا أتيتك منه هزة ، تكشف عن روح الشاب ،
وحال الصبا ، ومرح العاطفة ، يستقر قرارك وتأخذ أناقask .
ففيه إذا حد سلطان طاغ على قلبك يملأك ، وإذا لاحظت فيه
طرف الطبع ، رطلاوة الحديث .

فإذا زرته في معرضها الخاص وفيك بقية من رهبة المجلس ، تدل
حالك إذ صرت أمام إنسان مشرقة بيته ، ضاحكة أساريره ،
مفتتح قلبه ، تجذبك لقياه وتأسرك مواده ، كأنك وأنت بين يديه
في المجلس تلية يأخذك الجد وتطويك الرهبة ، فإذا كنت في
بيته الخاص . كنت معه في نزهة خلوية ، تخففت فيها من جلال
سلطاته ، إلى حال جواره الرقيق .

ومن دواعي غبطته أنه لا يسرح وقه في تعطيل ، ولا يشغل
زهناً بفراغ ، فهو إن خلع عن مكعبه ثياب الشبحة غير نفسه في
عمل يدر عليه أفياء الرزق ، فباتظر مكتبه ويلاحظها كما يلاحظ
كل عامل وجه كتبه ، وسبيل دخله ، في يقظة ونشاط ، ليكون
مثالاً حياً للامتنع ، ونموذجاً يحتذى به . فهو لا يود إلا أن
يكون متقلباً في عالم الأباء .

وقد بدهشك أنه وإن كان أصغر شاعر الطريق سألاً فهو بينهم
مر على المكانة ، مقدر الشخص ، مسوع الرأي . يتجه إليه
أعلام سألاً ، وأضعفهم في الطريق تاريخاً ، مزية اكتسابه ،
وآخرها بأدبها ، وظفر بها بأخلاقه وسمو محباته .

وهو والحق يقال يقاومونه ودواً بود ، ومعروفاً بمعرفة . فما
احتفل أحد منهم بول ، أو أقام حفلة ثلاثة ، إلا وانتظرته
مدداً من بيته ، وسرأ من رعايته ، فيكون عند حسن ظنه ،

ولمير ينحو أن الطريق في موكب عامر ، وحفل جامعة ، تأخذ
أقطار الفضاء .

فإذا وصل أثره الشیخ الداعی فی مقالة عیه ، وسیداً قلبه ،
معززاً كأحسن ما تكون المعرفة . مکر ما كأحسن ما يكون التکریم .
إن هناك فئة من الأشخاص تکاد ترى باضمهم من ظاهرهم ،
وسرهم من نحوهم ، بلقون الكلمة إلقاء فتخرج عارية من أحیان
الصناعة ، ومتجردة من دهان اللسان . فلا تکاد تمعها حتى
تنقر في موضعها من نفك ، لأن مخاطبة الضمير بسمها الضمير ،
ولغة القلوب تناقضها القلوب .

من هذا الطراز بدی إبراهیم سلامه ، فإنه ما يعطي كلة قط
ولا دار بها في مواطن الخليع في نفسه ، لخرج لامعة وضامة ،
فإذا لامتها شمس الحقيقة فصل صبغها ، وحال لونها ، وساح
دهانها . لذلك كانت عباراته كلها خالية من أدوات الناکد ، فإن
حبه ينبع من ثقته به ببلغ المصدق بكل ما يقول . المؤمن كل الإيمان
سلامه روايته .

هذه المفہمة تسهل لنا فهم ما أودع في بحثيه من سلیمة النافع
وتحمل العفو . فقد نظیر إلیه كلة نایة ، فما أن تخلق في ذهنه حتى
بتقىض طاقه قليلاً يقدر ما تدور هذه الكلمة في مطاوى قلبه ، نفس
موقع النافع منه ، فيذبها ذوباناً ثم يلقيها إلى ما وراء باله ،

فلا يرى وكأنها لم تكن ، وإذا عانه وجده تحول إلى بحث
مشرقه في صفة وجهه ضمير . هذا إذا كان منه جنحة رائدة لها
في نفسه فضيلة من احترام ، أما إذا كان سفلة وسفطاً ، فإن آخر
عنته بنية أولئك فتخر على أذيه كأن لم يكن هناك كلام يقال .

إن القاموس المحيط يألف معدنه الكرم الحقيقة ترمي به . فإنه
لابد أن تقادها أمواجه من ثيار إلى ثيار حتى تنفعها على الساحل
بها لأسباب المذاهب ومخالب التطور

أعرف أنا كما يعرف كثير غيري أنه في جموده مع أحد خدم
أبيه . بسبعين من لا يحيط له غيّاً ، ولا يراغع له حرمة . يمكنه
مراعاة لطيف الود القديم ، وأشهد أن هذه مكرمة الوفاء ، وعظيم
الليل . من نفس نهرت بالطبع من خلق كرم .

والحقيقة التي أدين بها وأعتقدها . أن من أحب أباك علماً
أحب معه كل شيء حتى خادمه يله أنه بفتحة قلب ، ومرى روحه
وذهب في الحياة . فإذا ظهر بغير هذه الصحبة كذبه صرت قلة ،
وواقع ما يبغض .

إن بدوى إبراهيم هو الشاب الذي يضع من عقل الشروح .
والشيخ الذي يغزى أصفح الشاب ، والقلب الذي يفتح بالبر
والرحمة والوفاء .

يقف إليه البائس المنعزل ، ومن وراءه ذريعة عجاف .

هزهم المهر ، ولتهم الفاقة . فيجعله بالوجود ، ثم يكف من
يستطيع أن ينفع له بما يأن بلطفه وبنطقة . ولا يزال يطا
خطواته خطوة خطوة إلى أن يتعلم عمل فنون رفقه ، وبحمد
الله شاكراً .

هذه شخصية تفتح من برام الأيام ، وكانت لئم عطراء ،
وللعين نوراً ، وللخمير هدىاً ، وللناس أملاً ورجلة .

وقد يلغ من نصوح نفكيره ، وسلامة فطرته ، أن اشترع
لأصحاب خططاً تعاونية رشيدة ينتظّل بها المهر . وينوب إليها
العالى ، وبجده بها من انقطع به جبل الرزق . مد رفقه ، وإمساك
حربته قاتلاً لهم : إن المواجهة في أنه يستتبعها التعاون مع الحاج
والبر بالفقيه . وجبر من خبر عظمته سوس الأقدار .

كيف لا ، وقد أخى التي صل الله عليه وسلم بين المهاجرين
والأنصار . في دار هنفهم . وكان الأنصاري ينزل لأبيه المهاجر
عن نصف ماله ويشركه في حواره ، وبخدمته بالعزيز العالى بروجه
التي بين جنبيه .

وهو حتى أيد ساق إلى المعروف ما استعرضت حالة شخص
أمامه ووجد أنه في حاجة إلى معاونة إلا كان اسمه على رأس قائمة
السميريات ، حتى إذا رأى إخوانه منه ذلك اعترت أبيه لهم إلى
حياتهم فأخر جوهرها بنافة ، وأنقذوها بمعطاه .

وأنت إذا شئت أن تكون قدوة فليبق عملك قوله ، فإن العمل هو أنطق من القول لأنّه وارجى منه عائنة ، وإن كان صامت المطبع مطروي اللسان .

يقال : إن بيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه لما ولى الخليفة وقف في الناس يخطبهم : فارجع عليه ؛ فما ذكر ثانية فلم يفتح عليه ، فقال : آيها الناس — إنكم في حاجة إلى رجل فعال أكثر منه قوله مكان كل منه تلك مع فلة ألقاها وتصدر عبارتها ، من جوامع الكبار .

إن نوراحي سيدى إبراهيم من الشعب سجى لا يستطيع قوله أن يجمعها في فصل وإن طال . فلذرك تلك المحاولة ، وتنوجه إلى الله علّي صفين ، أن يبارك له في يومه وغدئه . ويسلطه بكلال فوق كمال . ويرعاه بعافية صدية ، ومحظة فريدة . ويجعله خلفاً كربلاً لسلف كرم .

شعر للمؤلف

والنور يغمر والنهار مزدان
عابن من ضرمه عب ورمان
قطبا فربة والطعم إيمان
يعنى بأسطرها روح در بحاف
كأنها في نواحي الخير قرآن
هني دور دلائراني وقربان
حر تكوفه في الحى ندمان
في حبة الوعي والإحسان سكران
مثلا إذا اندفع في الميدان فرسان
ولا ينزعه في القبر أفران
أو يرثى مالرثى في القرب إنسان
خوى بين هذا الرمس جهنمان
فخر واته والراحته إخوان
إن عنة الفجر أو قاعته أزمان

الروض بنفح والازهار ألوان
والروح والروح في آياته اجتمعا
يا روضة ما لها في الناس من شبه
من سيرة عبقة دمجت صفحتها
إن تلها تل ماق الدين من عود
قد خط أحرفها وتنى وزينها
رجيتها إن مركب الروح لشونه
ولأن تحمل بنور الحق فاز به
ومن ترى مثل سيدنا وفدوتنا
عليها لا يمثال العدو ساقه
من ذا ينزع من باقه مسلوقة
لولا دضوخ إلى سفن الحياة لما
فظرة ياحبيب القلب تفعتها
وامتحن بعذلك بيف النصر مائمه
رالحمد لله أولا وأخرا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٦٠٢٠١٣٧٩ ٣٨ فبراير ١٩٥٦

فهرس الكتاب

الموضع	رقم	الموضع	رقم
طريقه في المذهب	٧٢	الإمامية	٣
رواياته	٧٣	الحمد لله	٤
حده في كتب	٧٩	كتاب الكتب	٦
إندلاعه	٨١	تبيه المترقب	٧
الحضرات	٨٢	مودة	٨
أحياء أمة أخرى	٨٦	أبناء الأبيع	٩
أنوار آية الكرسي	٨٧	طفولته ، بيده ، عمره ، مكالمه	١٠
و لا إله إلا الله	٨٧	في الفيصل	
ش	٩٠	برورة الرببة	١١
عن	٩٥	أشباحه ، سماته ، حبه	١٢
الحس اليموم	٩٩	شكرا ، و رحمة	١٣
فضائل الحنكر	١٠١	عاداته	١٤
المتشدون	١٠٧	احقره والقصول	١٥
المواكي	١١٠	النبي	١٦
موسيك الشیخ	١١٥	الحمد في الأسباب	١٧
نظم المواكي	١١٦	الافت	١٨
حاجة المواكي	١١٧	اعذاف لتبعة	١٩
موسى الرسول	١٢٠	صهر الخرق وأفضل	٢٠
موالد من الأولياء	١٢٣	آدب الخليس	٢١
رمضان	١٢٦	مدرسة العباس	٢٢
أيام إبراهيم	١٢٧	مدة الدرس	٢٣
الطبع في بيوت المؤمن	١٢٩	بيانات الخليس	٢٤
بيه إلى امرأة نور الدين	١٣١	حليلته	٢٥
دواه الشیخ	١٣٣	الناظمة	٢٦
حکم الروايات	١٣٤	شذوذة الشیخ	٢٧
خدباء ، و شهور	١٣٧	طريقه في القراءة	٢٨
الصوفية الذين اختلفوا	١٣٩	صهارة القلب	٢٩
برورة شیخ الخرق	١٤٦		

النحو	الصواب	ص	ص	س
عدد كرت	مدْكَرَتْ	١٤	٢	
ربلة	دِينَارْ	١١	١٠	
اثنتين عشرة	أَثْنَيْ عَشْرَ	١٢	٣	
متخل	مَا تَحْتَلْ	٢	١١	
من كلية	مِنْ حَلَّابَة	١	٤	
شاصهان باطلي	شَاصَاهْ بَاطِلَى	١٣	٣٩	
طبع حق	شِيجْ لِعْنَى	٣	٣٩	
برونوف	مُوْنُوفْ	١٧	٦١	
آها	أَهَا	١٨	٨١	
والقصاء	الْقُصَاءُ	٩	٩٤	
برفع في معنى	بِرْفَعْ فِي مَعْنَى	١٩	١٠٩	
لا هان	لَا هَانْ	١٧	١٠٩	
ليل جوند	لَيْلَ جُونَدْ	٢	١٩١	
جي	جِي	٣	١٧١	
داندا	دَانَدَا	٤	١٣٠	
الغري	الْأَغْرِي	٥	١٣١	
حبيخ الوراجة	حَبِيْخَ الْوَرَاجَةَ	٦	١١٣	
وتفه	وَفَهْ	٧	١١٤	
خطف	وَارَةْ	٨	١١٤	
سرور	سُورَةْ	٩	١٠٧	
هذا وام	هَذَا وَامْ	١٠	١٦٢	
بحور	بَحْرَ	١١	١٦٧	

الموضع	رقم	الموضع	رقم
عنة الإخوان	٢١٣	البروط التي شغلت فيه	١٩٧
عنة الإخوان يوم	٢١٤	حاجة الناس إليه	١٦٨
عنك العنك عنة	٢١٧	و هامة	١٦٦
الكرامة	٢٢١	ولعنة شيخ الخضر	١٦٩
كرامة الشيخ	٢٢٢	رسوخ الماء	١٧٣
الشيخ المدور	٢٣٣	طريقه الشیخ الحنفی	١٨٦
مسجد	٢٣٤	عنده	١٨٧
مسجد	٢٣٥	و لربه	١٩٤
لا يعن البار	٢٤٣	و لا يحبه	٢٠٠
شعر بحروف	٢٤٤	و لا يحبه	٢٠٠
فهرس الكتب	٢٤٥	و لا يحبه	٢١٠

تحت البررة الخامدة الكرامة